المكزون السنجاري
في حمّين

تنسيق جمال حتمل

بحثاً عن قبر المكزون

دراسة وتحقيق

بقلم

أحمد علي حسن

أبو عبدو البغل

المكزون السنجاري
في حمّين

حقوق الطبع محفوظة للمؤلف
الطبعة الأولى
١٠٠٠/٦/٢٠٠٥م

الدار السورية للدراسات والنشر
حمص – هاتف: ٦٢٩١٦٥

المكزون السنجاري في حمّين

الأستاذ الشيخ
أحمد علي الحسن

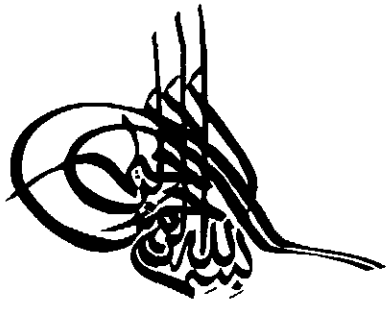

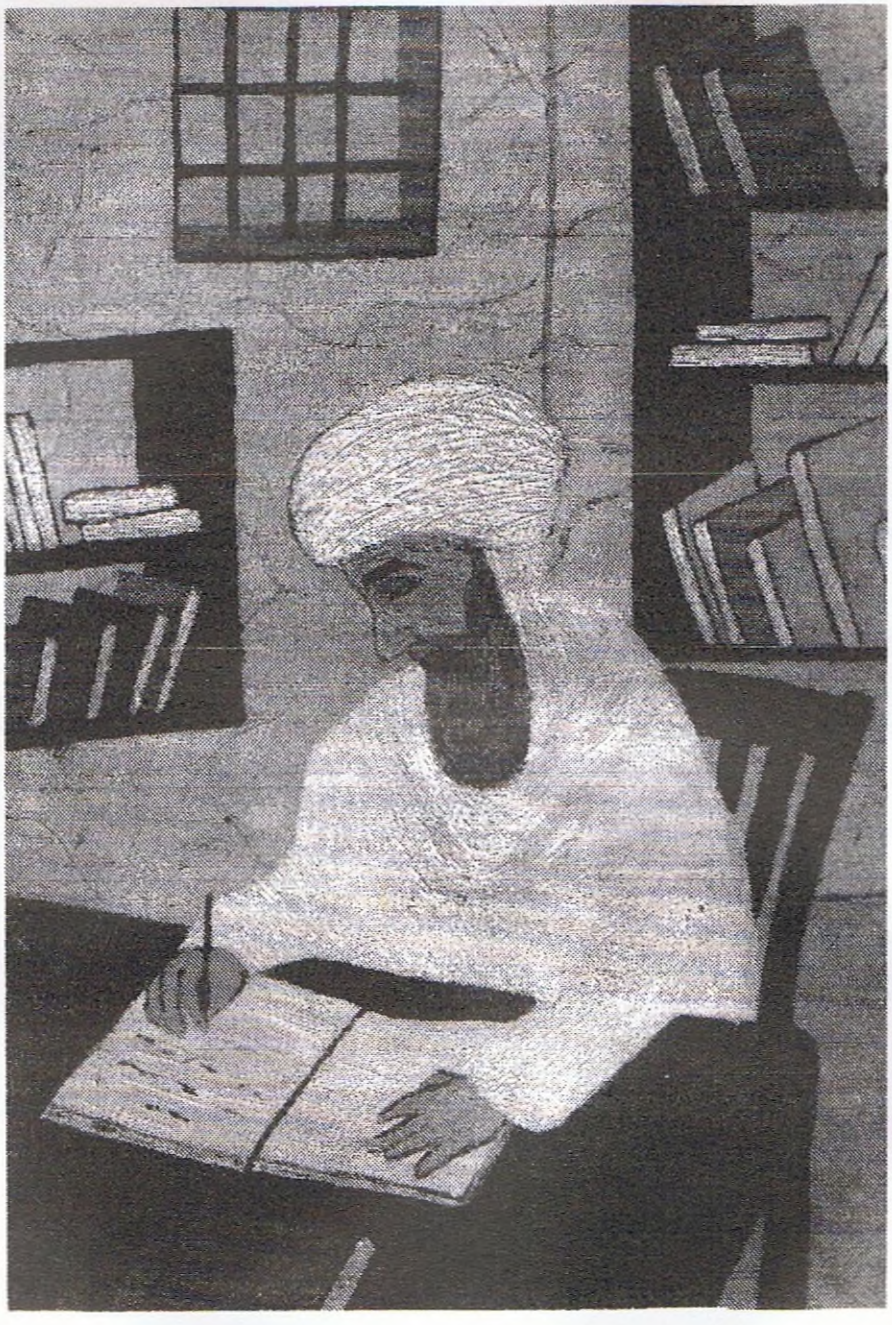

رسم متخيّل للمكزون السنجاري

للفنانة : إيلينا توبور

Elena Topor

ليس وصف الفضل فضلاً للذي لم يبدُ منه
وكذا بالعلم لا يوصف من لم يُروَ عنه
وغنيُّ الناس من يروي الذي لم يستبنه

(المكزون)

المطل بالوعد ذي
ومنفق اسرافه
ومدعي العلم بغير

يبطل حق الصدقة
يزيد فضل النفقة
عما ماء حقه

قال حدثني ابو محمد السيد الامام العالم العلامة
الفضل مجد الدين علي ابن النقيب المرحوم علم
الدين المعروف بابن الكنبلة الحسني قال
قدم الشيخ حسن ابن مكرون السنهاري
الى المشهد الشريف الغروي على
مشرفه السلام راجعا في الموسم بالسنة
والعشرين وثمانمائة وصنف الحضرة
سألت عن مولده فقال
فانشدني من منظوماته هذه الابيات

ليس وصف الفضل فضلاً للذي لم يبدُ منه

وكذا بالعلم لا يوصف من لم يُروَ عنه

وغبي الناس من يروي الذي لم يستبنه

(المكزون)

هذه الدراسة :

قمت بهذه الدراسة معتمداً على تصوُّر ما يمكن أنه كان بعد دراسة الأحوال والظروف التي أحاطت بعصر المكزون والجيل من الناس الذين عاش معهم المكزون وبعد التأمُّل أيضاً في دراسة رسالة شهاب الدين الشافعي التي أرسلها إلى علماء المسلمين خصوصاً في تلك الظروف، ولماذا انفرد الشافعي بتوجيه هذه الرسالة إلى علماء المسلمين..؟ وانفرد بالجواب عنها ابن تيمية دون الآخرين.. ؟

ولم نقرأ أي تعليق من أحد من العلماء المقصودين بالسؤال لا بالموافقة ولا بالمخالفة، مما يجعل المشكلة غير واضحة القصد..ووقفت أتساءل من أين استقى الشافعي معلوماته عن النصيرية..؟وكيف حصل عليها دون غيره..؟

ولماذا ركَّز عليها هذا الاهتمام دون غيره..؟

كل هذه الخفايا أخذتُ أستظهرها من بعض عبارات المكزون سواء عن الرسالة أم من قصائد الديوان، لعلَّ بها قبساً من نار موسى. وإنني لم أطرح هذه المعلومات لأقيِّد بها قارئ هذه الدراسة، إنما جعلتها معلومة مضافة إلى غيرها من المعلومات، فمن شاء أخذ بها، ومن شاء أهملها غير متحانف الإثم.

أحمد علي حسن

معلومات لم تسبق

عطفاً على ما كنـــا أتينـــا على ذكره في كتابنـــا(حُمين في ثلاثة قـــرون) حـــول موضوع سلاطين حُمين وما بذلنـــا في سبيل اكتشاف هذه التسمية(تسمية السلاطين) وتتبعنـــا بشكلٍ جدِّي البحث عن أماكن وجود أمثال هؤلاء السلاطين في قرىً مختلفة مثل مشرفة كحلة أوبين وبويضة الزمَّام وقرىً أخرى كثيرة في بلادنـــا يوجد فيها مثل هذه الأضرحة المسماة بالسلاطين، ورغم كل ذلك لم نحصل على ما يشكِّل قنـــاعة شخصية بما تمت عليه هذه التسمية(تسمية السلاطين)[1]

---

١) وردت هذه التسمية في كتاب فرائد الفوائد النعوية (مخطوط) حسن بن حمزة الشيرازي في المقدمة الأولى في تعريف البيعة والمبايعين فقال :

المبايعون أربعة وهم : الرسل والأئمة ، والشيوخ والسلاطين. وبيعة هؤلاء الأربعة على الحقيقة واحد وهو الله تعالى وهؤلاء الأربعة شهود لله تعالى على بيعة الأتباع ... إلى أن قال : " فأما الرسل والأئمة فلا يعصون ولا يأمرون بمعصية أبداً فهم معصومون وكذلك الشيوخ محفوظون منها، أما السلاطين فمن لحق منهم بالمشائخ كان محفوظاً وإلا كان مخذولاً "

يتبيّن من هذا أن السلاطين رتبة من رتب الصوفية. وقد جاء هذا النص عن محي الدين بن عربي في كتابه (كتاب الرسائل) بعنوان(كتاب التحيات) في (تحي الكتب السبعة) في نص موضوع ما يلي : "المبايعون ثلاثة وهم : الرسل والشيوخ الورثة. والسلاطين. وبيعة على حقيقة في هؤلاء الثلاثة واحد وهو الله تعالى وهؤلاء الثلاثة شهود لله تعالى على بيعة هؤلاء الأتباع. وعلى هؤلاء الثلاثة شروط يجمعها القائم بأمر الله، وعلى الأتباع التي يبايعوه شروط تجمعها بيعة ما أمروا به فإن الرسل والأشياخ لا يأمرون بمعصية أصلاً، فإن الرسل معصومون من الله والشيوخ محفوظون والسلاطين فمن لحق منهم بالشيوخ كان محفوظاً، وإلا كان مخذولاً ".

وهنـــا يتبيّن مما أوردنـــاه من كلام صاحب فرائد الفوائد النعوية (نسبة) أن صاحب كتاب التنبيه يختلف مع ابن عربي بجعل المبايعين أربعة بدلاً من ثلاثة. وذلك بإضافة الأئمة إلى فئة المبايعين.. ومن هنـــا نستنتج أن كلمة سلاطين هي رتبة صوفية عند طرفين ويبدو أن ابن عربي لا يؤمن بعصمة الأئمة فلم يذكرهم، هذا وقد كنت بحثت مع عمي الشيخ سلمان أحمد سلمان عن هذه التسمية، وقد أجابني عنها بالقول: إنه

فمن هذه الزيارات زيارة لمقام الشيخ حيدر وهو يقع في الجانب الشرقي الجنوبي من حمّين في موقع يسمّى عين التوتة، وفعلاً توجد إلى جانبه تحت الطريق العام عين ماء جارية عذبة الماء اسمها(عين التوتة) وكنا أشرنا إليها في مطاوي كتابنا عن حمين فهذه الزيارة لم أستطع أن أعرف عنها شيئاً وقد قمت بزيارة الشيخ حسين علي حسين من حمّين وهو الآن قد تجاوز التسعين من العمر وقد سألته عما يعرف عن هذه الزيارة فقال لي إنه لا يعرف عنها شيئاً إلا أنها زيارة قبر محترم له برهان، وقد حدّثني عن حادثة جرت بين الشيخ عبد الكريم عمران شيخ حمّين في عصره وبين صاحب هذه الزيارة، إذ كان الشيخ عبد الكريم بصنع موسمه من شرانق القزّ لتحويلها إلى خصل حريرية على مصنع أو معمل يسمى دولاب الحرير وقد أحتاج إلى بعض الأحطاب لإيقادها في فرن الدولاب فأمر بعض عمّاله أن يحضر من أحطاب شجرات الشيخ حيدر ما يكفي للوقود، وقال الشيخ حسين إنه بعد أن استحضر الشيخ عبد الكريم الأحطاب واستعملها في موقد الدولاب جاءته سنّةٌ من النوم فاتكأ قليلاً ونام وبعد فترة قصيرة استيقظ وجلس واستدعى العامل عنده قائلاً: خذ ما تبقّى من الحطب وأعده إلى مقام الشيخ حيدر فإنه جاءني في المنام وعاتبني على ما فعلت. هذا ما حدّثني به الشيخ حسين العلي الذي مرَّ معنا ذكره.

قيل إن كل خمسمائة رجلٍ يولى عليهم رجل يسمى سلطاناً. ولا أدري إن كانت كل هذه التحريفات تحمل دلالة مقنعة، إذ في بلادنا زيارات كثيرة تحمل اسم (السلطان) ومن أشهرها [illegible] الأدهم) والسلطان(إبراهيم العفاص في بيت الوقّاف) والسلطان (محمود) بحارة الوقف. والله أعلم.

(بالرغم من أنني قد استمعت إلى أراء شيوخ مسنين في ذلك الوقت كالشيخ [illegible] عبد الكريم عمران والشيخ يونس محمود العلي والشيخ ديب أحمد [illegible] مصت على ذلك البحث عن السلاطين تذكرت أن هذه مقامات لأصحاب [illegible] وكنيف قليلة بالنسبة لقدم حمين).

ثم تابعنا البحث عن الزيارة الثانية على نفس طريق حمّين الشرقي والتي تبعد قليلاً عن زيارة الشيخ حيدر إلى الجهة الغربية، وهنا تقوم زيارة بين غابة كثيفة من شجر السنديان تدعى زيارة الشيخ حسن السنجاري وقد أرسلنا السيد محمد حسين العلي الذي كنا في ضيافته ليقرأ لنا ما هو مكتوب على صندوق القبر القائم في تلك الزيارة فذهب ورجع إلينا بالمعلومات التالية:

قال:"وجدت مكتوباً على صندوق الضريح الشيخ حسن السنجاري هذه الكلمات: "بسم الله الرحمن الرحيم" هذا المقام المبارك مقام الشيخ حسن بن المكزون السنجاري رحمه الله تعالى وقدّس سرُّه.

الشيخ محمّد إبراهيم والشيخ محمود حسن الحلبيين الأنصاريين وذلك في العام ١٢٦٩ وتبيَّن أنه أنشئ حديثاً على هذا المقام غرفة مبنية من الحجر المنحوت ومسقوفة بالإسمنت كُتب فيها في أعلى حائط هذه الغرفة من الجهة الجنوبية فوق الباب (هذا المقام الشريف للأمير حسن السنجاري تم بناؤه على نفقة المبرُّ عباس أحمد يونس قرية حدّاتي (تتبع محافظة حمص) وقد تولى الإشراف على بنائه الشيخ أحمد عبد الرحيم عند الله أجره وصنع المعلم توفيق الحماد حياته(٦٢٠) وأعتقد أنه يريد بكلمة حياته المكزون إشارة إلى أنه أُلّف رسالته سنة (٦٢٠) والعبارة الثانية بناء (١٣٩١) يعني بناء الغرفة [1].

وقد توقفنا قليلاً عند هذه المعلومات وأخذنا نتصوَّر ونتدارس بيننا وبين أنفسنا عن هذه الزيارة المغمغة في هذا المكان رغم وضوح الإشارات إليها.

---

١) اخبرني من أثق بخبرته بالشخص المشار إليه أعلاه السيد عصام أحمد من حداتي هو من المغتربين السوريين في بلاد الأرجنتين وقد رأى في منامه أن هناك مزوره أمره بأن يبني قبة على ضريح الشيخ حسن بن مكزون السنجاري في حمين وقد تكررت عليه هذه الرؤيه فسأل أحد أبناء المنطقه المغتربين هناك فأرشدوه إلى الشيخ يوسف عبد الرحيم من حمين فذهب إليه وعرض عليه ما رأى فأرشده إلى أخيه الشيخ أحمد عبد الرحيم المقيم في حمين وبواسطته تم البناء الموجود على الضريح الآن.

المكزون السنجاري علمٌ من أعلام الطائفة العلويَّة ومفكّرٌ كبيرٌ من مفكريها وشاعرٌ بلغ المنزلة بين شعراء العرب، وكاتبٌ غاص إلى أعماق الفكر في التصوف والروحانيات لا يعرف له ضريح يذكر، ولا مقام يشار إلى محلٍ وجوده ليس في هـذه الجبـال ولا في سواها وهنـا ساورني استغراب وتساؤل بيني وبين نفسي، كيف كانوا يحدثونـا أن الشيخ خليل النميلي والشيخ سلمان بيصين أرسلا جماعة إلى سنجار في الموصل(تابع الآن للعراق) ليستطلعوا ما إذا كان يوجد هنـاك مقام للشيخ حسن بـن المكـزون السنجاري أو من ينتسب إليه هنـاك، وقد ذهبت الجماعة ورجعوا دون أن يقفوا على خبرٍ أو أثرٍ من ذلك.

وفي أيامنـا هذه كتب عنه الأديبان الدكتور أسعد علي(مدَّ الله في عمـره) والشـاعر الأستاذ حامد حسن(رحمه الله) وقد وصل البحث عنده إلى أنه نُمي إليه أنه يوجد قـبر في كفرسوسة مكتوب عليه اسم شخص سنجاري ولدى الذهاب إلى مشاهدة ذلـك القبر وقراءة ما هو مكتوب عليه لم نتبيَّن أنه هو المكزون السنجاري. وقبلها كان كتب دراسة مطوَّلة أحد علماء هذه الطائفة الشيخ يونس حسن رمضان وأيضاً هذا لم يستطع أن يشير إلى ما يؤكد وجود مقام السنجاري في هذه البلاد.

وبحثنـا عمَّا إذا توجد تشريفة بالمعنى المتعارف عليه في هذا الريف وبين أبنـاء هـذه الجبال فلم نعثر حتى على ما يسمَّى تشريفة لحسن بن مكزون السنجاري. ومن هنـا رجعت إلى البحث بيني وبين نفسي، لماذا انفردت حمِّين بوجود هذه الزيارة فيها، وإن هذه الزيارة تدلُّ على عمقٍ في التاريخ يعود إلى عصر المكزون، لأن غابة الشجر الـتي تحيط به قديمة العهد والزيارة كانت بالنسبة إلى حمِّين ذات شأن كبير، فقد كان أهلـها يضعون قارورة من الزيت فوق الضريح معلَّقة بغصن السنديان المتدلي فوقه وكل مـن يمرض بمرض في جلده يذهب ويتدهن بهذا الزيت فإنه كان يشفى. كما أنَّه كان معروفاً باسم شيخ حسن المكزون السنجاري عند أبنـاء حمين منذ وجدوا فيها، واستغربت بعد كل هذا وبعد أن ثبت أنه لا يوجد ضريحٌ آخر للمكزون السنجاري كيف أغفـل عنه في هذا المكان ولماذا..!؟

ومن خلال ما أشار إليه الأستاذ حامد حسن في كتابه(المكزون السنجاري) مـــن أن محلّ إقامة المكزون كانت سنجار المعرَّة وهو الأقرب للتصديق، يظهر من قراءة حركـــة الهجرات المتكررة في بلادنـــا من المنطقة الشرقية والشمالية إلى المنطقـــة الغربيـــة مـــا يعطينـــا بعض القنـــاعات أنّ نزوح أمثال هؤلاء الأشخاص كان فراراً مـــن وجـــه الطغيان المحلي، لا سيَّما أن المكزون السنجاري عاش في أقسى ظروف القسوة والتنكيل التي تعرَّض لها العلويون بسبب اضطهاد الحكام بذرائع أوهاها فتوى ابن تيميـــة، وقـــد أشار أحد العلماء الشافعيين الذي وجَّه السؤال لعلماء المسلمين عمَّا هو عند النصـــيرين من معارف باطنية أنكرها هو عليهم وقد أشار أنه تلقى بكبير عمائهم و لم يسمِّه ولكنَّه قال إنه روى له أبياتاً من شعره فيها معارف روحانية لا يقرُّهـــا جمهـــور المســـلمين. وبسبب ما حصل بين المكزون السنجاري صاحب الأيت، وبين شـــيخ الشـــافعيين تصدَّى ابن تيمية وحده للجواب عن سؤال الشيخ الشافعي وأصـــدر فتـــوى بمعاقبـــة النصيرية والتنكيل بهم وإبادتهم.. وطبيعي أن المكزون الذي كان هو المحاور للشـــيخ الشافعي أن يكون قد تعرَّض للأذيَّة وتعرَّض بما يخشى منه عليه فترح عن تلك البلاد باعتبارها خطرة ولجأ إلى هذه المنطقة(منطقة حمّي) باعتبارها بعيدة عن تلك المنـــاطق التي ليس فيها من يستطيع إجارته أو حمايته.

والذي أتصوَّره أن الشيخ شهاب الدين الشافعي هذا كان من المقرَّبين جداً من المكزون والذي أظنُّ أنَّه استطاع أن يتوصل عن طريق المكزون إلى ما عنده من أسرار وتأويلات باطنية، والذي لم يطّلع على رسالته بين علماء المسلمين، وما أشار بها، وعدَّد ما بها من معلومات باطنية يمتلك الكثير منها.

ويبدو أن المكزون كان مطمئـــن إلى هذا الشيخ وواثقاً به فقدَّم كل مـــا لديـــه مـــن معلومات مؤيدة بالحجج العقلية والنقلية وسار معه إلى آخر الشوط غير متحرِّج ويبدو لي أن الشيخ الشافعي كوَّن هذه العلاقة بينه وبين المكزون باعتباره من كبار علماء هذه الطريقة ليأخذ عنه المعلومات التي لا ريب فيها مدفوعاً إلى ذلك لتنفيذ مَهَمَّة من آخرين لأن الطريقة في ذلك الوقت" كما يبدو" كانت قد خرجت من الســـريَّة إلى العلنيـــة

وانتشرت بشكلٍ ملحوظ وتقاطر إليها الأتباع مما أشعر الآخرين أنها تكاد تشكّل خطراً على ظاهرة الشريعة ولذلك كان ما كان من توجيه رسالة الاستفتاء، أما المكزون(رض) فقد ذُهل من هذا العمل وشعر أن الرجل الذي كان يثق به قد خان عهده وأعتقد أن رسالة العتاب الشعرية الآتية هي موجهة من المكزون للشيخ شهاب الدين الشافعي وهذه هي القصيدة :

يا من كلفت بحبّه إذ كان عن عين الملاحظ بالحيا متبرقعا
ومنحته صفو المودّة باذلاً للنفس فيه حيث كان ممنّعا
وأمرته وجه النصيحة مراغباً في أن يكون عن الخنا متورّعا
وحفظته جهدي ولكن رأيه البادي أبى إلا يكون مضيّعا
أخلصت حسن الظنّ فيك فهنّ على قرب المزار فلا رجعت مودّعا
عرّضت نفسك للبلا فلم تبل بمقال من أضحى عليك مشنّعا
أولم تكن أعطيتني عهداً على ألا تزال عن الورى متبرقعا
ولقد وعظت القلب فيك فما ارعوى وقرعت سمعك بالملام فما وعى
فرفضت بأسي منك لما لم أجد لي بالنصيحة في صلاحك مطمعا

شارح هذا الديوان الشيخ سليمان أحمد يقول إنه لم يجد لهذه الأبيات تأويلاً عنده بل تؤوّل على السالك الهالك، وهذا(أي السالك الهالك) ينطبق على الشيخ شهاب الدين وحركة الشيخ شهاب الدين ينطبق عليها كل الإيماءات الملحوظة في قصيدة المكزون وكل المعاتبات التي تشير إلى ثقة المكزون به وإلى تفريطه هو بما اتفقا عليه، وأسف المكزون على خيبة الأمل بمن كان يثق به ويسدي له النصيحة ويحاول إصلاحه.. ولا يُستبعد أن يكون هو السائل المنوّه به في رسالة تزكية النفس، وعبارة(صحّت أخوّته) و(وجب حقّه عني) في الرسالة المذكورة لا تخلو من إشارة بأنه كان خارج الأخوّة في نظمته في طريقته النميريّة وإنما عبارة(صحّت أخوّته) لم ترد على لسان أي عالم أو مؤلف في المكزون وهكذا ففساد العلاقة بين المكزون والشافعي أدّى إلى هذا التاريخ المرّ المنحطّ بينهما.

ويؤيد ما ذهبنا إليه من استنتاجات أن الدكتور مصطفى الشكعة صاحب كتاب(إسلام بلا مذاهب) يأخذ على المكزون ما أخذه عليه الشيخ الشافعي ويعتبر باطنيته بدعةً ومخالفةً للتنزيل والشريعة على بعد ما بينهما من فاصلٍ زمني.

وبالنسبة إلى النزوح القسريِّ نلاحظ أن الكثيرين من أبناء تلك المناطق هاجروا ولا تزال لهم أضرحة قائمة في تلك البلاد مثل منطقة بسماليخ من الجهة الشمالية وحربوق. ولا يزال حتى الآن في قرية البكرية موقعٌ فيه تحويشة لثمانين ضريحاً يسمونهم الحرابقة فوجود ثمانين ضريحاً لأشخاصٍ نزحوا من حربوق إلى هذه البلاد يبدو أنهم لوحقوا حتّى هذه البلاد، لأن وجود ثمانين قبراً أنشئت عليهم الصناديق في تحويشةٍ واحدة دليلٌ على أنهم بوغتوا وقتلوا في هذا المكان ودفنوا مع بعضهم في هذا المكان. وأيضاً فإن في حمِّين قبرا عليه صندوق للسلطان شمس الدين الحموي وهذا قد كان إماماً للجماعة في حماه وكان أيضاً معاصراً للمكزون السنجاري المدفون في هذا المكان والمسافة بين قبريهما غير بعيدة وهذا أيضاً يدلُّ على وجود الهجرة من حماه إلى هذه المنطقة بفعل تلك الحوادث ومثيلاتها .. ونحن لا نملي على أحد هذا الرأي ولكننا نطرحه ليكون خيطاً يتعلّق به الباحثون عن هذا الأمير ربَّما أدى التعلُّق به إلى بصيصٍ يضيء بعض جوانب البحث.

وليعلم القارئ أنني لم أقم بوضع هذه الدراسة إلا بعد أن رأيت جميع الباحثين عن المكزون السنجاري عجزوا عن التوصل إلى تحديد مكان دفنه(رض) بالرغم مما بذلوه من جهد وسهر ليالٍ في هذا الشأن.

وعلى هامش بطيَّة المكزون التي تنفرد بها الشيخ الشافعي والشكعة، يقول الدكتور أسعد أحمد علي في كتابه "معرفة الله والمكزون السنجاري" (رأينا تصالح الظاهر والباطن في نصوص المكزون فالظاهر ألزمه بما هو حق وشرع يتضمن بشريعته، والشريعة أمٌّ كل ذراريها أخوة وبعض عمق الظاهر هو قمة عمق وحقٌّ يدرك بإتباع الظاهر والغوص إلى أعماقه والصعود إلى قممه). ويبدو أن الدكتور أسعد استخرج هذا الرأي من أبياتٍ للمكزون وهي الآتية :

أمي الشريعةُ والمقيم لها أبي وبنو بنيها كلُّهم إخواني
أعقُّ والدتي وأنكر والدي وإلى عداي أفرُّ من أعواني
وأفرُّ من أنسي إلى وحشِ الفلا إن كنت ذاك فلستُ بالإنسان

فالدكتور أسعد اكتفى بالإشارة إلى الأم والأخوة وأهمل الأب في هذا الموضع، لأن الأم هي مصدر التوالد والأب هو الذي يقيم الشريعة فهو أبوه، ويصرح أن أبناء بني هذه الأم هم إخوانه بأجمعهم. وهو بهذا الرأي يعطل نظرية الشافعي والشكعة ببدعة باطنية ومن تحمله من خطر على الشريعة ولم يقل بنيهما يعني الأم والأب بل اكتفى بقوله بنيها يعني الشريعة التي هي الأم.

ومع البحث عن المكزون السنجاري في حمّين:

جاء في كتاب الدكتور أسعد أحمد علي(معرفة الله والمكزون السنجاري) بعنوان مرجع حديثة مخطوطة رقم (أ):سلمان بيصين، وخليل النميلي من المشائخ المشاهير في القرن الثالث عشر الهجري، تولّيا البحث عن المكزون وذراريه في سنجار.. يقول راوي هذا الخبر مقدِّماً في قصيدة الشيخ سلمان بيصين بهذا الموضوع أستعين بالله وبرسوله والمؤمنين في نقل هذه القصيدة المباركة تأليف العالم الفاضل الشيخ سلمان بيصين وهي مذكرة جرت ما بين الأستاذين الرئيسين الشيخ خليل النميلي، والشيخ سلمان بيصين قدَّسهما الله آمين قد أبديا أفكارهما الرشيدة ليقوما بالبحث عن السيد المكزون السنجاري قدَّس الله العلي سرُّه المكنون ويسأل عن ذراريه هل يوجد له ذرِّية أم لا وبعد ذلك أرسلا إلى مدينة سنجار من يختبر ما إذا كان يوجد بقية أشخاص منهم وقد أرسلا الشيخ إبراهيم الجعفر التنجي من إخوان حماه إلى بلاد سنجار ليحقق ويدقق عن الأمر حسن بن مكزون فوجد جماعة ينتسبون إلى المكزون السنجاري وفيهم أربعة مشائخ رؤساء بالعلم والإيمان وهم الشيخ حيدر والشيخ ناصر والشيخ محمَّد والشيخ أحمد فمنع المقدَّسين الشيخ خليل النميلي والشيخ سلمان بيصين حسب ما رأى فصب الشيخ خليل النميلي من أخيه سلمان بيصين أن يكاتبهم بقصيدة ويمدحهم فيها

ويلاطفهم ويذكر المكزون ويلوِّح لهم عن طريقته وعن الحب القديم والعهد القويم الذي كان المكزون عليه فإذا كانوا باقين على هذا الحب أن يراسلوهم ويخابروهم ليتوجَّهوا إلى عندهم إلى سنجار بعد أن يوافوهم بمدينة حلب وهذه القصيدة أرسلت لهم بتاريخ (١٢٢٧) أنشئت وأرسلت إلى بلاد سنجار من الأستاذين الكريمين المذكورين ووقّعت باسميهما وحملها إلى سنجار الشيخ إبراهيم الجعفر التنجي من حماه في التاريخ المذكور (١٢٢٧) من الهجرة المحمَّدية على شارعها أفضل الصلاة وأتم السلام لأجل الإخبار عن ذراري المكزون قدَّسهم الله الذين كانوا في سنجار. والقصيدة مؤلَّفة من ٣١ بيتاً وهي بخط محمَّد جامع من عين الكروم ومطلعها :

أبثُّ اشتياقَ الوجدِ من غامضِ الجوى إلى فتيةٍ حُبُّ تنمّى بهم لوى

ب- المطران يوسف الدبس (١٨٣٣-١٩٠٧) مسيحية: (نسب المكزون) قابلت هذا الخبر على مخطوطتين إحداهما بخط كامل إبراهيم أحمد صالح معروف من متور قضاء جبلة رمزت إليها بالحرف(أ) والثانية بخط كامل نصر من قرية عين الصفصاف ورمزت لها بالحرف(ب) .

نسب المكزون كما هو مروي عن المطران الدبس:

هو الأمير حسن بن الأمير يوسف بن الأمير مكزون بن سيف الدين، لقِّبت إمارة الموصل وسنجار باسمه عبد الله بن محمود مؤسس الإمرة المكزونية في سنجار عام (٣٨٦) ابن طرخان أمير الرمي بن الأمير محمد صاحب شهرزور وأميرها وأمير الأمراء ببغداد بن رائق أمير الرمي بن أبي حشر بن محمد بن علي بن حسين بن الفضل بن المفضَّل بن زين أمير جرجان وطبرستان (٣٨١) ولد الأمير سيف الدين حسن بن مكزون فتح البلاد النصيرية عام (٦٠٨-٦١٢) وتسلم الأمر فيها وركز دعائم إمارته بعد أن قهر (حمارتكين) رئيس الأكراد والإسحاقية ورزق الأمير حسن ثلاثة أولاد من زوجته هند بنت عز الدين بن المفضَّل بن قريش أخت الملك الأصلح صاحب حلب، التي لم يتزوج غيرها. وهم حسام الدين وابنا عمه ويوسف الذي اشتهر

بالتقوى والزهد، توفي بعد قدوم أبيه إلى بلاد النصيرية بأربع سنوات يعني سنة (٦٢٢)[١] ودفن بقرب عين الكروم وبُني عليه قبَّة أثرية تُعرف بمقام الشيخ (يوسف أبو غارة) وحسام الدين الذي أقامه الأمير حسن وكيلاً عنه على بلاد سنجار والموصل سكن في إعزاز وتوفي فيها بعد حياة قضاها في الزهد والتقوى ويعرف قبره الآن بمقام الشيخ (محمَّد العزازي) وأبيه الشيخ أحمد العزازي الحبي ابن الأمير حسن بن مكزون وعمَّ الأمير القائد الشيخ (مرسل) الذي توفي في تلة الخمرزل . والشيخ محمَّد الحداد في اللاثوم عين الكروم .

ـ الشيخ يونس حسن رمضان ١٨٨٠-١٩٣٠ ميلادية.

تاريخ المكزون وقصَّة البحث عنه ومراسلات تتعلق بالموضوع وهذا التاريخ أوسع ما جمع من أخبار المكزون وبعد استعراضنا تاريخ الشيخ يونس رمضان يتلخص بما جاء في تاريخ الدبس ونكتفي بأخذ هذه المقاطع من تاريخ الشيخ يونس حسن رمضان: في سنة (٦٢٨)[٢] قرر أي المكزون العودة إلى سنجار فأتى إلى طرطوس بعد أن ذلل كل الصعاب ولم يبق لأعدائه شوكة في البلاد، ثم اتجه شرقاً فمرَّ على جرجرة ولكنه ذهب إلى عفر حيث قضى فصل الربيع بكامله وهنالك حثَّه بعض أتباعه على القضاء على الإسماعيليين في مصياف .

ويقول مهنا بن سليم عن حيدر العاني عن الشيخ جمال بشمان عن خليل بن عمر الخزرجي عن سراج الدين الحموي وعن أبي عزيز الحلبي: ولقد ردَّ الأمير على ذلك حيث يقوله: نحن جماعة معدودة من أهل الإيمان نميل إلى التصوف والزهد وما جئنا

١) هل يتفق هذان التاريخان مع واقع الحال الذي يشار به إلى المكزون لأن المكزون يشير إلى رجوعه من هجرته سنة (٦٢٠) والدبس يحدد (٦١٨-٦١٩) هـ تاريخاً لفتح بلاد النصيرية . وهو يقول إن يوسف هو ولد المكزون توفي بعد قدوم أبيه إلى هذه البلاد بأربع سنوات . والوفاة على الأساس وقعت في بلاد النصيرية وبعد الرجوع بعامين .

٢) على أساس هذا التاريخ (٦٢٨) كلمة العودة إلى سنجار (٦٢٠) باطلة لأن التاريخ يقول إن سنجار في ذلك التاريخ كانت قد خرّبها المغول وشتت أهلها .

إلى هنـــا إلا لإعلاء كلمة الله وإظهار معالم دينه فإن بقي الإسماعيليون فنحن بحيـــث يعرفون. ومرَّ الأمير على العاصي في موكبه ومعه ابن أخيه الشيخ علي بن ممدود وسار إلى دمشق ومرض عاماً ونصف العام في كفرسوسة وعافاه الله عام (٦٣٠) وفي هـــذه الفترة ألَّف أدعيته، وبعد شفائه رجع إلى حمص وكان فيها نفرٌ من العلويين ومنها سار إلى تدمر ثم سار نحو الفرات ومرَّ بأرض الجزيرة واتجه شرقاً حتى وصل إلى سنجار وسُرَّ برؤية ابنه حسام الدين وإخوانه الصالحين وفي سنة(٦٣٨) مرض الأمير يوماً واحداً في قرية معملا التابعة لنـــاحية تلعفر في لواء الموصل وعمره خمس وخمسون حيث توفي.

هذا ما أخذنـــاه من مصدرين أحدهما كما يقول الدكتور أسعد مـــن المخطوطـــات الخاصة، والثاني من التاريخ العام وكلا هذه المعلومات لا تؤدي إلى نتيجة يطمئن لهـــا الباحث في كل الأحداث التي جاءت في هذه المعلومات.

بقي علينـــا أن نرجع إلى كتاب الأستاذ حامد حسن (**المكزون بين الإمـــارة والشـــعر والتصوُّف والفلسفة**) الجزء الأول فرأينـــاه بعد بحث طويل عن علاقة المكزون بابن عربي وابن الفارض وغيرهم من عمالقة الصوفية وقع عليه من الإشارات في أن المكزون ذهب إلى دمشق، نراه بعد كل هذا يقول: وعلى هذا لم يقم لدينـــا أي دليل يشـــير إلى أن المكزون استوطن دمشق وصحب ابن عربي ومات ودفن فيها هنـــاك في كفرسوســـة الكائنة في الغرب الجنوبي من مدينة دمشق وله مقام يدعى السنجاري.. فإذا كانت نسبة الأمير حسن المكزون هي السنجاري فهل تحتَّم أن يكون المقام المذكور هـــو قـــبره..؟ والسنجاريون كثيرون نذكر منهم على سبيل المثال: السنجاري المـــتكلم أحمـــد بـــن إبراهيم. والسنجاري أبو السعدات أسعد بن نجى والسنجاري عبـــد الله بـــن علـــي والسنجاري الفقيه عمر. والسنجاري الفقيه عمر تاج الدين. والسنجاري الســـمرقندي محمَّد بن عبد الرحمن. والسنجاري السكاكيني محمَّد بن عمر القدر. والسنجاري قـــوام الدين محمَّد، و السنجاري ركن الدين بن محمود بن حسين. والسنجاري شمس الدين محمَّد بن مبارك وأشار ياقوت الحموي إلى أن سنجار أنجبت عدداً كبيراً من العلمـــاء والأدباء والشعراء ذكر بعضاً منهم في كتابه معجم البلدان.

قلت: إن هناك قبراً يُدعى السنجاري في قرية كفر سوسة، يقدّسه الأهلون ويتبركون به ولا يحلفون به كذباً، وكان موقعه أمام باب جامع القرية المعروف بالجامع الكبير النعمري، الكائن في منتصف القرية من الجهة الشمالية ضمن حديقة صغيرة ، وإلى جنبه قبران آخران، وبين القبر وباب الجامع تقع بحرة ماء كما يسمونها وهي بركة معدّة للغسل والوضوء، وفي عام (١٩٢٨) ضاق جامع القرية بالمصلّين فأجمع رأي أهل القرية على توسيعه، واضطروا إلى إزالة القبور الثلاثة ومن بينها قبر السنجاري واشترى رجلٌ من القرية يقال له(محمّد زكي بقلة) بعض الأحجار لاستخدامها في بناء بيته وبينها شاهدة قبر السنجاري فاحتفظ بها و لم تزل في حوزته حتّى اليوم.

ويظهر أن القبر هذا قد جدد بناؤه في(١٢ جمادى عام ١٢٧٩) كما تشير الشاهدة المشار إليها وعليها بعد البسملة وتاريخ تجديد القبر، بيتان من الشعر كما ترى (في ١٢ ج بسم الله الرحمن الرحيم ١٢٧٩).

صلّى إلهي على المختار من مضر والأصحاب جمعاً وخص من كان في الغار
وأتباعهم والمكتفين بفضلهم غمّ الجميع، وزد من كان سنجاري

(هذا مقام الشيخ محمّد السنجاري قدّس سرّه)

وخلافاً لما جاء في كتب التاريخ عن قبر الأمير حسن المكزون وما ساد عقول الكثيرين من المهتمين بهذا الشأن، فإن القبر التاريخي هذا ليس قبر الأمير حسن المكزون قطعاً وإنما هو قبر شمس الدين بن مبارك السنجاري متوفى سنة (٦٥٤) أي بعد وفاة الأمير حسن المكزون بستة عشرة عاماً بدليل ما جاء في تراجم رجال القرنين السادس والسابع الهجريين(لأبي شامة الدمشقي) في حوادث (٦٥٤) وفي الصفحة(١٩٤) وهو كما يلي:"وفي يوم الخميس تاسع ذي الحجة وهو عرفة توفي شمس الدين محمّد بن المبارك السنجاري. وذكر من صفاته أنه كان رجلاً سخياً فاضلاً سمع معي(أي مع المؤلف) كثيراً من كتب الحديث وغيرها كما أسمعت ولدي محمّداً رحمه الله ثم سافر إلى مصر وحجّ الحرمين سنين كثيرة ثم قدم دمشق وأقام نحو عامين وتوفي، فتاريخ الوفاة بين المكزون وسيف محمد بن المبارك متقارب و لقبان أيضا متقاربان، فالمكزون يلقّب

بحسام الدين وسيف الدين وابن المبارك يلقب بشمس الدين والنسبة لكليهما هي(السنجاري) وإن كان تقارب تاريخ الوفاة و تشابه اللقبين والكنية الواحدة قد قادت المؤرخين إلى عدم التمييز بين أيهما المدفون في كفرسوسة فإن هناك أيضاً تشابهاً آخر يقودنا إلى الاشتباه وعدم التثبت وذلك حاصل من تقارب اسمي قريتين وكلاهما مُركَّبٌ من اسمين . هناك قرية تُدعى "كفرتوثة" بالتاء المثناة الفوقية المضمومة، والثاء المثلثة المفتوحة، بينهما واو ساكنة فتاء معقودة، وهي شبيهة"كفر سوسة" باللفظ والكتابة والتصحيف وتقع بين دارا ورأس العين. يقول ياقوت الحموي في معجم البلدان: كفرتوثة، أو كفرتوثة، أو كفرتوثا بضم التاء المثناة من فوقها وسكون الواو، وثاء مثلثة، قرية كبيرة من أعمال الجزيرة بينها وبين دارا خمسة فراسخ وتقع بين دارا ورأس العين ينسب إليها جماعة من أهل العلم. ومن المعروف أن بلدة سنجار تقع قريبة من هذه المواقع في الجزيرة فهل كل هذه توافقات تجيز لنا أن نفترض أن قبر المكزون في كفرتوثة لقربها من سنجار، وأن التشابه الذي ذكرناه بين الأسماء والكنى والقريتين أخلط في مفهوم المؤرخين فكان حسام الدين المكزون السنجاري في زعمهم هو المدفون في كفرسوسة لا شمس الدين السنجاري وأضاع عليهم اسم كفرسوسة اسم كفرتوثة .. إنه مجرَّد خرص .!

وفي أحد أعداد مجلة العرفان التي كان يصدرها في صيدا سليمان. أحمد عارف الزين، سؤال موجَّه إلى رئاسة تحرير المجلة مذكورة عن قبر الأمير حسن المكزون ولقد أجاب عنه العلامة (أنستاس الكرملي) بقوله: "هناك قرية عرقية قريبة من سنجار تسمَّى (معملا) وأهلها يكتمون عقائدهم وفيهم من يقال له الشيخ حسن وأهلها لا يحلفون إلا به، أي لا يكذبون إذا حلفوا به" (انتهى).

---

١) إن من الغرابة بمكان توجيه هذا السؤال إلى أشخاص لا يعرفون شيئاً عن المكزون ورجح أنهم لم يسمعوا به وهل أحمد عارف الزين وكرملي يعرفان عن المكزون أكثر مما يعرفه كثير من مفكري العلويين

يلاحظ مما سبق ودونـــاه من المعلومات التي لها علاقة بحيـــاة المكـــزون الســـنجاري ومواطن دفنه أنها بمجموعها ظنيَّة ولم نقف بها على ما تطمئن إليه قنـــاعتنـــا فكذلك عن طريق ما يتراءى لدارس المكزون على أنَّه من سنجار الموصل متنـــاسياً سنجار المعرَّة التي أشار إليها الأستاذ حامد حسن في كتابه(المكزون السنجاري) وإذا كـــان تـــاريخ الشيخ يونس حسن رمضان وكل إثباتاته تنحصر في أبنـــاء هذه الجبال، وما جاء بـــه أيضاً الأستاذ أسعد أحمد علي على لسان إبراهيم الخليل أيضاً ليس فيه ما يعتبر حجة في التاريخ ولا ما يستند إلى وثيقة ذات شأن، ونجد أن الأستاذ حامد حسن لم يأخذ بشيء من تلك المعلومات كنواة صالحة للإســـناد وأن تَصَوُّرَه أن سنجار المعرَّة هي مـــوطن المكزون السنجاري الصحيح نظراً لإمكانية المجيء منها إلى هذه الجبال، وإذا كان لا بد من الأخذ ببعض المعلومات التي استند عليها الشيخ يونس حسن رمضـــان وإبـــراهيم الخليل فيكون فعلاً سنجار المعرَّة هي المكان التي انطلق منه إلى هذه البلاد، ونلاحظ أن التخبُّط في الإشارة إلى موطن دفن المكزون لم تأت بما يقنع علـــى الإطـــلاق فكلـــها معلومات قائمة على الظن والتخمين والتصور الخيالي فليس في كفر سوسة ولا كفرتوثة ولا معملا ولا أي موطن من هذه المواطن ما يمكن أن يرتاح إليه الضمير الباحث عـــن المكزون السنجاري ويبدو لي كما أتصور وكم هو ما يشابهه في الكثير مـــن مواقـــع جبالنـــا هنـــا أن المكزون السنجاري وكثيراً من أمثاله إثر الحوادث والفتن التي كانت تقوم في المنـــاطق الشرقية بين الطوائف الإسلامية وغير الإسلامية هي الـــتي جعلـــت مكزون السنجاري يأتي إلى منطقة(حمِّين) ليتخذ منها مكانـــا بعيداً عن أعين أعدائـــه ومنهم يتربصون به، لأن المكزون السنجاري كنـــا قد أشرنـــا في مستهلّ هذا البحث أنه حضر أحد مشائخ المسلمين الشافعيين في بعض ما يتعلق بعقائد النصيرية وكان هذا حضر مسـ إلى رفع استفتاء من قبله إلى علماء المسلمين بما يتعلّق بمعتقد هذه الطائفة بعد

في عصره كالشيخ سليمان الأحمد شارح ديوان المكزون فلماذا لم يوجه السؤال إليـــه. وإني أتصـــور أن السائل من هذا الريف فإذا كنـــا نحن أبنـــاء الريف نجهل تاريخ عظمائنـــا فكيف نطلبه من الغير .

أن أشار إليه وما هو حكم الإسلام عليهم وكان من جرّاء ذلك أن تبرّع ابـــن تيميـــة بفتوى المشؤومة التي بسببها كان ما كان من حوادث مؤلمة في التاريخ، ولـــذلك نحـــن نتصور أنه كان مطلوباً من أعدائه ففرّ إلى هذه البلاد ولجأ إلى حمّين وتوفي فيها ودفن في هذا المكان الذي يشاهده كل من وفد إلى حمّين من الجهة الشرقية، وربمـــا يتســـاءل متسائل كيف خفي هذا المكان عن الكثيرين من النـــاس.. ؟

فنقول: إن حمّين التي لجأ إليها المكزون السنجاري قد خربت وخليت تماماً من السكان بعد وفاته والذي يؤكد لنـــا ذلك أن العقارات التي هي في نطاق حمّين كلـــها تحمـــل أسماء أصحابها الأقدمين مثال ذلك :"بيدر كريدي" "شكارة الشد" "مسيل الساحلي" "بيت سلامة" "بيدر رجُّوح" "بيت فوزي" "بيت زورة" فكل هذه البيوت لم يبق منها في حمّين ولا أثر إلا العقارات بأسمائهم ولذلك فقد أهملت زيارات حمّين خلال فتـــرة خراب حتى جاء إليها الشيخ معلاً حمين منذ ٤٠٠ سنة فقط وأعاد عمارتها واستوطنها من جديد واتخذها سكنـــا له ولذراريه باعتبارها تابعة لمنطقة تيشور العقارية ولذلك لم يأتِ في حمّين إلا من هو ينتسب إلى الشيخ معلاً حمّين. وكنـــا قد أشرنـــا في كتابنـــا "حمّين" إلى أن تيشور كانت ذات شأن في ذلك العهد وهي قريبة من طرطوس وصالحة لاستقبال اللاجئين لأنها غير محاطة بطوائف تتعصب للأحداث العقائدية ومثلها جارتها [illegible] نستطيع أن نحكم على (٣٠٠) سنة قبل ذراري معلاً حمين أن حمّين كانـــت [illegible] حتى الآن موقع اسمه خربة حمين، هذا من جهة وقد أشرنـــا إلى ذلك في [illegible]

من جهة ثانية قد يقول الذي يقول إن هذا المقام هو تشريفة. نقول إن كل تشريفة لها [illegible] تشريفات له في الأمكنة الأخرى إلا هذا المقام، فمثلاً نجد أن الشيخ علي [illegible] معروف في قرية صويري تلكلخ ولكن تشريفاته منتشـــرة بكثرة في [illegible] صافيتا) ونجد أن الشيخ أحمد قرفيص مقامه معلـــوم في قرفيص [illegible] منتشرة في كثير من مطاوي هذه الجبال وكثيراً مـــن [illegible] لا يكون لها فرع إلا هذه الزيارة (زيارة الشـــيخ حســـن

السنجاري) فهي الزيارة الوحيدة الموجودة لهذه الشخصية الفريدة ولا تشريفة أخرى في سائر مناطق سوريا. كما أننا نصر على التأكيد أن هذا المقام هو المقام الأساسي، لأن النظر إلى قدم الشجر المحيط به يعيدنا إلى تاريخ زمن المكزون، ولولا أن يكون هو المكزون فعلاً .. فلماذا اختاره كل من الرجلين المحسنين محمَّد إبراهيم والشيخ محمود حسن الحلبيان الأنصاريَّان ولماذا لم يختارا ولياً آخر معروفاً في البلاد ..؟ واختارا شخصاً يتساءل عنه المؤرخون في كل مكان حتَّى في سنجار وكفر سوسة ومعملا وغيرها تاركين أقرب منطقة وأول ضريح فيه الإشارة التي لا يساورها الظن ولا الريبة والتي لا يوجد سواها في كل البلاد السورية.

والغريب أن كلمة(سنجاري) في كفرسوسة حملت أحد مؤرخيه للبحث هناك وأما في حمِّين: فكلمة(حسن بن مكزون السنجاري) لم تجد من ينتبه إليها ويقوم بالتعرُّف عليها حتى ولا الإشارة إليها رغم قدم تاريخها ..!

كل هذا معناه أن الذين كتبوا عن المكزون لم يدر في خلدهم أنه غادر سنجار، رغم أنه لم ترد كلمة سنجار مطلقاً على لسانه إلا في مطلع رسالته تزكية النفس وأن الكثير من قصائد الديوان التي تعني بالجانب الاجتماعي، لا تشير إلى رضاه عن محيطه هناك، وفيها اللَّمح إلى تبرُّمه من بعض أصدقائه هناك كقوله:

أبعدتني وأنا إليك بمهجتي أتقرَّب وبغير ذنبٍ خلتني وزعمت أني مذنب

وكقوله:

يا غادرين بمن وفى ورعى العهود بمقلتيه
ضيَّعتم عهد الذي حفظت عهودكم لديه
وطلبتم الإحسان منه على إساءتكم إليه
وله عليكم مثل ما فرض الغرام لكم عليه

لابد هنا من رأيت من حكاية بينه وبين بعض أصدقائه فعاتبهم بهذا العتاب الخفيف. ولا يمكن تأويل رأيت تأويلاً صوفياً.

متابعة: مما تقدم يتبيَّن:

١- أنه لا يوجد مقام سواه في سائر أنحاء القطر.

٢- وجوده في هذا المكان المنخفض من جبال حمِّين لأنه مكان بعيد عن طرق المداهمة، وفي الوادي تحته مخابئ وملاجئ يسهل الاختباء فيها إذا تعرَّض السكان إلى مخاوف خارجية.

٣- التسمية ليس فيها التباس فالاسم والتسمية صريحة بالنسبة إلى ما هو مكتوب على صندوق الضريح.

٤- إن الشيخ محمَّد إبراهيم والشيخ محمود حسن الحلبيان الأنصاريان اللذان شيَّداه على أساس أنه هو المقام الصحيح لأن غابة الشجر حوله أقدم من تاريخ تشييده بكثير، ولولا هذا الضريح المحجوب عن الأنظار والذي لا يراه الزائر حتى يصل إليه من جهاته الثلاث الشرق والغرب والشمال والجهة الجنوبية هي وادٍ عميق والتسلق منه إلى الزيارة متعذِّر جداً، لولا هذا الضريح لما بقيت هذه الغابة الصغيرة مستقلَّةً عن تلك البقاع المحجوبة عن الأنظار بواقعها الضيق ورقعتها الصغيرة .. ولو كان تأسيسياً لاختارا له مكاناً مرموقاً في مكانٍ مطلٍّ في أعالي جبال حمِّين كما فعلوا للشيخ معلاً.

٥- إن كلمة سنجاري واعتبار ذلك هو مكان وجود المكزون ومكان إقامته جعلت أبناء حمِّين وغيرهم لا يفكرون في إمكانية أن تكون هي المقام الصحيح لمكزون وعدم معرفتهم بالأحداث الموجبة للتهجير، متناسين أن نسبة الإنسان تنتقل معه حيث يوجد. ولنأخذ على ذلك: شاعرنا(المنتجب العاني) فكلمة العاني نسبة إلى عانة العراق في حين أن محمد إقامته حلب وكل تاريخ حياته في حلب والشيخ(علي بن مقداد الخنبي نسبته حمي ومقامه في جبلة، والشيخ عبد الرحمن الحكيم الحلبي مقامه في قرية بوردة وهو من حلب وكثير من زيارات

بلادنـــا فيهم(البغدادي) و(العجمي) و(المصري).. الخ وهي زيارات محلّية تـــزار ولها قداستها.

٦- إن مؤرخيه أجمعوا على مجيئه إلى هذه البلاد، ولكنهم لم يجمعوا على عودته لأن أخبار العودة فيها ما يريب و لم يجمعوا أيضاً على مكان ضريحه فقـــد ســـبقت الإشارة إلى ذلك فيما تقدَّم. ولكنهم جميعاً أخذوا من كلمة الهجـــرة في أحـــد مؤلفاته منطلقاً إلى هذه التكهُّنـــات في حين أن كلمة الهجرة لا تعني ذلك وهي كلمة صوفية ومعنـــاها الهجرة في طلب العلم، والمكزون صـــوفي كمـــا هـــو معروف.

٧- أتصور أن مقام المكزون هذا موجود قبل وجود سكان حمِّين الحاليين فقد ورثوه عن السكان الذين كانوا قبلهم وقد أشرنـــا إلى ذلك في هذا الكتاب وإذا صحَّ ما رواه الشيخ يونس رمضان أن المكزون جاء إلى طرطوس فوجوده في حمِّـــين أصبح غير مشكوك فيه لأن الطريق بينهما قريب المسافة وسهل السلوك وهـــي كما قلنـــا آنفاً بلدٌ آمن، ولكنها أهملت فترة طويلة بعد خرابها حـــتى جاءهـــا السكان الحاليون فأعادوا لها اعتبارها مرَّة ثانية.

٨- جاء في الرسالة التي وجهها شهاب الدين أحمد بن محمود بن ميري الشافعي إلى علماء المسلمين يستفتيهم في أمور النصيرية والتي لم يجب عنها من علماء المسلمين إلا الشيخ تقي الدين بن تيمية والتي يذكر فيها أن بعض أكابر فضلاء النصـــيرية أنشد لنفسه في شهور سنة ٧٠٠ أبياتاً من الشعر مثبتة في ديوان المكزون كمـــا أنها "في المكزون" من أكابر أولئك الفضلاء، والذي ينبغي السؤال عنه هو لمـــاذا حتى المكزون هذه الأبيات بالذات لو لم يكن بينهما بحثٌ في هذا الموضوع..؟ وكنت صاحب مشارق أنوار اليقين أورد له خمسة أبيات من قصيدة "ليت شعري وأنّى حجب" وروى عنه بقوله أحد العارفين ..!

٩- فمن هنا يأتي يستفاد أن فتنة ابن تيمية استهدفت المكزون، ويستفاد منها أن تاريخ ومادة المكزون غير ما هو وارد عند المؤرخين، ومن هنـــا نستطيع أن نقول

إن المكزون هرب من البلاد الشرقية إلى هذه المنطقة لبعدها عن مناطق أعدائه والمتربصين به، والذي يتحرّك في مناطقنا يلاحظ أن الهجرة من المناطق الشمالية إلى مناطقنا كثيرة، فقد شاهدت في قرية الواسطات القريبة من طرطوس أضرحة أناس من قرية بسماليخ، وأخرى في قرية شباط لأناس من حربوق. أما الأبيات التي أشار إليها صاحب مشارق أنوار اليقين فهذه هي:

لبّيتُ لما دعتني ربّةُ الحجب ... وغبت عني بها من شدّة الطرب
تركيّةٌ في بلاد الهند قد ظهرت ... ووجهها في بلاد الهند لم يغب
ألوتُ تطل على أبيات فارسها ... إلى لؤي فصار الحسن في العرب
ولست ممن غدا في الحبّ متهماً ... وفي انتسابي إليه ينتهي نسبي
فكل صبّ تهوّاها وجاء برهان ... على حبّ ليلى فهو ابن أبي [1]

وها نحن نثبت الأبيات كما هي بالنسخة التي لدينا:

لبّيت لما دعتني ربة الحجب ... وغبت عني بها من شدّة الطرب
تركية في بلاد الهند قد ظهرت ... ووجهها عن بلاد الترك لم يغب
وألوت الحسن عن أبيات فارسها ... إلى لؤي فعاد الحسن في العرب
ولست ممن غدا في الحبّ متهماً ... وقد تعلّقتُ من لمياء بالسبب
وبالبتيم اقتدائي في محبتها ... وبانتسابي إليه ينتهي نسبي
فكل صبّ تهوّاها وجاء ببرهان على حبّ ليلى فهو ابن أبي

والقصيدة مجموعها تربو على ثلاثة عشر بيتاً كما هي في الديوان.

١٠ـ إن تاريخ سنة (٧٠٠) التي أشرنا إليه في المادة/٩/ هو سابق لتاريخ الحملة على كسروان ومنطقة غضون في سنة ستين أو بثلاث سنين يعني أن المكزون عاش في أيام عنف المعركة وشدتها. إذ من المحتمل أن شهاب الدين الشافعي والمكزون

---

١) هذه الأبيات يداخلها تغيير وتحريف فيما هو في نسخة صاحب المصور يقول إن والدة الحرستي سنة (٨١٣) أما تاريخ ولادته فغير معروف. والحرستي قال عن صاحب القصيدة إنه من المعرفين فقط ولم يقل إنه من أمرة وهذا يعني تغليب صفة العارف على الصفات الأخرى وهو أقرب معاصر له وكلمة عارف هي في التصوف خاصة.

كانـــا على تواصل وعلى محاورات بينهما فيما يختصُّ بالعقيدة وهذا كان هو الســـبب في نسج الحملة المشؤومة.

١١- إذا صحَّ ما ورد على لسان شهاب الدين الشافعي بأن تاريخ لقائه مع المكـــزون ســـنة(٧٠٠) يكون ما ذهب إليه مصطفى محمود المؤرخ المصري من أن وفاة المكـــزون ســـنة(٦٣٨) غير صحيح وقد يكون الصحيح هو ســـنة (٧٠٥) ويكـــون المكـــزون السنجاري بهذا عاش الأزمان بكل ما فيها من مشاكل ومخاوف وأخطـــار وطائفيـــة، ويرشدنـــا إلى ذلك التاريخ تأليف الرسالة(٦٢٠)وإخفائها إلى (٦٢٧) تاريخ لقائه مع بن مكَّة وإلحاح هذا الأخير بنشرها واعتذار المكزون بأنها مسوَّدة وهذا يعني أنه كـــان في سنٍّ صغيرة لا يطمئن بها على قدرته على التأليف ولكن جمال الدين ابن مكَّة شجَّعه على إظهارها، لاسيما والمكزون نفسه يقول إنه أهملها حياءً ممن يقف عليها لقصـــور عبارته في إيضاح معانيها، ولعدم ثقته بصحَّة نظره في ترتيب فصولها ومبانيها ومن هنـــا نستدل أيضاً على أن الهجرة لم تكن في سبيل الغزو وإنما كانت في سبيل العلم، والرسالة كانت أول تجربة يختبر بها معلوماته، أما كلمة (أمير) فلم ترد إلا في العصر الحديث.

لقد اطلعت على نسخة مخطوطة من ديوان المكزون يعود تاريخها لعام (١٠٨٧) بخـــطِّ الشيخ سلمان رضوان من درمينة جاء فيها تعريف كما يلي : **كتاب فيه ديوان مولانـــا الشيخ الإمام العارف المحقق المدقق الكامل الفاضل، قدوة العارفين وإمام المحققين،خلاصة نـــوع الآدميين،فخر الدنيا والدين، فيلسوف دهره وفريد عصره، صاحب الكشوف النورانية والمبحر في العلوم الربَّانية، الشيخ الرئيس والعالم النفيس أبي عبد الله وقيل أبي محمَّد، الحسن بن مكزون السنجاري، المتصوف النميري، قدَّس الله روحه ونوَّر ضريحه".**

والكتاب الذي أخذ عنه هذا الشرح سُرِق من معـــرض التوثيـــق القـــومي بدمشـــق سنة(١٩٩٨).ولوحظ أن هذا التعريف لا يختلف مع تعريف الجديلي له في تحريره.

الهجـــرة:

قلنـــا إن كلمة الهجرة في رسالة المكزون هي التي جعلت إجماع المؤرخين على أنها تعني هجرته من سنجار ثم رجع إليها، وكلمة هجرة كما ينبغي من سياق التعبير لما

بعد كلمة الهجرة أنها ليست هجرة بالمعنى المفهوم عند النـــاس، من النزوح عن البلـــد بغاية أو بغير غاية، وهذا التصوُّر هو الذي جعل البحث في حياة المكزون يفتقر إلى مـــا يؤيده في التاريخ العام والخاص فنحن إذا رجعنـــا إلى آثار المكزون لم نجد فيها أي دليل على ما كتبه عنه دارسوه من غزوات ومن مواجهات لصدِّ عدوان طوائف أخـــرى لا سيَّما وأن الطوائف الأخرى التي تشير البحوث والدراسات إلى أ ن الهجـــرة كانـــت لسبب دفع عدوانها عن إخوان المكزون في هذه الجبال، لم نجد في تواريخ تلك الطوائف ما يشير إلى تلك المواجهات حتى ولا في تاريخ أبنـــاء هذه الجبال إلا ما كانت تشـــير إليه الحكايات الأسطورية عند العامة.

والذي يتمعَّنَ في دراسة آثار المكزون يجد أن فنيين كتبوا فدراســـات عـــن المكـــزون وحدَّدوا تاريخ ولادته سنة (٥٨٣) ووفاته سنة(٦٣٨) وتحديد عمره بـــ(٥٥) عامـــاً أغفلوا ديوان المكزون وقصائده واستخراج ما يمكن استخراجه من هذا الديوان مما يثبت أو يشير إلى واقعة من معلومات قد تكون حقيقة فعلاً، فالديوان يعتمد على قصائد منها المطولات ومنها المقطَّعات، ونظم هذا الديوان قائم على أحوالٍ فيها الكثير من الحوادث بينه وبين الآخرين وهذه الحوادث كانت تجري في منـــاسبات روحية مختلفة، وفيهـــا الكثير من الحوادث والحجج الحقيقية وديوان كديوان المكزون بما فيه من أبعاد علميـــة وتحصيلية وإطلاع معمَّق على مختلف الأشكال الأدبية والبلاغية والمنطقية لا يتسنَّى لأي إنسان بمثل هذا العمر القصير فنحن حدَّدنا دارسوه أن يكون بهذا المســـتوى، فقصـــائد المكزون فيها المطوَّل والمقصَّر مما يدلُّ على أحوال وأزمنة لم تقتصر على مدى ســـنوات قليلة فهي حصيلة عمر طويل ودراسات ومطالعات كثيرة ليس من السهل أن يتســـنَّى للمكزون الإحاطة بها مع ما يحسب إليه من مواقف قتالية ومواجهات خصومية وما كان يكلِّفه ذلك من أمور تحول دون انقطاعه إلى المعرفة والتصوُّف والعلم لا سيَّما وليس في شعره أي إشارة للغزو أو مواجهة مع آخرين في غير التاريخ الروحـــي إلا قصـــيدة(إذا شئت برقاً للصوارم لامعاً) فالخلاف بينه وبين الآخرين على ولاية أهل البيت والتعرُّض لمعاني أحاديث نبوية يجدها غير محمولة على موضوع عقلي كالإجماع على حديث رواه

الخليفة عمر وأنكرته السيدة عائشة عن الرسول يتعلّق بعذاب الميت في قبره بقدر بكاء أهله عليه، ومنع فاطمة من الإرث وغيره مما هو وارد في التاريخ وفي قصائد المكـــزون ومقطعاته فهي غنية بهذه المواضيع، وبها الدلالات الواضحة.

بقي علينـــا أن نعالج تاريخ وفاة المكزون الذي نراه لا يتّفق مع ما يمكن أن يكون هو الصحيح، فالشيخ شهاب الدين احمد بن محمود بن ميري الشافعي يقول في رسالته التي وجهها إلى علماء المسلمين يستفتيهم بالنصيرية بعد أن شرح ما اطّلع عليه من عقائدهم، يقول:"وأنشدنـــا بعض أكابر فضلائهم شعراً لنفسه في شهور سنة ٧٠٠" وكنـــا قد أشرنـــا إلى ذلك في غير موضع من هذا الكتاب.

ونحن هنـــا غايتنـــا الإشارة إلى أن المكزون كان في شهور سنة(٧٠٠) لا يزال حيـــاً وهذا التاريخ هو أقرب ما يكون للحقيقة، لأن الشيخ الشافعي يشير إلى لقائـــه مـــع المكزون في ذلك الوقت، وأن اعتبار تَولُّده سنة (٦٠٥) يجعل من المقبـــول أن يكـــون تاريخ الشافعي صحيحاً، ولكن هذا التاريخ يلغي جميع ما اتفق المؤرخـــون الســـابقون عليه، لا سيَّما تاريخ زواجه واستيلاده أبنـــاءه وتوليتهم مكانه ووفاة بعضهم، كل ذلك من تصورات الخيال الذي لا يؤيده الواقع، ولا أدري كيف أخذ المؤرخون تاريخ الوفاة الذي أكثرهم اعتمده هو سنة (٦٣٨) ولا ندري عن أي المصادر أُخذ ذلك التاريخ ..؟

وإنني أرى أن الذين قالوا بوفاة المكزون كانت في سنٍّ مبكّرة عن (٥٥) عاماً مثلاً هم مخطئون لأن هذا التاريخ الذي وضعه الشيخ الشافعي يعتبر منطلقاً للبحث عـــن عمـــر المكزون الصحيح لا سيَّما وأنه يستفاد من قصيدته(طليق دموع لا يُفَكُّ له أسرُ) يستفاد من هذه القصيدة أنه عمَّر طويلاً بحيث فيها إشارات لا تخفى علـــى مـــن يتأملـــها، ويعتقد أن أحداً من المؤرخين لم يشر إلى التاريخ الذي ذكره الشيخ الشافعي وحدده بسنة ٧٠٠) قال المكزون (قدِّ):

وشيب الفتى فيه انتهاءُ شبابه ... وستر عوار الشائب الهرم القبرُ

فرحّ معقد عصر الشبيبة في العلا ... وقل لكبير المجد عمر الفتى مهر

وعف في الجد للمجد يافعٌ ... وعن قصد بيض المجد لا تنك السمر

ولا تحذر الأمر الذي هو صائرٌ إليـــــك فمنه عنك لن يغني الحذر
ومن في ابتداء العمر لم يغدُ فاتحـــــاً ثغور المعالي لا يُرام له نصر

إن هذه الأبيات تدلُّ على تجربة رجلٍ مسنٍ بلغ من الكبر مبلغاً استفاد منـــه كـــل الخبرات، وليست الحكمة وحدها هي التي أوحت إليه قوله: (وستر عوار الشائب الهرم القبر) وإنما بلوغه هذه المرحلة من العمر ومعرفته لما يعانيه الـــذين يـــدركهم الهـــرم والشيخوخة. ولابد من القول إن هنـــاك إشارة في بعض نسخ ديوان المكزون تشير إلى وجوده حياً سنة (٧٠٥)من ذلك نسخة بحوزة بيت الشيخ محمود مصطفى التلّة تشـــير إلى أنه زار المشهد الشريف الغروي(٧٠٩)هـــ وهنـــاك أقوال أخرى كلها تتعارض مع التاريخ الذي دونوه عن وفاته لا سيما وأن حوادث ابن تيمية كلها بدأت في مطلع سنة (٧٠٠) وسنعود إلى المراجع التي اعتمدها الدارسان الأستاذان حامد حسن والـــدكتور أسعد علي في كتابيهما عن المكزون لنعرض على القارىء الخلاف والإشكالات الـــتي ظهرت على ما دوَّنه الآخرون عن تاريخ وفاته. وهنا الخبر الذي ننقله من الجزء الرابع من كتاب(المختصر في أخبار البشر) للمؤرخ الملك عماد الدين إسماعيل أبي الفداء عـــن الأخبار والحوادث التي حدثت خلال القرنين السابع والسابع.. قال أبو الفداء: في هذه السنة(أي سنة ٦٩٩) سار جمال الدين آقوش الأفرم عسكر دمشق وغيره من عســـاكر الشام إلى جبال الظنيين وكانوا عصةً مرقين من المين فأحاطت العساكر الإســـلامية بتلك الجبال المنيعة وترجَّلوا عن خيولهم وصعدوا في تلك الجبال من كل الجهات وقتلوا وأسروا جميع من كان بها من النصيرين والعين وغيرهم من المارقين وطُهرت تلـــك الجبال منهم وهي جبال شقحة بين دمشق وصرخد، وعُدت الطرق بعد ذلك لأنهـــم كانوا يقطعون الطرق ويخطفون المسلمين وغيرهم ويكفرون(وفيها) استدعي تقي الـــدين أحمد بن تيمية من دمشق إلى مصر وعقد له مجلس وأُمسك وأودع الاعتقـــال بســـبب عقيدته فإنه يقول بالتجسيم على ما هو منسوب لابن حنبل.

تعليق: إن التاريخ الذي حدَّده صاحب تاريخ مختصر أخبار البشر هو أيضـــاً صـــالح لاعتماده كوثيقة تاريخية على أنَّ المكزون السنجاري عاش فترة تلك الأزمة التاريخيـــة،

ونلاحظ انه قد ورد في كتاب(تاريخ طرابلس) للدكتور عمر عبد السلام تـدمري، أن الحادثة المشار إليها في تاريخ أخبار البشر حدثت في العام(٧٠٥) ونستطيع أن نـرجّح أن التاريخ الذي وضعه صاحب المختصر في تاريخ البشر هو الأصح لأنه أقـدم مـن التاريخ الذي وضعه صاحب تاريخ طرابلس لأنه يفصل بينه وبينه(٧٠٠) عام. وجاء في تاريخ (فيليب حتى) إن تاريخ الحملة على النصيرية في لبنـان كانت(١٣٠٧) ميلادي يعادله بالهجرة سنة ٧٠٧هـ . ولما كان كل تاريخ من هذه التواريخ يختلف مع الآخر فنستطيع الاعتماد على التاريخ الوارد في كتاب المختصر في تاريخ البشر لأنه الأقرب إلى تكوين الأخذ به لمعاصرته تلك الحوادث تقريباً.

(ولادته ٥٨٣..؟). (وفاته ٦٣٨..؟) قـبره: جاء في كتاب الأستاذ حامد حسن قوله:" [illegible] كل المصادر التي عثرنـا عليها تشير إلى أنه ولد سنة (٥٨٣) وهي السنة التي تغلّب فيها صلاح الدين الأيوبي على الصليبيين وأجلاهم عن بيت المقدس وأنّ وفاتـه سـنة (٦٣٨) وعلى ما ظهر لنـا أن كل هذه المصادر مستقاة من أصل واحد فمـا نقلـه [illegible] في(الأعلام) وعزّت دروزة في(العرب والعروبة) والدكتور عبد الكريم أليـافي في(دراسات فنية في الأدب العربي) ومنير البشريف في (العلويون) وعبـد الله مرتضـى في(أعلام الدوار) ومصطفى غالب في(الفرق الباطنية في الإسلام) يكاد يكون مـأخوذاً عن محمد أمين غالب الطويل في(تاريخ العلويين) ولكنّ الطويل لم يشر إلى المصادر التي [illegible] وعنها مصادر سماعية متواترة، أو مخطوطات خاصة تحرّج مـن ذكرهـا [illegible] وأغفل الإشارة إليها. وأمام هذا الشك المتأتي من عدم ذكـر المصـادر [illegible] لم يبق لنـا إلا الاعتماد على التاريخ الذي أثبته المكزون نفسه في رسـالته [illegible] التي لا يرقى إليه الشك لا بل يجلو ويزيل كل الشـكوك، ومنـه [illegible] حوادث التي سبقت هذا التاريخ وتحديد زمانها على وجـه التقريـب [illegible] الأحداث التي أعقبت هذا التاريخ كزهده وتصوفه وتركـه [illegible]

أثبت المكزون في مقدِّمة رسالته التي سبق الحديث عنها في باب (آثار المكزون) قولـه: **"أما بعد فإني رجعت إلى مدينة سنجار بعد الهجرة، وقد أويت إلى ظلّ مـدينَ ووردت ماءهـا وأجرت نفسي وقضيت الأجل، وأكملت العدة، وخرجت مستأنساً نـار الهداية مـن وادي التجلي في مفازة الخير، وسمعت النداء من الشجرة المباركة العالية عن حدود الأيـن بواسـطة الداعي ووحي العقل وقد سألني من وجب حقّه عليَّ، وحسن ظنه بي وصحَّت الأخوَّة بـيني وبينه في المسارعة إلى شأنه في أن أؤلف رسالة جامعة لأقسام العبادات الخمس المشروعة علـى لسان النـاطق وذلك في سنة (٦٢٠) هـ.. وفي سنة (٦٢٧) هـ جرت بيني وبين سـعيد الموفق أبي جمال الدين بن مكّة مذاكرة في معنـاها فذكرتها له فسألني الوقوف عليها، فاعتذرت بعدم تنقيحها فأعاد السؤال ثانية وثالثة .."**

فنحن نرى أنه ساق قصَّة موسى الواردة في القرآن بطريقته التصوفية الخاصة وهذا كله لا يهمنـا هنـا وسيأتي مكانه عند الحديث عن التصوف وأساليب المتصوفة المرموزة، وأما ما يهمنـا الآن فهو رجوعه إلى بلدة سنجار بعد الهجرة وسؤال(من وجب حقّـه عليه) أن يؤلف له رسالة في العبادات، وأنه قام بتأليفها سنة(٦٢٠) هـ وذكرها للسعيد الموفق سنة(٦٢٧) هـ. فإذا صحَّت ولادته سنة(٥٨٣) فيكون عمره يوم عودته مـن الهجرة وتأليفه الرسالة(٣٧) عاماً وهذا السن يخوَّل من بلغه السيادة والقيادة والنضوج الفكري، أما من حيث السيادة فقد كان يومئذ أميراً خطيراً له أنصاره وأتباعه الكثيرون كما تدل أخبار غزوتيه اللتين قام بهما. أما من حيث القيادة فقد قاد الجيـوش وغـزا غزوتين متواليتين في الأعوام (٦١٧-٦١٨) هـ و(٦٢٩ـ ٦٣٠) هـ .على اختلاف المصادر التي تتراوح بين هذه السنوات الأربع، ويعزز هذا التاريخ صاحب مختصر تاريخ العرب ويؤيده ويشبهه في مختصره هو من حيث النضوج الفكري فيكفي الدلالة عليه رسالته المشار إليها وسيجد القارئ تمدح منها وفيها الفكر الثاقب والعقل النـاضج والرأي الراجح والثقافة الواسعة وهذا يخولـه أن تسلم مع التحفظ" أن ولادته كانت سنة(٥٨٣) أو قريبة من هذا التاريخ، ولكن هنـاك سؤال هو: لم ألَّف رسالته سـنة (٦٢٠) وأخفاها إلى سنة(٦٢٧) قبل أن يظهرها ..؟ وما معنى اعتذاره لسعيد الموفق أبي

حسن بن مكّة ..؟ هل يدلُّ هذا إلى أنه ألّفها في سنٍّ مبكّرة وقبل أن ينضج فكرياً ويستحرّج[1] من إخراجها وإذاعتها، أم ذلك تواضع منه وإكبار لقيمة العلم وقدر العلماء ؟ فكلا هذين مقبول لأنه كتب بناء على سؤال ..هذا مع العلم أنه ألّفها بعد عودته من الهجرة، فهل الهجرة كانت قبل الغزوتين أم بعدهما ..؟ أم أطلق على الغزوتين والسنوات التي تمّت بها اسم(الهجرة)..؟

الشيخ حسين حرفوش صاحب موسوعة غلاة الشيعة يقول: إن ولادة المكزون كانت سنة (٥٩٠) هجرية وأنّه نبغ بأول القرن السادس لأن تأليفه لرسالة تزكية النفس كان (٦٢٠) هـ وأبقاها مسودة ست سنين حتى سأله تنقيحها العلاّمة جمال الدين وله التصانيف الحسنة المشهورة منها، تزكية النفس ورسالة أخرى يردُّ فيها على الثامنة ذكرها الجديلي في تجريده ووصفه بالعالم الفاضل شيخ مشايخ الحقيقة ومبيِّن معاني الأسرار الدقيقة قبلة العارفين أبو الليث الحسن بن مكزون السنجاري وهذا يختلف مع بقي مؤرخيه حسب الرواية عن تاريخ الدبس أنه فتح بلاد النصيرية(٦١٨- ٦١٩).

مقارنة وتحقيق:

والكلام للأستاذ حامد حسن: في مكتبة السيد طه العاني في بغداد نسخة من ديوان الأمير حسن بن مكزون وردت فيها رواية مجد الدين علي بن النقيب التي أوردناها في فصلٍ سابق من هذا الكتاب، ولكنها(أي نسخة بغداد) تحدد زيارة الأمير حسن بمشهد الغروي سنة(٦٧٩) مع أن النسخة التي لدينا تحدد هذه الزيارة عام(٧٠٥) ونفرق بين الروايتين ستّة وعشرون عاماً، فإذا أردنا أن نحدد عمر الأمير بالنسبة لتاريخين المختلفين المشار إليهما في رواية ابن النقيب معتمد بن علي، المصدر الثابت

---

[1] إن الاعتذار بعدم تنقيح الرسالة أولاً: دليل على أنه ألفها وهو صغير السن قبل أن يكون واثقاً من نفسه. وثانياً: إن إلحاح سعيد الموفّق للإطلاع عليها أيضاً يدل على التشجيع لإظهارها كما سبق لنا أن رجحنا هذا الرأي لأن الاعتذار عن إظهارها بسبب عدم التنقيح دليل على أنه ألّفها بسن مبكرة وقبل أن يحصل على نضج فكري وأن إلحاح سعيد الموفق أبي جمال الدين بن مكّة للإطلاع عليها كان بعامل تشجيع وترغيب

الصحيح أي تاريخ رسالته(٦٢٠) وافترضنا أن عمره يوم عودته من الهجرة والشروع بتأليف الرسالة هو ثلاثون عاماً على الأقل أي سنُّ النضج العقلي والفكري الذي يخوِّل صاحبه قيادة الجيوش، وإدارة الحكم والتأليف فيكون عمره يوم الزيارة بالنسبة لرواية نسخة بغداد هو ٣٠+٥٩=٨٩ عاماً، وهو عمر غير مستبعد ويعطينا تفسيراً منطقياً لتلك الأعمال الكبيرة من سياسية وفكرية التي يقتضي إنجازها عمراً كبيراً. وعلى هذا تكون ولادته حوالي(٥٩٠)هـ. وهذا التاريخ قريب من الأقوال التي تحدد ولادته عام (٥٨٣)هـ إذا أخذنا التاريخ الوارد بالنسخة التي لدينا أي أن الزيارة كانت عام(٧٠٥) هـ فيكون عمره وفق الفرضية التي فرضنا ٣٠+٨٥=١١٥ عاماً، وهذا مردود لأنه لم يسمع عنه أنه كان من المعمَّرين. وهناك رواية أخرى وردت في مخطوط خاص تشير إلى أن ولادته بين(٥٨٣) و(٥٩٠) هـ ولكن هذا الترجيح وإن توافق مع التاريخ الوارد في نسخة بغداد فإنه يتعارض مع ما أورده صاحب مختصر تاريخ العرب وهو أن الأمير حسن المكزون عندما جاء غزيا، ترك ولده حسام الدين على إدارة الإمارة في سنجار، فإذا كان بلغ الثلاثين من عمره يوم الغزوة الأولى أي عام(٦١٧) كما افترضنا فكم يكون عمر ولده الذي ترك له مقاليد الأمور ..؟ إنه على أقل تقدير لا يقل عن عشرين عاماً، وعليه فلا يكون عمر الأمير خمسين عاماً يوم غزوته وتصبح ولادته حوالي (٥٧٠) هـ

هذا من جهة، ومن جهة أخرى يقول صاحب مختصر: إن ولد الأمير حسن المسمى يوسف والملقب(بأبي غزية) رزق ولده في الغزوة وتوفي بعد ذلك بأربع سنوات ودفن بالقرب من موقع معروف الآن(عين لكروم) وقبره الأثرية لم تزل تزار للآن.

---

١) كنا أشرنا على صحيفة (٥٤) من هذا البحث أن مرجوم الشيخ حسين حرفوش قال: يظهر أن ولادة المكزون(٥٩٠) وذلك في موسوعة غلاة الشيعة.

٢) هذا مما يختص بولادته ولعلنا في الأجزاء القادمة نعثر على ريحة يضاح حول هذا الموضوع فنتداركه.

وعلى هذا فإن الأمير يوم مجيئه ترك ولداً راشداً يدير الإمارة واصطحب ولداً راشداً أيضاً وتوفي بعد الهجرة بأربع سنوات وترك أعقاباً وذرية، وكل هذا يدلُّنا على أن الأمير يوم هجرته كان عمره يقارب أو يتجاوز الخمسين عاماً، وبذلك يتعيَّن أن تقع ولادته في النصف الثاني من القرن الخامس، ومصدر آخر يشير إلى أن الأمير استخلف ولده نجم الدين وهو أحمد على إمارته في جبال اللاذقية ثم رجع إلى سنجار وسلك طريق التصوف، وكل ذلك يؤيد ما ذهبنا إليه من أن ولادته في النصف الثاني من القرن الخامس الهجري لأن أولاده كلهم كانوا في سن الرشد والنضوج بين عام(٦١٧) وعام (٦٢٠) هـ.[1] أما وفاته فلم نستطيع تحديدها وإن كانت بعض المصادر السابقة قد حدَّدتها سنة(٦٣٨) وهي السنة التي توفي فيها معاصره محي الدين بن عربي الحاتمي الأندلسي " هذا ما أورده الأستاذ الشاعر حامد حسن في كتابه المكزون السنجاري وقد أورد به جميع الاحتمالات الممكنة للعثور على حقيقة ولادته ووفاته ومكان قبره، وفي هذا الموضوع الكثير من الأمور التي تتناقض مع بعضها لأنها لم ترد عن مصدر يمكن الأخذ به ولا يتوافق مع صحَّة ما هو وارد في تاريخٍ هو أقرب إلى زمانه ومكانه وهو الرسالة التي أرسلها شهاب الدين الشافعي إلى علماء المسلمين وأجاب عليها ابن تيمية فحص وبسببها كانت المذبحة التاريخية في النصيرية في لبنان وبقية المناطق الإسلامية.

إن اعتماد الأستاذ حامد حسن على الأخذ بصحَّة الغزوتين وصحَّة تاريخ الرسالة(٦٢٠) هـ أنه كان بعد الهجرة، واعتبار تلك الهجرة كانت فعلاً في سبيل المواجهة الخصوم كل ذلك جعل تاريخ المكزون مشوشاً وقلقاً، فالهجرة كما يبدو من المكزون بالذات كانت في طلب العلم والمعرفة الصوفية ولم تكن في سبيل مصلحة أخرى حيث يشير إلى انه في تلك المدة آوى إلى ظل مدين وورد ماءها وآجر نفسه وقضى الأجر وأكمل العدَّة وخرج مستأنساً نار الهداية من وادي التجلّي في مغازة حيث وضع نعله من الشجرة المباركة العالية عن حدود الأين بواسطة الداعي ووحي

العقل..إن هذه المعلومات تفيد أن الهجرة كانت بسببها فقط، وهي أمـــور روحانيـــة صوفية بحتة، وهي بذاتها وبدلالتها تلغي ما دونه مؤرخوه من حوادث الغزو والتـــاريخ الذي وضعوه لتلك الحوادث.

فالمكزون حتماً من مواليد الستمائة وليس قبل، والقول بزواجه من ابنة الأصلح أمـــير حلب مبني على الظن والفرضية، ونرى أن السنَّ الذي حدَّده له بعض دارســـيه غـــير صحيح ونرى انه امتد به العمر إلى العام(٧٠٠) اعتماداً على أقرب تـــاريخ دوِّن عنـــه ويشير إلى أنه لا يزال حيّاً، وإني أتصور أن ولادته كانت سنة(٦٠٥) لا (٥٨٣) وهذا يتلاءم مع نصوصه الشعرية. وأيضا مع ما ورد بقلم الأستاذ حامد حسن عن نســـخة الديوان الموجودة بمكتبة السيد طه العاني في بغداد وفيّ تحدد زيارة الأمير حسن للمشهد الغروي بسنة(٦٧٩) هـــ. وقوله: مع أن هذه النسخة فيّ لدينـــا تحدد هذه الزيارة في عام (٧٠٥) هـــ والفرق بين الروايتين ست وعشرون عاماً. وفي هذه الأيام عثرنـــا على نسخة كانت في مكتبة بيت الشيخ محمَّد محمود مصطفى(تلّة الخضر) جاء فيها أنها قوبلت على نسخة بخط الشيخ هلال النـــاسخ تاريخها(٧٩٩) ونَقَلَ (يعني نـــاسخ الكتاب) عن خط السيد النعام فعنهم الشيخ عبد اللطيف غانم وذكر هلال النـــاسخ أنه نقل عن خط مؤلفها قدَّس الله هذه بالنسبة إلى تاريخ النسخة، أما بالنسبة إلى حادثـــة مجد الدين ابن النقيب المرحوم عمه الحسين المعروف بابن كبتلة فقد وردت كما يلـــي في نسخة بيت الشيخ محمود مصطفى قال: حدَّثني المولى السيِّد الأجل العالم العامل الفاضل مجد الدين علي بن النقيب مرحوم عمه الدين المعروف بابن كتبلة الحسني قـــال: قـــدم الشيخ حسن بن المكزون السنجري(لاحظ لم يقل الأمير) إلى المشهد الشريف الغروي على مشرِّفه السلام زائراً في موسم سابع وعشرين من رجب(٧٠٩) هـــ تســـعة وسبعمائة، فعند الحضور في خدمته سألته أن يوردني شيئاً من أشعاره، قال: فأنشدني من منظوماته هذه الأبيات .. وأنشد له قصيدة وَردت في كثير من نسخ الديوان ومطلـــع القصيدة:

لك الخير عرِّج بي على مربعهم فذي ... مروع يفوح المسك من عطرها الشذي

واستتباعاً للمقارنة التي أجراها الأستاذ حامد حسن، فإن حديث الزيارة هذه يختلف تاريخه عن تاريخ نسخة السيد طه العاني وعن تاريخ النسخة التي كانت عند الأستاذ حامد .. فبأي التواريخ ناخذ ..؟ ولا يمكن أن تكون وضعت هذه التواريخ على غير أساس، ولكن ما يمكن أن يكون حصل من أخطاء النسّاخ هو الذي عرّضنا لهذه الإشكالات وعرّض التاريخ إلى هذه التناقضات .

والآن نرجع إلى ما جاء في كتاب الدكتور أسعد أحمد علي(معرفة الله والمكزون السنجاري) قال حفظه الله:

نصوص المكزون.. واقتراحٌ وافق قناعتي:

المكزون السنجاري واحد من مفكري العصر العباسي الرابع اختلفت فيه الأقوال واعتبره البعض أحقٌّ من أبي العلاء المعري بالقول(إنه فيلسوف الشعراء وشاعر الفلاسفة) واعتبره البعض الآخر نموذجاً أولياً للمثقف العربي الحديث، وأول شاعر عربي حاول أن يّعبر عن الإيديولوجيا التي يؤمن بها شعرياً، وقيل فيه(إنه من نوابغ الفلسفة الروحية) بل هو(فيلسوف التوحيد) شاعر الإسلام ومغني المعرفة في القرآن وشارح فلسفة القوة فيه ..كان أميراً، فتصوَّف وأحدث انقلاباً في الدين وعبَّر عن الرمزيين في عصره ومهما يكن من أمر هذه الأقوال وغيرها فقد بنيت دراستي(معرفة الله والمكزون السنجاري) في الأبواب الثلاثة السابقة على نصوص مخطوطة للمكزون وعنه... لذلك رأيت أن أثبت في هذا الباب الرابع ما تبينت صحته من النصوص المنسوبة إلى المكزون وقد أهملت بعض النصوص لأنها غريبة عن الروح المكزوني العام وهي على الأرجح من سحو إليه أو المدسوس عليه أو المصحَّف أو المحرَّف بالنسخ، وربما كان بعضها من قبل الشطح الذي لا يؤخذ به صاحبه لأنه يتراجع عنه فور صحو. يؤيد هذا الترجيح ما حققته من مقارنة نسخ المخطوطات ببعضها، وما استبعته من سائر ما أوصلني عن المكزون مما جمع(معرفة المكزون) واضحة الأصول والفروع في نظري .. ولا أدَّعي أنني استطعت تصفية نصوص المكزون تماماً من كل الشوائب المنحولة والمدروسة والمحرَّفة والمشطوحة. لكنني حاولت محاولة أولى بدأتها عام(١٩٥٨) وكنت المحاولة متقطعة

قمت أثنـاءها بأعمال أخرى منها: دراسة الحقوق والفلسفة، ومنها كتابة بعض البحوث العلمية الجامعية ولما كانت(معرفة المكزون لله) أحد البحوث الجامعية التي اشتغلت بها وموضوعاً لرسالة الدكتوراه في الفلسفة فقد اقترح الأستاذ الأب ميشال آلاد رئيس معهد الآداب الشرقية في الجامعة اليسوعية أن أوثق موضوعي بقسم النصوص هذا ، لأن المكزون لم تطبع آثاره بعد، والدراسة على النصوص المخطوطة تظل مشغلة للقارىء حتى تنشر النصوص فيتأكد بنفسه، ويفهم بطريقته ويقارن بين النصوص وفهم الدارس، ووافق الاقتراح قناعتي فجمعت ما أمكنني من النسخ المخطوطة وقابلت بعضها ببعض، وأثبت من المتن ما رأيته الأصح، وأشرت إلى الاختلافات بين النسخ في الهوامش وفي التعليقات كلّما دعت الضرورة، وميّزت بين النسخ بوضع رموزٍ لها أثبتها قبل النصوص في كل أثرٍ مع وصفٍ سريعٍ لكل مخطوطة، ثم وزّعت نصوص المكزون المعتمدة إلى فصلين: الفصل الأول لشعره، والثاني لنثره وألحقت بهما فصلاً ثالثاً جمعت فيه أخبار المكزون، وأضفت فصلاً رابعاً للتعليقات والشروح ومواضع الخلاف بين النسخ وختمت هذا الباب بصناعة الفهارس التي تيسِّر الاستفادة منه.

هذا ما أورده الدكتور أسعد أحمد علي باعتبار أننا أوردنا في الصحائف السابقة ما أورده الأستاذ حامد حسن عن المكزون السنجاري وتاريخه بسائر جوانبه، فإننا نورد الآن ما جاء به الدكتور أسعد أحمد علي في الموضوع ذاته لنرى وجه التباين والتوافق بين الطرفين قال الدكتور أسعد أحمد علي (أعني بالمصادر نصوص المكزون وبالمراجع ما كتب عنه قديماً وحديثاً. وبذلك تأتي آثار المكزون بالدرجة الأولى بل مقياساً توازيه أقوال المراجع الأخرى، وللمكزون أربعة آثار هي: ديوانه؛ رسالته؛أدعيته؛ وكتابٌ مفقود [illegible] وهذه المصادر على غزارتها المعرفية لا تروي الباحث عن تاريخ لأن صاحبها لم يأبه بذلك، ولم يشر إليه صراحةً.

أما الآثار التي ذكرت المكزون فقديمة وحديثة، حيث نسبت القديمة إلى معاصرين للمكزون وأهمها أربعة وهي: كتاب التجريد لحاتم الطوباني .وصف سياحة

المكزون:لحسن بن هاني اللاذقاني وتُعرف (بسياحة الإخوان). وصف ثان للسياحة:لبدر الحويلا.. فحسن وبدر كانا في صحبة المكزون بالسياحة، تغريبة مرسل وحسن: لسليم الأدهم، ويعني بحسن المكزون وبمرسل عمه، تصف هذه المراجع أحداثاً عاشها المكزون، ولكنها لا تحدد تلك الأحداث وإن ذكرت الأماكن أحيانا. وتنسب معظم الآثار الحديثة إلى مؤرخين عاشوا في العصر الحديث وهي نوعان:مطبوع؛ ومخطوط؛ ويمكن وصف المراجع القديمة والحديثة التي ذكرت المكزون بأنها خاصة،لأن كتب التاريخ العام أو تاريخ الأدب، لم تشر بقليل أو بكثير إلى ما أشارت إليه هذه المراجع في كل ما يتعلق بالمكزون السنجاري، وأهم المطبوع من المراجع الحديثة؛ ما كتب محمد أمين غالب الطويل المُتوفّى سنة (١٩٢٦) عن المكزون في كتابه(تاريخ العلويين) وأهمية هذا المرجع تعود إلى اعتماد الباحثين عليه، فقد اعتمد كل من تناول المكزون تاريخياً لأنه أول مرجع معروف يتحدّث عن حياة المكزون، وعن تأثيره في عصره وعن قيمة فكره، لكن هذا لا يعني أن نطمئن لما ورد فيه أولاً: لأن صاحبه لم يذكر المصادر التي استقى منها معلوماته، فهي من عنده‌اياته ومن السماع غير الموثوق، كما يقول الشيخ عبد الرحمن الخّير في تقديمه للطبعة الثانية من الكتاب نفسه.

ثانياً: لأن المؤلف نفسه يعرف أن كثيراً من أحاديثه عن تاريخ المكزون أشبه بالخيال .. بل يصف الإطار الزمني الذي تحرّك المكزون فيه بأنه العصر الخيالي في تاريخ العلويين.

ثالثاً: لأن نصوص المكزون الأصلية، تخالف ما ذهب إليه الطويل في تاريخه، ففي الوقت الذي يقول فيه المكزون إنه كان في مدينة سنجار العراق يشرع في كتابة رسالته، يقول الطويل: بل كان يزحف على منطقة العلويين في سورية بخمسين ألف مقاتل ما عدا النساء والصبيان، وهذا النوع من الإرغام للمكزون، يكون في التاريخ غير ما كان سمة تتحكم من تبني الآراء المتعلقة بتاريخه، لأن التاريخ العام لا يقول عنها شيئاً، ولأن الحديث يناقض نصوصه من جهة، وتتناقض من داخلها وتنقض بعضها بعضاً من جهة ثانية. كما سنرى في سيرة المكزون، هذا بالنسبة للقسم المطبوع من المراجع، أما القسم المخطوط فعندي منه نموذجان) الأول منسوب لمطران ماروني

والثاني مؤلَّف لشيخ علوي كتبه بخطِّه، وقد أثبتها في المجلد الثاني، ودفعاً للتوهم في قيمتها(أما التاريخ الأول) فيقع في حدود صفحة واحدة في بعض النسخ وفي حدود صفحتين في النسخ الأخرى، وينسب إلى المطران يوسف الدبس (١٨٣٣-١٩٠٧) يقول الذين اعتمدوا عليه إنه منقول عن كتاب للمطران اسمه(الموجز في تاريخ العرب) وبعضهم يسميه(مختصر تاريخ العرب) ويزعمون أن هذا الكتاب من مخطوطات البطريركية المارونية في لبنان وأنه كتاب ماثل للطبع.

غير أن الكتاب الماثل للطبع منذ حوالي سبعين عاماً لم يطبع، وأكثر من ذلك لم نعثر على ذكرٍ له في الكتب التي أرَّخت للمطران الدبس، ومع كل هذا لم نفقد الأمل فقد حاولت مع بعض أصدقائي العثور عليه بين مخطوطات البطريركية المارونية في لبنان وحتى الآن لم نعثر عليه أو على شيءٍ يشير إليه، ولا ندري فقد يكون هو والمخطوطات التي تشبهه من معطيات العصر الخيالي كما يقول الطويل.

(أما التاريخ الثاني) فتاريخ الشيخ، وقد ألّفه وكتبه بخط يده الشيخ يونس حسن رمضان (١٨٨٠- ١٩٣٠) وهذا المؤلف أكمل ما كتب عن سيرة المكزون، بغض النظر عن سلامة مادته وتناقضاته الداخلية، فالشيخ قام بتتبُّع المؤرخ الجاد وروحية المحقِّق الذي يُحب أن يعرف الحقيقة وقد يكون اطَّلع على ما كتبه الطويل، وربما اطلع على ما ينسب إلى المطران الدبس، فقد نشر الكتاب الأول قبل وفاته بثماني سنوات وكان في أواخر العقد الثالث عندما توفي الثاني.. يقع المؤلف مع الرسائل والمقدمات في حوالي اثنتين وثلاثين صفحة من القطع المتوسط، والغريب أنه وقع في ما وقع فيه سابقاه .. فلقد اتفق مع الطويل بمخالفة نصوص المكزون، إذ يذكر المكزون أنه ألَّف رسالته في مدينة سنجار العراق، ويقول هو بل ألفها في سورية، لكنه يختلف معه بوفاة المكزون مثلاً. فالأول يقول إنها في كفر سوسة القريبة من دمشق، أما هو يرى أنها كانت في قرية معملا التابعة لناحية تلعفر في لواء الموصل وتقع شرق سنجار العراق، وكذلك يقف مع المطران مرَّة ويختلف معه مرَّة أخرى فمثلاً يتفقان على أن للمكزون حروباً وقهراً للأكراد، ويختلفان في قضية زواجه مثلاً، يخلع عليه المطران روحه المسيحية ويجعله

غسانياً مثله ولا يزوجه إلا زوجة واحدة رزق منها ثلاثة أولاد ذكور. لكن الشيخ لا يرضى بهذا ..ويسبغ على جدِّه الروح الإسلامية فيرضى بغسانيته نسباً ولكنه لا يرضى بنصرانيته مذهباً، فيزوِّجه ثلاث نساء يرزق منهن ثلاثة عشر ولداً كلهم ذكور.. المهم جمع الشيخ كل ما أمكن من الوثائق وبنى عليها بل نسخ منها قصة متكاملة الفصول لسيرة المكزون في رأيه ووصف طريقته في جمع الوثائق وفي نقله وصفاً يدل على صبر العالم وإخلاصه لموضوعه ومنهجية المؤرخ الصحيحة، حيث يقدم المصادر القديمة على الحديثة، فقد قضى بالتتبع والاستقصاء حوالي عشر سنوات ولقي أكابر العلماء وذاكرهم بهذا الشأن فشجعوه وأثنوا على بادرته الطيبة وشكرهم في آخر ما كتبه حول المكزون لأنهم بثوا العزيمة الصادقة فيه ودفعوه إلى خلق هذه الكلمة، والجميل في كلمته كما يسمِّيها أنه يطلع القارئ على عمله خطوة خطوة فيذكر أين وجد كل نسخة من وثائقه المتعلقة بالمكزون، ويصف هذه النسخ، في أية سنة كتبت ومن كتبها ، وعمّن كتبها وعدد صفحاتها ونوع خطِّها، ثم يصف طريقته بالنقل عنها وكيف كوَّن منها كلماته حول المكزون فيقول بعد وصف الوثائق: " هذا بالنسبة للوثائق ، أما بالنسبة للنقل فإنه حيث الإجماع على حادثة أعتمد بالدرجة الأولى على صاحب الوثيقة الأقدم وذلك واضح من خلال البحث ولا يمنعني ذلك من ذكر الذين أرَّخوا ذلك من بعده . أما في حين الاختلاف حول حادثة ما فإني أذكر آراء المؤرخين جميعاً ثم أذكر ما تطمئن إلى صحَّته نفسي وما تميل إلى الشك فيه وفي صحته وهذا منهج سليم لأنه يظهر محبَّته لحقيقة من جهة، ولأنه يفتح باب الشك في وثائقه من جهة ثانية فهو ليس مطمئناً إلى كل الأحداث التي تذكرها وثائقه، ولكنه يرجِّح فيما بينها، وقد جمع اثنتي عشرة وثيقة يصف أنها كل ما كتب عن المكزون ، لأنه قام بجملة استقصاءات وتتبُّع للنتف التاريخية المتعثرة في زوايا بيوتات علوية كثيرة. وكتب إليه ابن خاله الشيخ رمضان رسالة ذكر فيه لا يسمع الآن بأية نسخة أخرى إلا تلك الوثائق الاثنتي عشرة .. ثم رجع الشيخ المؤرخ فأقام لجدِّه المكزون بناء سيرة يستطيع اللجوء إليها السائرون إلى معرفة مكزون.. ولجأت إلى هذا التاريخ، بل أنا أول اللاجئين إليه، فاستأنست

بالمعلومات التي لم تذكر عن المكزون في أي مرجع آخر وقارنتها بنصوص المكزون كلها ما أمكن ذلك، كما قارنتها بالنصوص المنسوبة إلى معاصرين للمكزون. بذلك يكون منهجي في عرض سيرة المكزون في بيئته وعصره رباعي الأركان أي أنني أقمته على أركان مصدرية ومرجعيَّة أضع خطّتها الموجزة هنا، لتكون الإشارة إليها واضحة وهي:

١) نصوص المكزون: وما اتضح لي منها في الكتابين السابقين(كتاب المنهج) و(كتاب المعرفة) و أسميِّ هذه النصوص (مصادر الدرجة الأولى) مع أنني أستبعد قسماً منها لاعتقادي أنه منحول للمكزون وأنه لا يتفق مع روح معرفته العام.

٢) نصوص معاصرة له: أي النصوص التي نسبت لجماعة عاصروا المكزون، وتحدّثوا عن تغريبته هو وعمُّه الأمير مرسل[1].. وعن سياحته وعنه إجمالاً، وأقول عنها نسبت لاعتبارات تتضّح من العرض وتحمل على الشك في صحَّة بعضها إن لم تحمل على الشك بها جملةً وتفصيلا، لذلك رأيت إثباتها لتمحيصها.

إذاً ما الحيلة في قول قد قيل، وقد لا تكون لعقلية التاريخية فيها غريبة على عقلية ذلك العصر، فقد أثبتوا الأحلام مصدراً تاريخياً، وبنوا عليه نسب ابن الفارض مثلا .. وابن الفارض معاصر للمكزون، وهذه النصوص المعاصرة للمكزون أو المنسوبة لمن عاصروا المكزون أسّميها مصادر الدرجة الثانية أو المراجع القديمة.

٣) نصوص عصرية مخطوطة: وهم مخطوطات هذا النوع ما كتبه الشيخ يونس حسن رمضان، و لن أنسى ما ينسب لمصطفان الدبس، واعتبرت هذا النوع مخطوطة ترد إلى حوالي مائة و خمسين عاما، وهي قصيدة للشيخ سلمان بيصين أُرسلت إلى أحفاد المكزون في سنجار بعد مذاكرة مؤلفها مع الشيخ خليل النميلي.

---

١) لم يعرف للمكزون أبناء بالتحكم المقنع حتى الآن فمن أين جاؤوا له بالأعمام ولماذا لم يكن مرسل السنجاري كعمه مثلاً بدلاً من مرسل الكلبي.

٤) نصوص عصريَّة مطبوعة: وأهم كُتب هذا النوع(تاريخ العلويين للطويل) والكتب التي أخذت عنه أو ذكرت المكزون واعتبرت هذه الكتب مراجع حديثة، فمن هو هذا المكزون وكيف تبدو سيرة حياته في بيئته و عصره، و بالنسبة لمعرفته ومهجه في المعرفة..؟

المبحث الأول

سيرة المكزون

اسمه، كنيته، ألقابه، نسبته

أيضاً الكلام للدكتور أسعد علي: ذكرت في فصل المصادر والمراجع، أنني اعتبرت نصوص المكزون مصادر أولى، تليها النصوص التي كتبت في عصره، ثم تأتي النصوص الحديثة المخطوطة أولاً، ثم المطبوعة وبهذا الاعتبار أحاول تقديم سيرة المكزون.

جاء في تقديم ديوانه وأدعيته نصٌّ قصير يعرِّف به: هو أبو محمَّد الأمير حسن بن الأمير يوسف الملقَّب بالمكزون السنجاري. فاسمه حسن بن يوسف، و كنيته أبو محمد، وأبو الليث، ولقبه: المكزون وعز الدين، وسيف الدين وحسام الدين. والألقاب الثلاثة تنظر إلى معرفته الدينية وإلى منزلته بالنسبة لهذين فهو عز الدين وسيف أو حسام يدافع عنه، أما لقبه الذي اشتهر به وهو المكزون فالأول حسّي. والثاني معنوي. فالرجل المكزون أو المكنوز اللحم هو رجلٌ صلب كثير اللحم. والمكزن مثل المكزم: قصير في الأكف والأصابع. والرجل المكزون عقلياً، رجلٌ يكزن الأمر أي يفطن له ويتأمل فيه حتَّى يفهمه، فيصيب الصدق وينال الصواب ويجمع المعاني المحررة في الأكوان فيحفظها في قلبه وهو يعرف قيمة علمه ويعتز به، وربما لُقِّب المكزون بهذا اللقب نتيجة لما لاحظه عليه معاصروه من الخصائص الجسمية والروحية التي تحرِّكها هذه الكلمة، أما نسبته (السنجاري) فترجع إلى مدينة سنجار التي ذكرها في فاتحة رسالته، ومدينة سنجار هي بيئة المكزون المكانية بها ولد ونشأ لذلك يأتي الحديث عنها مفصَّلا في فصل البيئة والعصر..وقبل الحديث عن نسبه إلى المكان يجدر تبيان نسبه إلى الإنسان، فما أصله وماذا عن نسبته ..؟

المبحث الثاني

نسب المكزون

النسب: هو القرابة أي إيقاع التعلُّق و الارتباط بين الشيئين، أو بين الأبنـــاء و الآباء، وهذا الارتباط يكون عفوياً طبيعياً لا إرادة للمرتبط به، كارتباط المولود بأمه وأبيه فهو لم يخترهما ويكون الارتباط إرادياً حقيقياً يسعى إليه الإنسان ويجاهد في سبيل الوصـــول إليه كارتباط الإنسان فكرة أو مبدأ أو مثلاً أعلى، نصوص المكـــزون تهـــتم بالنســـب الإرادي الحقيقي ونصوص مؤرخيه تهتم بالنسب العفوي الطبيعي فـــالمكزون يـــؤرخ النسب الروحي ومؤرخوه يتمسكون بالنسب الجسدي.

يقول المكزون إن الإنسان ينتسب إلى الرحمن بمقدار ما يـــرتبط بصـــفاته الحســـنى كالرحمة، و المودة، والعلم، والقدرة. لذلك يختار أقرباءه اختياراً، فيباعد أقرباءه الطبيعيين إذا لم يرتبطوا ارتباطه بالرحمن، ويقرِّب أهل الشعوب البعيدة إذا انتسبوا إلى الصـــفات التي ينتسب إليها فتلك الصفات الحسنى هي الأصل الذي يعتز الإنسان به وينتمي إليه، فهي الأم والأب والأخوة.

وفي ديوان المكزون طائفة من النصوص التي يتحدَّث بها عن نسبه هذا و يعتبره أشرف المراتب و نهاية النسب. ومن تحدياته المركزة لإنتسابه قوله:

أمي الشريعة والمقيم لها أبي وبنو بنيها كلهم إخواني

هذا نسب المكزون الحقيقي الذي يعترف به ويفتخر بشرفه. فأمه التي يشرب من صفاء نبعها هي المورد النقي الذي شاءه الله لعباده وشرَّعه على ألسن رســـله مـــن الســـنن والأحكام وفصَّله على لسان العربي محمَّد(ص) في قرآن عربي مبين. وأبوه مـــن يقـــيم أحكام تلك الطريقة ويجعلها حياةً ورحمة للعالمين ماضياً ومستقبلاً. وهنا (الأم والأب) يمثلان الحقيقة. الأم ما يؤمه الواردون، أو يأتم به القاصدون، والأب من جعل الشـــريعة طريقة أو نحلة نقصد.. وكل من يردون تلك الشريعة، أو يأتمون بصاحبها هم أخوته، فالأخوة تكون فعلٌ إرادي، يريده صاحبه فيجاهد لتحقيقه ليصبح متَّصفاً بصفات الرحمن الحسنى ويكون بارتباطه بالقدرة العليا مبدعاً مريداً قوياً.

أما الذين أرَّخوا للمكزون فيهتمون بالجانب الآخر من نسبه ويقولون إنه عربي الأصل ويؤكدون هذه العروبة بذكر الآباء بالتسلسل حتى يصلوه بجدِّه المهلب بن أبي صفرة ثم بآبائه الغساسنة وأجداده الأزد ، وجدِّ أجداده قحطان وأبي أجداده سام بن آدم، وجميع نصوص المؤرخين تتفق في أمرين: أمر البداية، وأمر النهاية.

أمَّا أمر البداية: فيتعلَّق بوجود شخصية عُرِفت بالمكزون، أو حسن بن يوسف، وهذه الشخصية تركت أثرها في تاريخ الفكر والأدب وفي تاريخ الجماعة التي حولها. وأما أمر النهاية: فيثبت انتماء المكزون إلى آدم مروراً بالغساسنة لتحقق قرابة العلوي والمسيحي الغسانيين كما يريد الطويل في تاريخ العلويين أو لتحقق نسبته هو "أي نسبة الطويل" إلى المكزون ثم إلى آدم، وما سوى هذين الأمرين فإن هذه التواريخ تناقض بعضها بعضاً من جهة وتتناقض مع التاريخ العام من جهة ثانية.

أما تناقضاتها الداخلية فيما بينها فتظهر بمقارنة بعضها بالبعض الآخر لذلك ألحقتها بقسم النصوص ليقارن بينها من يشاء ويستنتج كيف يبنى التاريخ وأكتفي هنا بمثال واحد من المقارنة.

يذهب محمَّد أمين غالب الطويل في إثباته نسبه مذهباً يؤكد فيه عن طريق التسلسل أنه ينتسب إلى السيد علي الذي هو أخو الأمير حسن بن يوسف الغساني إلى آخره، ولكن الشيخ يونس حسن رمضان الذي يثبت انتسابه للمكزون عن طريق ولد المكزون نجم الدين، ينفي أن يكون للمكزون أخ اسمه علي ويقول إن ولد المكزون أي الأمير يوسف ترك أربعة أولاد هم: الأمير حسن(المكزون) وممدود، وميكائيل، ويوسف، وبنتاً واحدة لم يسمِّها، وبذلك يكون الشيخ قد هدم تاريخ الطويل.. ماذا نفعل ..؟ هذا مثال من التناقضات الداخلية بين نصوص الذين أرَّخوا للمكزون، أما التناقضات بين نصوصهم ونصوص التاريخ العام فنقدِّم مثالاً عليها: يزعم واضع(نسب المكزون)المنسوب إلى المطران يوسف الدبس أن المكزون هو الأمير حسن بن يوسف بن الأمير المكزون ابن سيف الدين، ابن عبد الله(مؤسس الإمارة المكزونية في سنجار عام(٣٨٦)ابن طرخان(أمير الرملة) ابن الأمير محمَّد صاحب دمشق وأميرها (أمير الأمراء

ببغداد) بن رائق أمير الرملة إلى آخره.. وتقول كُتُب التاريخ العام التي تحدّثت عن أمير الأمراء محمَّد بن رائق، إنه قُتل سنة ٣٣٠هـ.

وواضع نسب المكزون يعتبره جدًّا سادساً للمكزون ويعتبر جدُّ المكزون الرابع محمَّد طرخان مؤسساً للإمارة المكزونية سنة(٣٨٦) وهذان التاريخان يؤكدان تعارض النص المخطوط مع نصوص التاريخ المتواترة، إذ كيف يسبق الحفيد محمَّد جدَّه محمَّد بن طرخان بست وخمسين سنة ..؟! وهذا التعارض يشير إلى قضية خطيرة بالنسبة للنصوص التي أرَّخت للمكزون، فكأنه يقول إنها نصوص موضوعة لأغراضٍ شخصية يعرفها واضعوها ولكن حتى هذه القيمة وهمية لأنها تخيلية وافتراضية، بل هي معكوسة، أي تعكس ذهنية أصحابها التي لا تثبت من وقائع التاريخ وربما تجلّت هذه الذهنية أكثر وضوحاً في حديثها عن حياة المكزون فماذا عن تلك الحياة ..؟

المبحث الثالث

حياة المكزون

الكلام أيضاً للدكتور أسعد علي:

مولده ونشأته: تحدَّر المكزون من أصل غساني، قحطاني عربي واختلف في السنة التي ولد بها فقيل إنها سنة(٥٦٠) هـ أو سنة(٥٦٤) هـ أو سنة(٥٨٣)هـ ورُجِّحَت الأخيرة وربما رجحوا ذلك لتتفق ولادة المكزون مع الحدث العظيم وهو معركة حطّين الفاصلة التي انتصر بها صلاح الدين الأيوبي على الغزاة الصليبيين واستعاد منهم بيت المقدس.

أما نشأته فقد قيل فيها: نشأ المكزون حسن بن يوسف على يد أبيه الأمير يوسف في سنجار وقرأ دواوين أبي نواس، وأبي تمام، والبحتري، والمتنبي، والرضي، وحفظ خطب نهج البلاغة عن ظهر قلب، وحفظ القرآن سنة (٥٩٨) هجري وأجاد السباحة والرمي وبرع في القنص والصيد وتعلّم الكردية على يد أصدقائه المخلصين من الأكراد (١٢) وخلف أباه على إمارة سنجار سنة(٦٢٠) هـ وتلقّب بسيف الدين، وأخمد الحركات الكردية التي اعترضته أول الأمر وكان لديه ألف فارس على استعداد دائم لخوض القتال.

ملاحظة: الغريب أن المؤرخ لم يذكر الذين قرأ لهم المكزون فعلا وعارضهم كابن الفارض، وابن عربي، وذكر الذين لم يرد لهم أية إشارة في آثار المكزون، أو كالحلاج الذي يقول بوحدة الوجود مع الوجود بقوله:

روحه روحي وروحي روحه ... إن يشأ شئت وإن شئت يشأ

فيعارضه المكزون بقوله :

لو كنت مني ما غبت عني ... ولا تغيرت عن كياني

ولم أزل سامعاً بصيراً ... أجيب بالحق من دعاني

ولم أجد بالرقاد فقدي ... مني وذو يقظة يراني

وكقوله:

بصري أراني النور ناراً والضحى ... ليلاً وفي جهتي محيط جهاتي

فالحق منه بالندى أبان لي ما كان مني خارجاً في ذاتي
فلذاك لم يكذب فؤادي ما رأى إثباته مني بنفي صفاتي

وأكاد أقول لا يخطئ من يرى أن الحلاج والمكزون انطلقا من رؤية واحدة في شمولية الذات، فالحلاج يقول :

مرقيبان مني شاهدان لحبه واثنان مني شاهدان تراني
فما جال في سري لغيرك خاطري ولا قال إلا في هواك لساني
فإن قلت شرقاً أنت للشرق شرقه وإن قلت غرباً أنت نصب عياني
وإن رمت فوقاً أنت في الفوق فوقه وإن رمت تحتاً أنت كل مكان

والمكزون السنجاري يقول:

قالوا أنخ بحمى ليلى فقلت وهل سوى حماها مناخٌ كي يحل به
قالوا: فشرقي وُاديها فقلت: وهل شرقيُّه وهي فيه غير مغربه
قالوا فأوِ إلى كهف الرقود به فقلت لم ألف منه غير منتبه

وكقوله:

فهو لي فوق وتحت وورا وأمامٌ وجليسٌ عن يدي

إن المكزون والحلاّج يتلاقيان ولكن ليس على وحدة الوجود ولكن على وحدة النظر إلى فاعلية القدرة في الوجود.

أصـــوله

أبوه، أجداده، أمه، إخوته، أعمامه، عمّته

أبوه الأمير يوسف، ولد سنة ٥٣٣ في عز أبيه الأمير مكزون خلف أباه على الإمارة سنة(٥٦٢) وتوفي سنة(٦٠٢) تاركاً وراءه أربعة أولاد هم: حسن، ممدود ميكائيـــل، يوسف وبنتاً واحدة..وجدُّه لأبيه هو الأمير مكزون أحد أحفاد عبد الله بن محمّد وقـــد عاش (٧٦) سنة وتوفاه الله سنة (٥٦٢) هـــ فترك ثلاثة أبنـــاء هم : الأمير يوســـف الشيخ حمزة، الشيخ جابر.. وعبد الله بن محمّد هو أحد أحفاد الأمير رائق بن خضـــر وهو مؤسس الإمارة السنجارية خاض مع الأكراد عدّة وقائع وقد اســـتطاع التغلـــب عليهم لأنه كان يعرف لغتهم وعاداتهم وأساليبهم، أما الأمير رائق بن خضر فيكنى بابي الحسن وقد كان علوياً توفاه الله سنة (٣١٠)وكان معاصراً للشيخ الخصيبي رضـــي الله عنه، عاش على التخوم العراقية وحدث بينه وبين سكان المنطقة الأكراد خلاف، وكانوا يعرفون العربية أما هو فلم يكن يلم بالكردية لغة خصومه إلا قليلاً وكان شاعراً ومـــن شعره قوله:

مشيت على الصراط بحمد ربي سوياً لا على وجهي مُكبّا
وها أنا آمن من حرّ نارٍ كوت من حلها ظهراً وجنبـــا

واهتم مؤلف السيرة المكزونية بالأمراء من آباء المكزون الأدنين كما يسميهم ولكنـــه أغفل أمير الأمراء محمّد بن رائق ، وربما فعل ذلك لكي لا يقع في ما وقع به غيره مـــن تنـــاقضات مع التاريخ العام كما سبق في أصل المكزون .. لأن محمّد بن رائق الـــذي كان أمير الأمراء في بغداد هو غير محمّد بن رائق جدّ المكزون، وقد تتفق الأسماء إذا أراد لها واضعو التاريخ أن تتفق، كذلك لم يذكر شيئاً عن أم المكزون وأخواله، لكنه ذكـــر عمّين حمزة وجابرا"، وقال: إن أولاد الأول خمسة هم: الشيخ علي الخيـــاط، محمّـــد، أحمد، بركات، فضّة زوجة الأمير، وإن أولاد الثاني أربعة هم: الشيخ منيـــف، وقـــد

استشهد، ومنصور، وكامل، ويعقوب، وذكر أن للأمير عمَّة تدعى سرماط، ولها ثلاثة أولاد هم: عبد، حميد، أيوب.

كما ذكر أخوة الأمير وأولادهم الذين ساعدوه في الحرب والإدارة بالاشتراك مع أولاد أعمامه وعمَّته وكافأهم على ذلك بأن خصَّهم بكثير من الإقطاعات ثم ترك لهم مع أولاده كل شيء وانصرف للخلوة والعبادة. وإخوته هم ممدود، وله ابن اسمه علي، وميكائيل وله ابن اسمه محمَّد الحداد وقد استشهد مع سمعان وشعبان ويوسف و لم يذكر له أولاداً، فماذا ذكر عن أولاد المكزون نفسه ..؟

فروعـه

زواجه، أولاده، ذريته

أيضاً الكلام للدكتور اسعد علي: أشرت في فصل المصادر والمراجع إلى اختلاف الشيخ والمطران على هذه القضية، فالمطران لا يزوج المكزون إلا زوجة واحدة هي هند بنت عز الدين بن المفضَّل بن قريش، أخت الملك الأصلح(صاحب حلب) ويرى أن المكزون لم يرزق إلا ثلاثة أولاد وهم: حسام الدين، ونجم الدين، ويوسف.

أما الشيخ فيرفض رأي المطران ويقول: إن المكزون تزوج ثلاث مرَّات وزوجتاه المعروفتان لديه هما: آمنة وفضة، أما الزوجة الثالثة فلم يعرف اسمها لعدم حسر اللثام عنه كما يقول، ويرى أن المكزون رُزق من زوجاته ثلاثة عشر صبياً هم: محمَّد حسام الدين، يوسف عمَّار علي، نجم الدين، عبد الله، فضل، موسى، نور الدين، إبراهيم، حمزة، طرخان.

ملاحظة: هناك اسم وقد ذكره صاحب التجريد وهو الليث ويذكر أن حسام الدين،ومحمَّد وطرخان، أولاد آمنة، وأن حمزة ابن فضَّة، ولا يحدد أمهات الباقين.

فأي التاريخين نصدِّق..؟ إن اختلافهما يفتح باب الشك في معلوماتهما وخصوصاً إذا قورنت بغيرها من المخطوطات التي كتبت قبلها بحوالي مائة وخمسين عاماً، ففي

سنة(١٢٢٧) هـ جرت مذاكرة بين الأستاذين الرئيسين الشيخ خليل النميلي والشيخ سلمان بيصين للبحث عن السيد المكزون وعما إذا كان له ذرية أم لا ..؟ وهل يوجد بقية من تلك الذرية ..؟ لذلك أرسلا الشيخ إبراهيم الجعفر(التنتجي) من إخوان حماه إلى بلاد سنجار ليحقق ويدقق عن المير حسن، فوجد جماعة ينتسبون إلى الأمير حسن بن مكزون وفيهم أربعة مشائخ رؤساء بالعلم والإيمان وهم: الشيخ حيدر، والشيخ ناصر، والشيخ محمَّد، والشيخ أحمد، وعاد الشيخ إبراهيم فأخبر بما رأى في سنجار، وبناءً على ذلك كتب الشيخ سلمان بيصين قصيدة يتودد فيها لأحفاد المكزون ويذكرهم به ويلوِّح لهم إذا كانوا لا يزالون على معرفة المكزون ، ويبدي رغبته بلقائهم في حلب ليذهبوا معاً إلى سنجار ووقَّع القصيدة والرسالة الشيخ خليل النميلي والشيخ سلمان بيصين ومطلعها:

أبثُّ اشتياق الوجد من غامض الجوى إلى فتية الحب الذي ما بهم لوا

إنَّ مقارنة هذه المعلومات ببعضها تظهر التكلف في وضع بعضها فمن قائل:

إن المكزون عاش عازباً لأنه كان متصوفاً، ومن شاك بوجود ذريَّة للمكزون، فباحث عنها في سنجار .. إلى قائلٍ بزواجه ثلاث مرَّات رزق منها ثلاثة عشر ولداً .. وقد رأينا تعارض الشيخ مع الطويل وكيف بنى الطويل نسبة السنجاري إلى علي بن يوسف أي إلى أخٍ المكزون، وكيف نفى الشيخ وجود أخٍ للمكزون اسمه علي، وهذا النفي يهدم بناءً طويلاً شيَّده مؤلِّف تاريخ العلويين لإثبات انتسابه إلى الشجرة المكزونية، وهذا الهدم لا يريح الطويل ومن ينتسبون مثل انتسابه لكن نسب الشيخ يتعرَّض لنفس الهزَّة التي تعرَّض لها نسب الطويل إذا اعتبرنا ما روي عن الشيخ خليل النميلي .. وليس نسب الشيخ يونس رمضان وحده، بل نسب كثيرين ممن ينتمون إلى المكزون، فقد قال: السناجرة يشكلون الآن معظم العلويين والأمير هو جد بيت مُّمو، والريحانية، والقرحنة وآل سيف، والنواصرة، والبشارغة وأما بيت الحداد وبيت الخياط فالبيت الأول جدُّه محمَّد الحداد ابن أخ الأمير والبيت الثاني فجدُّه علي بن حمزة الخياط

ابن عم الأمير فكيف يكون المكزون جدَّ النميلاتية، ولا يعرف ذلك حفيده الشيخ خليل النميلي، أي الشيخ خليل بن معروف .. ؟

والمؤرخ الكريم يعتمد في كتابه سيرة المكزون على اثنتي عشرة وثيقة، ذكر أن واحدة منها نُقلت عن خط الشيخ خليل بن معروف، ونقلها الشيخ خليل عن خط جدِّه جمال بشمان أحد أحفاد الأمير .. أبدى لي هذان الافتراضان :

١- إما أن تكون الوثيقة التي ذكرها الشيخ يونس حسن رمضان موضوعة وضعاً ومنسوبة إلى الشيخ خليل وهذا الافتراض يشكك ببقية الوثائق لأنها تتفق غالباً في معظم المواقف التي وقفها المكزون، كما ذكر في تولي المكزون الإمارة بعد أبيه .. وهذا الافتراض قاسٍ وخطير فهو مُجرِّد افتراض يصعب إثباته ويصعب دحضه بالاستناد إلى ما أملكه من وثائق.

٢- وإما أن يكون الشيخ خليل قد قام بالبحث مع الشيخ سلمان بيصين سنة(١٢٢٧) ووصلا إلى النتيجة التي دوَّنها أو نقلها الشيخ خليل بعد ثلاث سنوات أي سنة(١٢٣٠) وهذا افتراض يبقي على البناء الرمضاني وأميل إليه وإن كنت لا أستطيع إثباته بالبرهان القاطع، لأنني لم أطَّلع على الوثائق التي أعتمد عليها الشيخ يونس رمضان في كتابة السيرة المكزونية كما لم أطَّلع على الأصل الذي نقل عنه أحمد محمَّد جامع، مذاكرة الشيخ خليل النميلي والشيخ سلمان بيصين، بشأن المكزون عمَّا إذا كان له ذرية.

لذلك أعرض القصة كما تقدِّمها وثائقي الخاصة وأترك لسواي محرِّكاً لاكتشاف الحقيقة ذات يوم فالحقيقة كانت شعار المكزون في منهجه ومعرفته كما رأينا في البابين السابقين، وهذا يفترض بالباحث عن المكزون أن يجرِّب الوصول إلى الحقيقة قدر الإمكان، في أية قضية تتعلَّق به .. فما حقيقة هجرته و إمارته[1]

١) إن التاريخ المصنوع كيفياً هو الذي حدا بنا إلى محاولة استجلاء ما أبهم وما غمض ؛ ليس على الدكتور أسعد علي وحسب، بل على كل من أرَّخ عن المكزون ولا ندري هل استطعنا أن نضيف ما يفيد التنوير، أو الغموض؟ وسواء أجاء من سنجار غازياً ففتح بلاد النصيرية وأنقذ العلويين من ظلم

الصليبين ومن تجاوزات مجاوريهم، أم جاء مهاجراً لاجئاً إلى بلاد العمويين في تلك المنطقة المعروفة بنسبتهم، أو بنسبتها إلى جبال النصيرة: أي جبل الشعرة.

المبحث الرابع

أمير منقذ .. أم مهاجر لاجئ

إمارة المكزون على سنجار وهجرته

والكلام أيضاً للدكتور أسعد علي: ليس في نصوص المكزون ما يشير إلى أنه كان أميراً على سنجار أو على غيرها من البلدان، وليس في كتب التاريخ العام أية إشارة إلى إمارته، وليس في النصوص الشعرية المنسوبة إلى من عاصروه وتحدَّثوا عنه ما يخالف نصوصه أو نصوص التاريخ العام من هذه الناحية، لكنَّ النصوص الحديثة التي ظهرت منذ نصف قرن تقريباً أرادت للمكزون أن يكون أميراً على سنجار، وأرادته محارباً ومخلّصاً، وأرادته غسَّانياً قحطانياً .. وفرضت هذه النصوص نفسها وتناقلها المحدِّثون عن المكزون، فبررها بعضهم وناقشها البعض الآخر، ونقلها كما هي آخرون وصدَّق متناقلوها ما يتناقلون.

أوسَع هذه النصوص الحديثة انتشاراً ما كتبه محمَّد أمين غالب الطويل حول المكزون في تاريخ العلويين، وعن هذه المعلومات نَقَل الزركلي تاريخ المكزون بدون مناقشة وعن الزركلي نقل الآخرون، وجرَّب محمَّد دروزة أن يبرر للطويل روايته فالمكزون لم يكن أميراً على سنجار، ولكن من المحتمل أنه كان أمير قبيلة عربية في سنجار وهو لا ينفي رواية الطويل لأن آثار الحملة المكزونية قائمة في العشائر العلوية الحاضرة، ولكن حامد حسن وهو آخر من كتب حول تاريخ المكزون يجرؤ على السؤال فيقول: هل كان الأمير حسن المكزون أميراً على سنجار ومتى ..؟

ويجرؤ على الجواب فيقول:" لم نعثر على ما يدل أو يشير بالتصريح أو التلميح أن الأمير حسن المكزون كان أميراً على بلدة سنجار الموصل " فمن أين يستقي الطويل معلوماته التاريخية ..؟ وعلى أي مصدر اعتمد فيما رواه بهذا الصدد ..؟ (إن الأمير حسن لم يكن أميراً على سنجار) ثم يتتبع أخبار سنجار في كتب التاريخ من سنة(٥٩٤) إلى سنة(٦٤٠) ويخلص إلى تأكيده السابق فيقول:" وبعد فهذه الوثائق

المؤيِّدة بالزمان والمكان والأرقام والأشخاص ومن مختلف المصادر، تدحض كل قول وتدفع كل زعم وتمنع كل افتراض يقول إن الأمير حسن المكزون كان أميراً على سنجار، ولكن هناك قصيدة منسوبة لعلي بن ممدود وهو ابن أخي الأمير حسن المكزون يرثي بها الإمام الشهيد أبا عبد الله الحسين بن علي بن أبي طالب ومنها:

فاستمعها قصيدةً من محب ... لا يشيب الولاء بالتبديل

ابن ممدود من أعالم سنجار ... وبغداد منزلي ومقيلي

فمن هذين البيتين نستدلُّ على أنه من أعالم سنجار، والأعالم جمع أعلم، الجبل المرتفع، وجبل سنجار معروف بارتفاعه وسنجار تقع في سفحه الغربي وهذا ما يؤكد أن الأمير حسن المكزون وعائلته وعلي بن ممدود منها كانوا يقطنون أعالم سنجار أي جبالها ولكن لم تشر القصيدة إلى إمارتهم عليها، وهذه التأكيدات تثبت أن مدينة سنجار العراقية هي موطن المكزون وبلده وهاجر منها وعاد إليها، وأن المكزون لم يكن أميراً عليها لكنّه كان أمير قبيلة عربية فيها، لكن هذه التأكيدات القاطعة لا تستقر أمام أسئلة صاحبها واستطراداته فهذه الأخيرة أي أسئلته و استطراداته، تشكك بقيمة ما يؤكده من معلومات وتميع ما يريد تركيزه وإثباته، فهو بعد التأكيد السابق على سنجار المكزون العراقية وإمارته على قبيلة عربية فيها يعتمد على مصدرٍ حديث جداً هو التقسيمات الإدارية السورية لعام (١٩٦٠) فيقول: " هناك سنجار ثانية فهل نتجه إليها ..؟ في سورية وفي قضاء معرة النعمان وعمي بعد(٣٣) كيلومتراً شرقاً من المعرَّة بميلة إلى الجنوب تقع بلدة سنجار سورية وهي اليوم مقر مخفر للشرطة حسب التقسيمات الإدارية لمحافظة إدلب وترتبط مباشرةً بمنطقة المعرَّة ويتبع سنجار هذه ثلاث وثلاثون قرية ومزرعة وتحيط بها القرى التالية المتوسطة، أبو طحيبة، شيخ بركة، أم الهلاليل خباية، صراع، وتتصل حدود سنجار هذه بحدود منطقة جبل سمعان شرقاً وبحدود تل خترير جنوباً " .ثُم يقول: " فأي سنجار هي سنجار الأمير حسن بن يوسف المكزون التي ينتسب إليها وكان أميراً عليها ..؟" ويحاول الإجابة باستعراض ما قيل في هجرة المكزون أو غزواته ويفترض الفروض حتى يصل أخيراً إلى تأكيد يلغي تأكيده السابق أن

المكزون السنجاري عراقي، فيقول : "كل هذا يثبت مجيء الأمير حسن المكزون للمناطق الغربية من سورية، جاء من سنجار سورية لا من سنجار الموصل " وحتى هذا القرار لا يريح صاحبه لذلك يفترض افتراضاً ثالثاً يرى فيه أن المكزون هاجر من سنجار الموصل أو جبالها أو بواديها، على طريقة القبائل العربية وتحت ضغط أحد العوامل الداعية للمهاجرة، ثم تصدَّى له من يقاتله ويحاول دحره في الجبال الغربية كما يقع عادةً بين المهاجرين الرحَّل وبين المقيمين.. فقاتلهم، فظهروا عليه أولاً ثم غلبهم في الأخير[1] النصوص المؤرخة لإمارته على سنجار ولغزواته، موَّاجة رجراجة، ينقصها التمحيص التاريخي الدقيق وبصورة مستقلة عن مثل دارسي المعرفة، لذلك أفردت بحثاً خاصاً بتاريخ المكزون، سميُّته (عصر المكزون) أو (المكزون في عصره) وأكتفي هنا بهذه اللمحات المثيرة عن حياته وبيئته وعصره.

هذا ما استعرضه الدكتور أسعد علي من كتاب الأستاذ حامد حسن مما يتعلَّق بإمارة المكزون، وهل هي إمارة محلِّية أو إمارة قبيلة عربية، وهل سنجار الموصل موطنه الصحيح أم سنجار المعرَّة، وهل جاء إلى هذه البلاد منقذاً أم لاجئاً ..؟ وهل ما حدَّثنا به مؤرخوه كان غزواً أم دفاعاً إذا صحَّ أنه جاء إلى هذه البلاد. ؟

فالأستاذ حامد يتصوَّر أن مجيء المكزون إلى هذه البلاد كان بعوامل غير طبيعية ولذلك اختار اللجوء إلى هذه الجبال حيث يوجد له إخوان وأقارب وحماة. وأثناء مجيئه في الطريق يمكن أن يكون قد تصدَّى له قطَّاع طرق مارقون على عادة ما كان يجري، فتصاول معهم وانتصر عليهم، وهذا ممكن عمى عادة ما كان ، وليس أخبار القرامطة و أمثالهم في التاريخ إلا مثالاً على ذلك، وكذلك ما كان يؤثر عن القبائل البدوية سكَّان الصحراء، وأن الأستاذ حامد لم يستطع الخروج من مأزق تناقض الأحداث مع تناقض الزمان في سيرة حياة المكزون عليه السلام.

---

[1] المهم أن المكزون وجد في التاريخ وترك وراءه ما يشغل الناس به سواءً أكان أميراً على سنجار أم أمير على قبيلة عربية من القبائل السنجارية

ويرى الدكتور أسعد أحمد علي أن المكزون السنجاري استلهم أرجاء سنجار وما حولها جغرافياً وتاريخياً، فصوَّر منهجه" لتزكية النفس " (رسالة مخطوطة للمكزون) ومعرفة الله في تلك المدينة، ورأيناه يصف سنجار كما وصفها المؤرخون بأنها مدينة مشهورة من نواحي الجزيرة، بينها وبين الموصل ثلاثة أيّام وهي في لحف جبلٍ عالٍ، ويقال إن سفينة نوح لمّا مرَّت به نطحته، فقال نوح: هذا سن جبل جار علينا فسميَّت سنجار ولست أحقق هذا والله أعلم، إلا أن أهل هذه المدينة يعرفون ذلك صغيرهم وكبيرهم، وقال ناساباً القول لابن الكلبي: إنما هي سنجار واحد وهي باسم بانيها وهم بنو البلندي بن مالك ابن ذعر بن يوسف بن عنقا بن مدين بن إبراهيم ويقال سنجار بن ذعر نزلها، قالوا: ذعر هو الذي استخرج يوسف من الجب، وهو أخو أسد الذي بنى آمد، وأخو الهيث الذي بنى هيث.

وأفاض الدكتور أسعد في أخذ المعلومات عن مدينة سنجار من مختلف المصادر التاريخية، وأخيراً قال: " وقد خرج منها جماعة وافرةٌ من أهل العلم والأدب والشعر "ناساباً هذا القول لياقوت في معجم البلدان . ونسب إلى القزويني قوله متحدثاً عن شهرتها وموقعها ومناخها وحضارتها العمرانية، فشبَّهها بدمشق بطبيعتها ومياهها وبساتينها وعمارتها الحسنة وقال كأنها مختصر دمشق[1] وبعد أن تحدَّث عن قصر عبَّاس بن عمر القنوي بغرب سنجار وما آلت إليه أوضاعه بفعل الزمن، انتقل إلى تاريخ الإسلام للدكتور حسن إبراهيم حسن فأخذ منه حاجته من المعلومات ثم انتهى إلى القول: إن أسرة زنكي حَكَمت إمارة سنجار إلى أن استولى عليها الأيوبيون في عهد

١) جاء في كتاب عجائب المخلوقات أن القزويني من مواليد (٦٠٠) هـ وبهذا يكون معاصراً للسيد المكزون وأرجّح أن ولادة المكزون سنة (٦٠٠) هـ .

الملك(الاشرف) (٦١٧) هـ (١٢٢٠) م. ثم خرَّب المغول معظم بلاد هذه الإمارة وما جاورها(٦٢٨) هـ (١٢٣١) م.[1]

نقف عند تاريخ تخريب المغول معظم بلاد هذه الإمارة لنعلم أنه التاريخ الذي استضاف به ابن مكّة المكزون في سنجار، ونعلم أن سنجار كانت مملوكة قبل ذلك العهد والإمارة فيها لأسرة " زنكي" ثم آلت إلى الأيوبيين (٦١٧)هـ ثم خرَّبها المغول مع ما جاورها (٦٢٨) هـ ولا شك أن تخريب تلك الإمارة يعني أن سكّانها هجروا وهاجروا، ولا يستبعد أن يكون المكزون من أولئك الذين شملهم التهجير والمهاجرة، واختار حمِّين لأنها بلد متوسط في هذه الجبال، وبعيد عن متناول يد المتآمرين ضده، هذا إذا أخذنا بصحَّة أن سنجار الموصل هي مسكن المكزون وموطنه الصحيح خلافاً لما يقال عن سنجار المعرَّة.

وجاء في ذيل (الدرر الغوالي): سنجار مدينة مشهورة في نواحي الجزيرة الفراتية في القسم العراقي، تبعد عن مدينة دير الزور السورية(٢٢٧) كيلومترا على طريق الموصل (و تحديد المسافة بالقياس العصري) والمقريزي صاحب الدرر الغوالي يقول : إنه عام ٨١١ هـ استولى شاه محمد بن قرا يوسف صاحب بغداد على سنجار بعد موت أبناء الخاتون فاطمة" وهذا يعني أن سنجار كانت مملوكة قبل ذلك لأبناء الخاتون فاطمة، أي في القرن السابع.

الغريب أن الشيخ يونس حسن رمضان رحمه الله يقول في تاريخه: إنَّ المكزون السنجاري عاد إلى سنجار سنة (٦٢٨) هـ وهي السنة التي اجتاح بها المغول البلد وشتتوا أهلها، وهذا ما يتناقض مع قول المكزون في رسالته إنه أطلع عليها السيد جمال الدين بن مكّة بسنجار نفسها في عام (٦٢٧)هـ أي قبل اجتياح المغول لسنجار بعامٍ واحد، وكما يقول الشيخ يونس إذا كان بصحبته وهو عائد في تلك السنة إلى سنجار

---

١) إذا كان المكزون ألّف رسالته سنة (٦٢٠)هـ و أظهرها سنة (٦٢٧) هـ و إذا كان المغول خرَّبوا بلاد تلك الإمارة سنة (٦٢٨) هـ أي بعد إظهار الرسالة بسنة واحدة فيكون القول بتروح المكزون عن تلك البلاد بسبب تخريب المغول لها هو استنتاج بمحلّه.

كل من بهرام وطرخان حفيداه .. من ولد حسام الدين وهو متّجه إلى دمشق. فإذا كانت ولادته عام (٥٨٣) هـ ووزّعنا مُدَّة حياته على فترات بلوغه وزواجه وتحصيل الأولاد وبلوغهم وتزويجهم ثم بلوغ أولادهم وبلوغ السن التي يرافقون بها جدَّهم، نجد أن كل التقديرات في هذا الموضوع خاطئة، وفيما لو غير ذلك من ملاحظات أن رجلاً أو قائداً حكى عنه صاحب تاريخ العلويين استطاع تجنيد خمسين ألف شخص ما عدا النساء والصبيان، كان قادراً في تلك الفترة أن يتصدَّى للأيوبيين الذين حكموا سنجار في ذلك الزمن، وأين هي إمارته عليه السلام إذا كانت هذه صفته وفضله في التاريخ..؟ وهل يمكن لأمير يقود مثل هذه الأعداد من الجماهير أن لا يتحدَّث عنه التاريخ ولا يذكر حدثاً من الأحداث التي مرَّ بها منتصراً أو مهزوماً ..؟!

إن الأستاذ حامد حسن ما زال ينتقل من كتاب إلى كتاب، ويقلّب صفحات، علّه يجد ضالّته في أخبار المكزون، ولكنه يا للأسف وقف بين ما قيل عنه، وما لم يثبت مما قيل في التاريخ العام حتى ولا في التاريخ الخاص الذي يرجع به مؤرخوه إلى نصوصه، فهو لم يستطع أن يستخرج من نصوصه ما يتفق مع أقوال مؤرخيه، ولا في أقوال مؤرخيه ما يتفق مع نصوصه، ولذلك رفض أخبار المكزون التي تستند في سائرها على معلومات أمين غالب الطويل في كتابه تاريخ العلويين، وقد تابعه الدكتور أسعد علي واطمأن إلى رأيه.[1]

بقيت الهجرة التي جعلت المؤرخين يتخبطّون في تفسيرها وإلى ربط حوادثه بها .. فالهجرة كما قدَّمنا في هذه الدراسة كانت معنوية في سبيل العلم وإلى الله في طريقته النميرية لأن الحديث يقول: من كانت هجرته إلى الله .. إلى آخر الحديث. وإذا كانت الهجرة قد حصلت فعلاً فهي كانت إلى بغداد، لأن بغداد كانت العاصمة التي يؤمها الناس لطلب العلم، وابن ممدود وهو قريب المكزون يقول: "وبغداد منزلي ومقيلي

١) إلى إشارة المكزون بالرسالة إلى أنه أطلع عليها جمال الدين بن مكة ٦٢٧هـ تعطينا دليلاً أنه خلال الفترة بين تاريخ تأليف الرسالة وإطلاع السيد جمال الدين مكة عليها أن المكزون كان موجوداً في سنجار خلال تلك الفترة و لم يبارحها .

وتبقى مسألة الزواج من ثلاث نساء وتسميتهن وتسمية أولادهن الثلاثة عشر ولداً أمراً ينتهي الإشكال، لأن عمره القصير لا يتسع لهذه العائلة الكبيرة، إذا أردنا أن نوزِّع سني حياته على الطفولة والشباب ومدَّة العلم التي تستغرق الوقت الأكبر من سني حياته فما بالك بالغزو والقتال، ثم تأتي فترة الزواج، فالزواج من ثلاث نساء أيضاً ينبغي أن يستغرق فترة من أعوام حياته، حيث لا بد من فترة زمنية بين كل زوجة وزوجة، ثم مدَّة استيلاده ثلاثة عشر ولداً وتربيتهم وتعليمهم وبلوغهم السن التي أصبحوا يعتمد عليهم بها في سائر المهمات، إذا كان كما يقول مؤرخوه استخلف أحد أبنائه على سنجار واصطحب معه آخرين، إلى آخر المقولة،لذلك يكون الحديث عن زواجه أولاده أيضاً ليس فيه ما يدعو إلى الأخذ به لافتقاره إلى ما يؤيده، وإذا كان له أولاد فقد كانوا على غير ما يرضيه، فهو الذي يقول في هذه الأبيات وهي تشكِّل شكوى من أحوال ثلاثة: تشنيع الجار وعصيان الولد، وحسد الإخوان. قال (قدّ) مخاطباً ربَّه تعالى:

أمراني فيك ممسوساً ... من الشيطان بالكمد
وبالتشنيع من جاري ... وبالعصيان من ولدي
وأبرح ما أكابده ... من الإخوان بالحسد
ولست بذاك مكترثاً ... فكيف وأنت معتمدي

إن هذه الأبيات لم تكن وليدة نظرة اجتماعية ورأي في حياة الناس و إنما هي وليدة معاناة وظروف محمومة. وبما أن الأستاذ حامد حسن افترض أن مجيئه إلى هذه البلاد كان هرباً من ظروف بلاد سنجار بعد أن خرَّبها المغول سنة(٦٢٨) هـ مع حاشيته وأقربائه، وأنه في هذه البلاد تعاون مع إخوانه على صدِّ هجمات أعدائهم وهو الافتراض الأقرب إلى المعقول وكنا قد نوهنا عن ذلك فيما تقدَّم، وهنا في هذه البلاد جرَت ملاحقته من قبل أعدائه، وبما أن موقع حمِّين كان في تلك الأيام موقعاً أمينا لبعده عن مواطن العداوة، فيكون الاعتماد بقناعة على أن مقامه الصحيح هو في حمِّين وليس في غيرها مهما تقارب وتباعد فباحثون.

ومن الغريب أن سنجار التي قال عنها القزويني(مختصر دمشق) لجمالها وخصوصيتها وجمال وجودة مناخها لم يتعرَّض لذكرها المكزون في شعره على اختلاف مواضيعه، كما أنني أريد أن أنوِّه أن ابن ممدود السنجاري ينتسب إلى أعالم سنجار، ولكنه يقول: بغداد مقامه ومنزله. وليس سنجار ..! ومن هنا نستفيد أن كلمة سنجاري الملحقة بنسب المكزون ليست شرطاً أن تكون مقامه الأخير أو محل إقامته الأخيرة لولا أن يكون ذكرهَا بنصٍّ مكتوب، ونرى من المفيد تأييداً لما ورد بهذه التحقيقات من كتب المؤرخين أن نورد هذه المقاطع التالية من كتاب "إسلامنا" للدكتور مصطفى الرافعي بالنسبة لهذه الطائفة العلوية من أحداث كانت ذات أثرٍ فعَّال في تشتيت شملهم وتشويه عقائدهم وإخراجهم من حظيرة المسلمين.

قال الدكتور الرافعي رحمه الله: "لم يخرج العلويون عن كونهم فرعاً من فروع الشيعة وتعتمد أصول الشريعة الإسلامية وتطبيق أحكامها وفقاً لمذهب الإمام **جعفر الصادق** سادس أئمة أهل بيت رسول الله(ص)ولقد بات معلوماً أن جميع فرق الشيعة تعرَّضت للتعذيب والتنكيل والذبح والقتل ابتداءً من العصر الأموي مروراً بالعباسي وانتهاءً بالعثماني بسبب معارضتهم لمذاهب أهل السنة التي كان يدين بها على مرِّ تلك العصور السلاطين والحكام. وكانت هذه الجماعة المسماة بالعلويين من أكثر الفرق التي تعرَّضت للاضطهاد والاتهام حتى إن بعض فرق الشيعة الأخرى تأثرت بما نسبه المؤرخون حولهم، وما نسبوه إليهم من ارتكاب الموبقات وإباحة المحرمات حتى وصموهم بالزندقة والكفر، ولم يتعيَّنَ لجماعة العلويين وعددهم في العالم قليل أن تهدأ الضجة حولهم و أن يتنفسوا الصعداء إلا فترة وجيزة من العصر العبَّاسي وعلى وجه التحديد أيام العلويين الحمدانيين في زمن المستكفي بالله من خلفاء بني العبَّاس حيث قدِّر لشيخهم أبي عبد الله الحسين بن حمدان أن ينهض بالدعوة العلوية بعد أن اتخذ إقامته في حلب الشهباء، وذلك بمؤازرة بني بويه وانتشرت الدعوة العلوية إذ ذاك في العراق والأهواز وبلاد فارس وكذلك في مصر أيام الفاطميين، ثم قال عن أصلهم" من المؤرخين من قال إنَّ العلويين فرقة سريانية كانت موجودة في أيام الرومان ومنهم من

قال إن أصلهم من القرامطة نسبة إلى حمدان قرمط فنسبوا إليهم تبعاً ما ينسب إلى القرامطة من زعم أن لا جنَّة ولا نار ولا بعث ولا نشور ولا ميزان ولا حساب ولا نعيم وعذاب وإنما الثواب والعقاب هما في هذه الحياة الدنيا لا غير.

ومن المؤرخين من زعموا أنهم فرع من الإسماعيلية، والإسماعيلية كما هو معروف فرقة من الإمامية تقف في تسلسل أئمتها عند إسماعيل بن جعفر الصادق الذي توفي في حياة أبيه و لذا سموا بالشيعة السبعية أيضاً كما ذكرنا آنفاً، ولما كانت فرقة الإسماعيلية أو السبعية تعتقد أن لكل نص ديني معنيين: معنى ظاهراً هو للعامة، ومعنى باطنا لا يفهمه إلا الأئمة، فقد نُسب إلى العلويين القول إنهم من الفرق الباطنية من قبيل الخلط بينهم وبين الإسماعيلية، علماً أن الإسماعيلية السبعية لعبت دوراً بارزاً في خلال العصر العَّباسي وكانت لهم في التاريخ أكثر من دولة منها:

١- دولة عبد الله الشيعي التي أسسها في المغرب عام(٢٩٦)

٢- دولة بني حوشب التي أسسها في اليمن عام(٢٧٠)

٣- دولة جوهر الصقّلي التي أسسها في مصر عام(٣٨٥)

٤- دولة حسن بن الصبَّاح التي أسسها عام(٤٨٣)

ووجد من المؤرخين من يقول إن العلويين أصلهم من الحثيِّين ليثبت أنهم ليسوا عرباً وبالتالي يسهل بترهم عن جسمهم العربي مثلما حاول غيره من المغرضين تجريدهم من دينهم الإسلامي. وجميع هذه الأراجيف التي زعمها المؤرخون لأصل العلويين لا تستند إلى دليل وليست إلا من قبيل الظن.. وإن الظن لا يغني عن الحق شيئاً.

وقال عن حقيقة العلويين: وفي الحقيقة إن العلويين هم عربٌ أقحاحٌ معروفون بأنسابهم ومشهورون، لا كما يزعم المغرضون، وهم مسلمون موحِّدون يؤمنون بالله رباً وبمحمد نبياً وبالقرآن منهجاً ودستوراً ويقيمون الصلاة ويؤتون الزكاة ويصومون رمضان ويحجُّون إلى بيت الله الحرام إذا استطاعوا إلى ذلك سبيلا، وهم منذ ظهور المذاهب الفقهية يتعبَّدون على مذهب الإمام جعفر الصادق، وإن لفظ علوي أو شيعي أو جعفري يعني أمراً واحداً هو أنهم أحبوا علياً كرَّم الله وجهه وعظَّموه لمزايا لا ينكرها

أحد من المسلمين من كونه صهر الرسول، وابن عمه وخليفته، ومن أول الناس إسلاماً، وأقواهم إيماناً، وأرسخهم عقيدة، إضافة إلى كونه أعلمهم، وأزهدهم، وأقضاهم، وأشجعهم، حتى سمِّي سيف الله، وأن هؤلاء العلويين لم يعبدوا علياً كما يتوهم الجاهلون بحقيقتهم اعتماداً على مجرَّد تسميتهم بالعلويين، إذ لو كانت مجرَّد التسمية المنسوبة إلى إنسان عبادته للزم القول بأن العثمانيين يعبدون عثمانا والمالكيين يعبدون مالكاً، والشافعيين يعبدون الشافعي وهكذا إلى أن تصل إلى أيامنا هذه حيث يستلزم القول إن الماركسيين يعبدون ماركس، والديغوليين يعبدون ديغول، والناصريين يعبدون عبد الناصر وهذا غير حاصل البتَّة، وقال مخالفاً المؤرخين القائلين بتكفيرهم (يعني العلويين) من أمثال ابن تيمية، والشهرستاني، وابن الأثير وغيرهم علماً أن في اتهاماتهم هذه كثيراً من المبالغة وانجافاة للحقيقة (وإذا صحَّ) أن العلويين أو بعضهم قال شيئاً مما تقدَّم فإنهم ليسوا وحدهم من المسلمين الذين قالوا به وهاكم الأمثلة:

١) فيما يتعلَّق بقدم العالم قال فيه أكثر الفلاسفة من مسلمين كالفارابي والغزالي وابن سينا وابن رشد.

٢) وفيما يتعلق بتناسخ الأرواح: قال فيه كثير من الفقهاء والفلاسفة والأطباء من أمثال ابن سينا، وابن الجوزية، والإمام الشعراني، الذي زعم أن الأرواح تتشكل بصور مختلفة، والسعد التفتازاني، الذي أورد في شرح العقائد النسفية فيه قدم راسخ وكذلك الإمام الغزالي الذي يعتبر في كتابه تهافت البعث والتناسخ يرجعان إلى واحد، بمعنى أن الروح بعد مفارقتها البدن تنتقل إلى جسم آخر، ولم نسمع أن أحداً من المسلمين قام بتكفير هؤلاء الفلاسفة الحكماء والعلماء بمجرَّد أنهم قالوا ما قالوه !!

لقد سقنا هذه المعلومات ليتبيَّن للقارئ أن العلويين النصيريين منذ انكشاف رأيهم في التأويل وأخذهم بمذهب أهل البيت ورواياتهم، تعرَّضوا إلى ما تعرضوا إليه من عداوة وغضب من إخوانهم في الملَّة والعقيدة .

ومن هنـــا نتبيَّن أن شعار المكزون وهو كما يعلم القرَّاء من كبار أهل هذا الرأي والعلم والفهم، أخذ بمذهب أهل البيت وأعتبر كل ما يخالف رأيهم باطلاً كما أنه اعتـــبر أن الاعتداء الذي حصل على حقوقهم من مخالفيهم كان أيضاً اعتداءً وجرأةً خرجت عن حد الاعتدال والعدالة، ولذلك فقد انحاز إلى التشيَّع، وأخذ يرصد أيضاً بجرأة متنـــاهية مواقف مخالفي أهل البيت، ومبررات مخالفتهم، ولكنه (قدّ) عبر انتصاره للفكر الشيعي لم يجد من ينتصر له من الشيعة وَوجه بمجافاة الطرفين(السنَّة والشيعة) فالشيعة هاجرتـــه لأنه قال: ولو وجدت سميعاً فهت بالغالي، والسنَّة هجرته وأبعدته لأنه لم يوافق علـــى مقولة القالي، ومن هذا المنطلق وانكشاف الرأي عند علماء السنة وغيرهم جـــرى مـــا جرى من حوادث تاريخية ضد هذه الطائفة يندى لها جبين التاريخ خجلاً، وأرجح أنه بسبب هذا الانكشاف عومل النصيريون بهذا التعامل الأحمق والشرس، وبسبب هـــذا التعامل جرى تشريدهم وتهجيرهم إلى هذه المنـــاطق وهذه الجبال ضنـــا بـــأرواحهم وحياتهم.

والمكزون السنجاري عاش أشد فترات القسوة والعداء، وكان حسب رأيـــي هـــدفاً مقصوداً من أعدائه، ولذلك كانت هجرته إلى هذه الجبال تواريا وتخفياً عـــن أنظـــار مكايديه والمتربصين به وبجماعته.. وفي حمِّين بين تيشور وبقعو اطمأن للإقامة.. ونحـــن نعتقد أنه لو كان يملك الرجال والعتاد كما صوَّره صاحب تاريخ العلويين وكما صوَّره الشيخ يونس حسن رمضان في تاريخه لقاوم وهو في بلده وبين أهله، و في اعتقادي أنه بقوله:

حرامٌ دمي لمن أهواهُ حلُّ ... وفي قتلي به الموت قتلُ
وكالخمر الذي يبدو مريراً ... ويحلو فيه عقبى الصبر يحلو
وتعذيبي به عذبٌ كعيش ... بأوطار الشبيبة لا يملُّ
وكالإقدام في خوض المنايا ... إلى العلياء فيه الجهل عقلُ

يتحدى الذين يتوعدونه بالقتل ويريهم أن الذي يتهددونه به هو النعيم والذي ينتظر به الخلود، ويضرب الأمثال في الأبيات التي تلي البيت الأول على نظريته في عقبى القتل في

سبيل ما هو مؤمن به، فكأنه يقول:إنَّ كل مصيبة تصيبني في سبيل من أهـــوى ومـــن أحب تكسبني لذّةً وفرحاً وإني أجد عذوبةً وحلاوةً في تعذيبي إذا كان في سبيل أحبابي، ومن أجلهم، وهذا هو التحدي الذي ما بعده تحد.

وإذا كان لا بد لكل قصيد من موضوع تنكشف عنه عباراته فهذه القصيدة أيضاً تشير إلى أن المكزون عرف ما سيتعرَّض له من قِبل من أرادوا به شراً فأعرب فيها عن إصراره وصموده بقلبٍ لا يهلع أمام المواجهة الفعلية وبنفسٍ تتحدَّى الجزع ونتائجه فقال :

متى شمت برقاً للصوارم لامعا ... جلا ضوءه بأسي وجلا المطامعا

ومن لم يلج بحر المنايا إلى المنى ... يعش بين أهل العز بالذل خاضعاً

فلا تك هيّاباً بالأمر وإن بدا ... مهولاً إذا لم تلق عنه مدافعا

فأجبن أهل الأرض من حق علمه ... بورد الردى أن يلتقي الموت خاشعا

ولم يبلغ العلياء كهل ولم يكن ... يمارس جدَّ الجِدِّ للمجد نافعا

نصوص حوارية

من خلال قراءتي لبعض نصوص المكزون لاحظت أن اهتماماته كانت تنصبُّ على الجدل في التناظر التاريخي بين معسكري السنَّة والشيعة وهو شديد الاعتماد على ما لديه من حجج وبراهين في هذا الموضوع وشديد التمسك بولاية إمام المستقين أبي الحسن(ع) ولا أريد من إيراد هذه النصوص إلا بيان قدرة الشاعر على الدفاع عن صواب المنتمي الذي يوصف به ردًّا على من قال إنه شاعر تافه مسخَ شعر ابن الفارض[1] فمن حواریاته الوجدانية (قدَّ) في بعض قصائده هذه، الحوارية الرائعة فيما يتعلق بالأوامر الشرعية والمتساهلين بها، وهو يستهلُّها بهذه الأبيات التي يفتح بها الحوار مشيراً إلى من يحاوره:

ولقد باسطني في خلوة ... أصبح البسط بها في قبضتيْ
تفاوضنا حديثا حسنت ... كل أعضائي عليه أذنيْ
وبدا لي الغيب منه بالغضا ... بالرضا بعد الترا بالتريْ
واجَد الوجدِ لإدكاره ... بي منسيَ الأماني بمنيْ

بداية الحوار

قلت: هل عَودٌ لأعياد الصفا ... قال: كي تمضي وتمضي أجَليْ
قلت: كيما تشتفي الآلام من ... جسدي يشفي فؤادي قال كيْ
قلت: بعد القرب ما أبعدني ... عنه قال: الشك والردُّ عليْ
قلت: فالتوبة تمحو زلتي ... قال: للأوبة في الرجعى تهي
وسأبدي حجتي ظاهرة ... بنداء ظاهر من حجتي
وترى غيبي في مشهده ... ضحى يرفع أستار الدجى

[1]) قائل هذه القول أديب لبناني يدعى منير العكش وسيرى القارئ هذا القول في المقال المنشور ضمن هذا الكتاب.

يوم لا ينفع إيمان امرئ بي لم يستجلني في جلوتي
قلت: غيبا لك كل شهدوا قال: بلغ شاهد الغيب لدي
قلت: ما أغناك عن عرفانهم قال: ما أفقرهم فيه إلي
قلت: فالتكليف ما أوجبه قال: تكليفي أعلى نعمتي
إذ به الجاهل يضحي عالما ويزاكي جده يمسي زكي
قلت: ما الحكمة في تعذيبهم قال: عدلا حقه ما فيه لي
قلت فالرحمة يا من وسعت سعة الرحمة منه كل شي
قال: لولا نشرها ما انبسطت بعد بسط الظلم فيها قبضتي
قلت: مولاي من العدل اعفني وامرضني بالفضل ممتنا علي
قال: أسلم لي ومن ناري اقتبس وانصر الصابئ والهود الي
وعن الإشراك بالتوحيد لي بن وبالإحسان عامل والدي
واحجج البيت وطف سبعا به واقض فرضي فيه واقصد علمي
وعن اللات إلى الذات اقترب ساجدا لي فهي أقصى مسجدي
وإلى العزة لا العزى أنب قانتا لي فهي أبهى صفتي
ومن الرجس عن داري أقصها ومن الأوثان طهر كعبتي
وصلاة الليل لا تنه عن الفرض فيها فهي القربى إلي
وعيون السوء لا تقربها فبها ما يشوي الأكباد شي
واعد مؤتمن بصديق بني تيم وأبغ الحجر من حجر عدي
وبعثمان إلى وجهي اتجه يتجلى لك من وجهي السنى
وعلى باب جنات العلي فأت منه تجن داني جنتي
فعلى جمعهم في جامعي كلما صليت لي صل وحي
ومتى فرقتهم فارقتهم بالتعامي ما نلا عن ملتي

وهكذا يبدو أن الانتصار للفكر الشيعي يَتَجَلّى بشكلٍ واضحٍ وغير مُبَطَّن ولو أردنا أن نَستَقصي كُلّ ما هو وارد بهذا الشأن عند المكرون و ما هو وارد في غير هذا الموضوع من التقريرات العلميّة ومعالجة فنيتها و استخدام أغراضها للغاية التي ينتصر لها

المكزون لأتينا بالمجلدات الضخمة ولكن لضيق المقام وعدم اللجوء إلى التطويل اكتفينا بما أوردناه لعل أن يجد به دارس المكزون بعض ما يمكن أن يستفيده من هذه اللمحات القصيرة بالإضافة إلى أننا سنضمُّ إلى هذه الدراسة مجموعة من المحطات الفكرية عند المكزون مستقلة في آخرها.

وأجد أنَّ من المفيد أن أذكر رأياً متطرفاً خَرَجَ به صاحبه عَن حدود الرصانة المألوفة بالأديب نشره الأديب اللبناني منير العكش في مجلّة الحوادث اللبنانية في العدد /٨٧٠/ الصادر بتاريخ ١٩٧٣/٧/١٣ وهو به ينكر الصوفية الإمامية لا لشيء إلا لأنه يجهلها، ولأنه لا يعرف صوفية الفكر والعلم والمعرفة التي يتبناها الشاعر المكزون في رَفضِ ما سواها بقوله:

ليس زُهدُ الفتى بتحريم حلٍ ... من نكاحٍ ومطعمٍ وشرابِ
وارتباطٍ للرمسِ أو باعتزالٍ ... في جبالٍ ولا برقعِ ثيابِ
بل بقصدٍ فيما أُحلَّ وزهدٍ ... في حرامٍ ورغبةٍ في ثوابِ

ولهذا لم يَرُقهُ أن يُقال عنه شاعر، فهو في نظرِه شاعر تافه مَسَخَ شعر ابن الفارض، ولا نُجيبُ على هذا الرأي التافه فلو قرأ شعر المكزون مُتَمعناً، لَعَدَّلَ رأيه وأدرَكَ مدى الشطط الذي وَقَعَ به .. نحن لا نُريد أن نتَصَدَّى الآن للمقارنة بين المكزون وبين ابن الفارض الصوفيَّين، ولا بين شعريهما فإنَّ هذا يحتاج إلى دراسة خاصَّة. وكلاهما لَهُ شأنه عند أهل الفكر، ونشير هنا إلى أننا ردَدْنا عليه بمَقال مُسهَب تجدونه لاحقاً لهذا الكتاب وذلك بتاريخ ١٩٧٣/٧/٢٢ ومِمّا يعنينا أن نشير إليه في هذا الموضوع هو أنَّ الذي يَقرَأ ديوان المكزون قراءة مُتَأملة يُلاحظ أنه لم يكن قبل خلافه مع شهاب الدين الشافعي متطرِّفاً في قوله بقصيدته(شاغل القلب) .... قال(قدّ):

واغدُ مُؤتمّاً بصدّيقِ نبي ... تيمٍ وابغِ الحجرَ من حجرِ عُدَيّ
وبعُثمانَ إلى وَجهي اتجه ... يَسنَى لكَ مَن وَجهي السني
وعَلي بابُ جَنات العُلَى ... فادنُ منهُ تجنَ داني جَنَّتَيّ
فعَلى جَمعهمُ في جامعي ... كلّما صَلّيتَ لي صَلّ وحَيّ

وَمَتى فَرقتهم فارقتهم بالتعامي مائلاً عن ملتي

وكقوله بقصيدته (بأبي عَدي):

بعقيدة بكرية عُمرية مالي إذا غيري اثنى عَمها ثنا
وبسنة لله عثمانية فانر امرؤ أمسى بها متسننا

وأعتقد أنَّ الجدل الذي يشيرَ إليه وَقَعَ بينه وبين الشيخ شهاب الدين الشافعي وهو يَرمز به كمتكلم ومحاور عن جماعة السُنَّة، وهو(أي المكزون) كمتكلم ومحاور عن جماعة الشيعة، ويلاحظ أن مثنياته ومقطوعاته كلها تقوم على هذا الجدل الصريح ولكنَّ شاعريَّته وإبداعه وعمق معرفته وسعة اطِّلاعه لم يشفع له واعتبرت باطنيَّته من أكبر دواعي الحطِّ من شأنه ومن إضعاف شخصيته، ومن الغريب أن يتلاقى الماضي مع الحاضر على هذا الرأي الذي ينكره أهل الرأي من المنصفين.

فالذي قاله الشيخ شهاب الدين الشافعي، قاله الدكتور مصطفى الشكعة والذي قاله الدكتور الشكعة قاله الأستاذ مُنير العكش، ولكنَّ هذا العكش كان أجرأ الكل على الرأي التافه، حين سمَّا المكزون شاعراً تافهاً.

أما الدكتور الشكعة فكان أكثرهم إنصافاً فإنه وإن اتفق مع الآخرين على إنكار الباطنيَّة عَليه، فقد اعترف بما عنده من شعرٍ ناعم لطيف وإبداع أدبي. وهذه من صفات الأديب الذي يَدرُس المادة لذاتها بصرف النظر عن موضوعها، وهذه خطَّة (قدامَة بن جعفر) في تعريف الشعر. أمَّا الغُلُو، فرحمَ الله شوقي الذي قال:

قيل غالى في القول قلت هَبوهُ قد يكون الغلوُ رأياً أصيلا
وقديماً بنى الغلوُ رجالاً وقديماً بنى الغلوُ عُقولا

وإني لأجد في الأبيات التالية نكهة خاصَّة، فيها رائحة شكوى الاغتراب واللوعة التي وجدها بعد هذا الاغتراب قال:

تغربت عن أهلي إليكم فكنتم أودَّ وأحنى من أودَّ عشيرتي
وكانت بقلبي لوعة بهواكم وبتم فصارت لوعة فوق لوعتي
ولم أفقد الأوطان حتى رحلتم وجدت لنفسي غربة مع غربتي

من الملاحظ أن كلمة(الأوطان) لم ترد في شعره بغير هذا البيت على ما أتذكر وألاحظ في هذه الأبيات حسًّا عميقاً يشدُّه إلى الجماعة الذين فارقوه وهم من غير أهلـــه كمـــا يقول، ولكنهم في تعاملهم معه كانوا أودَّ وأحنى من أودِّ أبنـــاء عشيرته وأهله، وأنه لم يشعر بفرقة الأوطان حتى فارقوه، وكم في هذا القول من مشاعر صادقة نحو من يألفهم الإنسان، ومَن كالمكزون (قدّ) يصدُق الألفة مع الأُلاّف، ولا أرى كأصحاب العقائـــد صلابة وتمسّكاً في عقائدهم فكل ذي عقيدة عنده فيها ما يقدمه وكل واحد منهم يرى أنه يتمسك بالحبل المتين ويسير على الصراط المستقيم وهذا الشاعر جمال الدين الخليجي الحلبي نموذج منهم قال:

ومعـاذ الله أن ألوي عن الحبل المتين
وأساوي بين مفضال ومفضول ضنين
بين من قال: أقيلوني ومن قال: سلوني

والإمام الشافعي يخاطب من يعيِّره بالرفض بقوله:

إن كان رفضاً حبُّ آل محمّد فليشهد الثقلان أني رافضي

تعليقات وتفسيرات:

أما الذي يشغلني ويلحُّ عليَّ بالتساؤل هو إغفال الشيخين الجليلين(خليـــل النميلـــي وسلمان بيصين) رحمهما الله عن هذا الضريح في حمِّين رغم أنهما لم تكن حمين معروفة لديهما. فهما اللذان كلِّفا الشيخ إبراهيم قرمس بتبليغ تحياتهما وسلاماتهما لمشائخ حمِّين الذين كانوا في عصرهما وذلك بموجب قصيدة مخمَّسة بائية أثبتنـــا منها في كتابنـــا حمِّين ما تقتضيه الحاجة والمنـــاسبة، ويبدو أنه لم يدُر في خَلَدهما أن المكزون يمكـــن أن يحضر إلى هذه البلاد وهو من سنجار، فاتجهت أنظارهما إلى سنجار فقط وبحثـــا عنـــه هنـــالك فقط، ولكن الذي يلفت النظر أن الشيخ(يونس حسن رمضان) رحمه الله بحث عن المكزون هنـــا في هذه البلاد ولم يبحث عنه في البلاد الشرقية، واستحضر وثائقـــه

كلها من بيوت عائلات هذه الجبال، و لم تشمل تحقيقاته هذا الضريح الموجود في حمّين رغم أنه هو الذي يؤكد مجيء المكزون إلى هذه البلاد، ورغم صلته بشيخنا وشاعرنا الشيخ عبد الكريم محمد وهو الذي يقول إنه كان لديه ألف فارس على استعداد دائم لخوض القتال وهو الذي يقول في(٦٢٨) قرر المكزون العودة إلى سنجار فأتى إلى طرطوس وذلل كل الصعاب و لم يُبقِ لأعدائه شوكة في هذه البلاد ثم اتجه شرقاً.

ومن المفيد أن يكون الاتجاه شرقاً نحو حمّين لأن الجهة الشمالية كانت محكومة بسلطة طائفة قالوا إنه جاء لمحاربتها، وأن طريق جرجرة، وتل أعفر كان من الصعب أن يسلكه وهو خاضع لمراقبة مصياف، مع العلم أن (٦٢٨) هـ كان تاريخ تخريب المغول لسنجار وما يجاورها، أما مجيئه لمحاربة الأكراد والإسماعيلية فهي كما قال أمين غالب الطويل من التاريخ الخيالي، وليس في متون ولا حواشي كتبنا ما يشير إلى ذلك، وأن العلاقة بين النصيرية والإسماعيليين لم تكن على هذا المستوى من الخلاف وإنما كانت بينهم وبين بني منقذ في شيزر كما يقول أسامة في كتابه(الاعتبار).

الحقيقة إنّ الجميع معذورون لأن أحداً لم يكن يتصوَّر أن المكزون في هذه البلاد بالرغم من وجود أثاره الفكرية والذُّريات التي تنسب إليه ولا تعرف له ذريَّة خارج هذه البلاد ولا توجد له آثار.

منير العكش وأدونيس:

تنبيه: كنا أشرنا فيما سبق في هذا الكتاب إلى المقال الذي رددنا به على الأديب اللبناني منير العكش الذي كان تصدى له ا لشاعر علي أحمد سعيد (أدونيس) ولطائفته بالتصريح والطعن والتشويه بمقال كان قد نشره في مجلة الحوادث اللبنانية في١٣/٧/١٩٧٣ وها نحن ننشر ردَّنا عليه فيما يلي لتعرضه للمكزون بشكل مخالف للأدب.

لما فكّر أبو حامد الغزالي أن يعطِّل أفكار الفلاسفة كسقراط، وبقراط، وأفلاطون، وأرسطو طاليس، وأمثالهم من متَّبعيهم، في كتابه(تهافت الفلاسفة) خاطبهم بقوله: ما

ذكرتموه تحكّمات، وهي على التحقيق ظلمات فوق الظلمات، وأردف إنها ترّهات لا تفيد غلبات الظنون.

وتعرّض لهم في موضعٍ آخر من نفس الكتاب فقال: فلما رأيت هذا العرق من الحماقة نابضاً على هؤلاء الأغبياء(كذا) .. وظنّ أبو حامد أنه استطاع فيما قدّمه من حجج أن يقنع الناس كل الناس وليس ناس عصره فحسب بأنه قضى على فلسفة هؤلاء، وتقاضى ثمنا على ذلك بأنه سمّي حجّة الإسلام.

ولكن مورد الإبل كان على غير ما يعرفه سعد فتمخض الزمن وجاء بالقاضي أبو الوليد محمد بن رشد في القرن السادس الهجري وكأنه جاء ليحطم غرور أبي حامد، واستظهر من أفكاره ما لا يرضي الحقيقة التي يعرفها هو فلم يتورّع أن يقذفه بكلمات نابية، كنا نربأ به أن يقولها في مثل أبي حامد لولا أن هذا الأخير سبق إلى مثلها في الفلاسفة الذين عناهم بتهافته فقال(الشرير الجاهل) وهو يعني في قوله هذا أبا حامد وفي شريعة المثل(البادئ أظلم)...

ومرّ في التاريخ الإسلامي رجلٌ يدعى(الحلاج) وله أتباعٌ معروفون، وكان قد عرض على الناس أفكاراً غريبة عنهم، فكان أن شهدته شواطئ دجلة مصلوباً على أعواد النخيل، ولكن هذا الصلب لم يحُل بينه وبين أن يجد من يعتبره مسيحاً آخر في عصرٍ آخر، وثورة الفكر كثُرَ المصلوبون من أجلها من الناس.

لثورة الفكر تاريخٌ يحدثنا بأن ألف مسيح دونه صلبا

وهكذا نمرُّ في كثير من الأمثال والأشباه والنظائر، فلا نجد عملاً فكرياً في زمن ما حورب بالقوة وكوفح بغير الفكر إلا وانتصر له فكرٌ آخر في زمنٍ آخر.

وقد ساقنا إلى هذا ما قرأناه في مجلة الحوادث اللبنانية في العدد /٨٧٠/الصادر بتاريخ ١٩٧٣/٧/١٣ في مقال الأستاذ منير العكش الذي سلّط أضواءه على غياهب زعم انه أبصرها في أطروحة قدّمها الشاعر(أدونيس) علي أحمد سعيد إلى معهد الآداب الشرقية لنيل درجة الدكتوراه، والحملة العنيفة التي من بعض غاراتها الشجاعة، أنّه يرى

بسم الله الرحمن الرحيم

الاتحاد العالمي للمؤلفين باللغة العربية

مؤسسة ثقافية غير ذات منفعة تجارية بموجب قانون 1901 الفرنسي.. الجريدة الرسمية الفرنسية: 1981/11/27 – N. C. 10385

World Union of Writers in arabic *Union Mondiale des Ecrivains en Langue Arabe*

www.manofparadise.com www.miroir12.com www.asaadali8.com

بحال 2003/4/5 ؛ 1424/2/3هـ

مكزون حمّين

لشاعر الدكتور الشريف أحمد علي حسن

سلطان الوفاء.. صاحب السعادة والسماحة..

الدكتور أحمد علي حسن المحترم

السلام عليك وعلى مكزون حمّين السنجاري..

وعلى الأرض التي منها سنجار وحمين..!

كشفُك مقامَ "المكزون السنجاري في حمين" "كَ زيادةُ حسنٍ وامتيازٌ لم يُكشَف لسابقيك من المهتمين بصاحب جيش القريض"، كما في خاتمة قصيدته الشمسية..!

وما أدراكَ ما الشمسُ...؟...!.. www.welovesurya.com

السنجاري، صاحب هذا الجيش.. هو كذلك صاحب القصيدة القمرية.. التي مدخلها..

أقبلَ صبحي وسفرْ وحانَ ليلي ودبرْ

وأطلعتْ شمسُ الضُحى عليَّ من وجه القمرْ

دراستُك التاريخية واهتمامُك بالأهمّ: يُغريان همَمَ الأجيال القادمة باستمرار التنقيب؛ لأن كون الله الأرحب، من "حمّين" إلى "عليين" لا تخلو زاوية منه من الكنوز والرموز..

أيها العزيز.. أشكرك شكراً لقمانياً.. فطموحُ روحك ليس له حدود.. وليس لمدَد ينبوعه نفاد.. لقد شوّقت زاهداً إلى مرتفعات موائد تظلُّ شواهدَ لمن يقول "ضرتْ عن كونِ القمر"..!

أشدُّ على يدك خمساً وخمساً **يا سلطان الوفاء**..

وأسأل الله معك لأبناء الكون طيران المكزون..!

وألتمس الدعاء لك منهم.. ومنهم ومنكَ لأفقر الفقراء

أسعد علي

radeyosf@scs-net.org

E-mail:awu@manofparadise.com E-mail:Dr-fls@scs-net.org

P.O.Box 34600 – Fax- Tel.: 6616 789 Tel.: 6666455: Damascus: SYRIA

116 Rue de paray : 75013 Paris- FRANCE, Fax: 0033 147 881 828. Tel.: 0033 611 708 778= 0033 613 439 685

P.O.Box: 359 Cabin John 20818-0359 MARYLAND: USA.

The Threshold Society; 5075 Porter Guish Road, Aptos, California 95003 Fax: 831 465 1057; Tel.: 831 465 0105: USA

W[illegible] 2120 Blue Ridge, Pickering Ontario L1X CANADA

Fax 001-905-6151611 Tel.: 001-905-2704558 CANADA

MAHDI HOUSE: 21, the green; southgate. London, N14, 7AB;Fax: 0044 208 882 7366; Tel.: 0044 208 886 3304 ENGLAND

Mobile: 0044 794 627 7275=25, Athenaeum Road; Whetst One; London N. 20: 9AA: ENGLAND

دمشق – السيدة زينب (ع) – الدرداري – شارع زين العابدين – بناء المصطفى – هاتف 5415370

أن هذه الرسالة وقعت(ككل بداية) في أخطاء قاتلة(كذا) لم تناقشها اللجنة..!وأن عدم مناقشتها سيبقى وزراً حتى يوم الدين، ونحن نتساءل..؟

أولاً: ماذا يريد الأستاذ العكش في حملته هذه على معهد الآداب الشرقية.. ؟ وعلى أطروحة علي أحمد سعيد ثانياً: ألأنَّ المعهد منح صاحب الأطروحة لقب دكتور بدرجة شرف أولى.. ؟ وهو الذي لم تزده هذه الدكتوراه شهرة في عالمه الذي دخله، ولا قيمةً ولا وزناً عند الذين يعرفون، فهو شاعرٌ، وأديبٌ، ومثقفٌ كبير..؟ أم لأنه عالج في أطروحته تاريخ أشخاص أنكرهم هو والمنتمون معه وبحث بها أفكاراً لم يرض عنها هو ولا مشايعوه وناقش بها فلسفة ندَّ عنها هو وأتباعه ..ليس غريباً أن يكون أبو عبد الله الخصيبي صاحب رأي يأخذ به المفكرون وليس غريباً أن يكون الجنبلاني كذلك .. أما الغريب أن يتصدَّى للرأي من ليس له رأي، وأن يزن الناس من ليس بيده موازين القسط ..! إن معيار التحرر أولاً وقبل كل شيء، هو أن يتحرر الإنسان من ذاته، ومن نزواته، فإذا ملك هذا كان حقُّه أن يتحدَّث بجرأةٍ وبصراحةٍ وإذا كان غير ذلك فليس وراءه إلا التجنِّي والافتئات ...

نحن لم نطَّلع حتى الآن على الأطروحة لنعطي رأينا بها، ولا نعلم عنها ما استهدفه الأستاذ العكش، حتى ولو كان أمينا فيما نقل وصادقاً فيما روى، فقد هاجم الأطروحة بشكل فيه الكثير من التجني وبأسلوب خرج به متعسفاً من مبدأ التعليق الجاد اللامتحيز، ولقد لخَّصها بالنقاط التالية وحدَّد موضوعها (**الثبات والتحول**) بحث الأتباع والإبداع عند العرب منذ نشوء الإسلام حتى نهاية القرن الثالث الهجري.

دراسة الجدل والتنظير.. (تأصيل الأصول في الثبات والتحول)

أما النتائج التي توصل إليها فهي نوعان: **وصفيَّة** تتمثل في الكشف عن بنية الذهن العربي. **نقديَّة** تتمثل في الكشف عن احتمالات التغير والتقدم في الحياة العربية، هذه خلاصة ما أورده في تعريف الرسالة.

إذا رجعنا إلى دراسة هذه المواضيع نجدها غنّية بما تبطن من أبعاد ثقافية أغفلها المفكرون، سلك بها المؤلف منهجاً جديداً في البحث، وطريقةً جديدة في التعبير، وقد عنى ذلك هذا المطلق نفسه عبد الرحمن بدوي حين قال: آن لنا أن ننفذ إلى صميم الحياة الروحية في الإسلام ممثّلة في أولئك الذين أشاعوا سورة التوتر الحي معرضين عن الظاهر الساذج المستقيم إلى الباطن الشائك الزاخر بالمتناقضات، وهم بذلك لم يكونوا معبِّرين عن أنفسهم الخصبة وحدها بقدر ما كانوا يتجسدون نوازع عامَّةً يسري تيارها العنيف في الأمة كلها، وفي هذه الطبقات المتوثبة منها على وجه التخصيص، إنَّ أبا حامد عندما قال عن الفلاسفة: حمقى أغبياء، لم يقل ذلك لأنه يؤمن بما يقول، ولكن ليترع إعجاب الناس بهم، وهكذا الأستاذ العكش عندما تعرَّض لتعبير ولغة أدونيس.

وقال:إن اللغة عنده نار، وإن التفكير عنده حطب، وبقدر ما تشتعل عنده اللغة يحترق التفكير، قال هذا ليصرف الناس عن إعجابهم بلغة أدونيس لأنه لا يمكن الوصول إلى أفكاره إلا عن طريق لغته، واللغة وعاء والفكر مضمون، وهذا الأسلوب في التنفير لا يخفى عن متأمليه من أصحاب الفكر.. المخلصون للفكر باقون في مواقفهم الصلبة والأقلام الحرَّة لن تتأثر بالمحرِّفين والمضلين ولن يعوقها في مسيرتها، أن يتمسك الأستاذ العكش بالتاريخ المريض وإذا كان لا يروقه أن يترع صاحب الأطروحة إلى أفكار هي غريبة عن مفهومه وإلى أشخاص هم غرباء عن معرفته فلا يعني أن هذا ينعكس على جميع الناس والفكر العربي المتحرر يأبى أن يجمد في ذهن واحد، وتأبى الحقيقة إلا أن تكون موضع نزاع، ولو تجلّى الحقُّ بكلّيته للعقل لفقد لذّة البحث عنه كما يقول القديس توما الإكويني.

وتعطيل العقل، إنما هو في الواقع تعطيل لحركة الفكر، ويأبى سقراط إلا أن يكون العقل أكثر ما فينا ألوهية، فماذا يقول من يظنُّ أنَّ في نفسه شيئاً من سقراط.

لقد اعتمد أدينا العكش على معلوماته التاريخية وتأثَّر بها تأثراً ظاهراً بدون تمحيص المعلومات المستمدة مما كتبه الغزالي والبغدادي، وابن حزم، وابن تيمية، وغيرهم ومن الأمانة الوجدانية أن نقول له: إن الاعتماد على المعلومات التاريخية من مصادر معينة،

بدون تمحيص، أمر يخرج بطبيعته عما تقتضيه المعاناة في نشدان الحقيقة، ولو كان ذلك كافياً لكان حرِّياً بابن خلدون أن يعتذر للمسعودي، والأستاذ العكش في مقاله هذا رفض أن يتجاوز معلوماته التاريخية المحدودة أو أن يتنازل عن تصديقها، وهو لا يروقه أن يشير صاحب الأطروحة بشيء من قداسة الفكر إلى فئة هو منها، ويؤذيه أن يُذكر رجلاً من رجالاتها بين رجال الفكر، فيتهكَّمُ بسخرية لاذعة على المكزون والخصيبي والجنبلاني وغيرهم، ولا يرضيه أن يقال عند القرامطة عقلٌ وفكرٌ وإبداع، ولو كان منهم المعرِّي وأبو الطيِّب المتنبي، لأن هؤلاء اهمج (على زعمه) ليس لهم ولا لأبناء عمومتهم أتباع الخصيبي كتب معروفة لا في مجال العقل، ولا في مجال الحقيقة والإبداع، ويتساءل بسخرية من أين لهم العقل..؟! إنه ينكر ذلك على القرامطة، وعلى أتباع الخصيبي أبناء عمومتهم، كما يزعم، لا لشيء إلا لأنه لا يستطيع الخروج من معلوماته الضيقة حول هؤلاء الناس في الآفاق الواسعة من الفكر المتحرر، ولا يقنعه أن صاحب الرسالة انطلق من هذا الموضوع إلا من فرضيات هي من خارج التاريخ، وتفسيره ومجتمعه، وزعم أن صاحب الرسالة لم يتحل بروح النقد ولا أخلاقه، وليت أنه لم يسقط بالأمور التي اتهم بها سواه، ولم ينطلق هو من فرضيات، هي من خارج التفكير السليم ومجتمعه .. قال في صدد تعليقه على بحث الثبات والتحول: (ومعيار الثبات والتحول في الثقافة العربية كما يفهم من الرسالة هو البعد والقرب من القرآن..! فبمقدار ما يكون امرء قريباً يكون دفاعياً محافظاً متحجِّراً، وبمقدار ما يبتعد عن القرآن يصبح هجومياً ثورياً مبدعاً، وقطبا هذا الثبات والتحول عند أدونيس هما السنَّة المتزمتة، والباطنية الإمامية المبدعة، فلم يكن هناك لقاء بين تياري الثبات والتحول، فالأول يستند إلى السلطة والقمع والعنف، والثاني يمثل الملائكية في أطهر صورها وأجملها سماويَّة وإشراقاً، قال هذا ساخراً متهكماً وهو ينسبه إلى أدونيس، في حين أنه يقول في موضع آخر(ليس في الرسالة تعريف واحد لهذين الحدين الثابت والمتحول أو لغيرهما من الحدود التي تطلقها الرسالة غير مروحة واسعة من الدلالات، تبلغ في كثير من الأحوال درجة التناقض) والذي يتأمل هذا القول يجده متناقضاً مع سابقه، وهو لا ينطوي على

مبدأ هادف في النقد، وإنما ينطوي على هذيان بغيض وعلى حديث القمع والعنف، فإنَّ ما يراه صاحب الرسالة هو الصواب لأن السلطة تعتمد ذلك في الحالات التي يضيق بها المجال.. مجال اللسان، وقديماً قال سقراط: (تطول اليد حيث يقصر اللسان).

إني وإن كنت لا أوافق الحلاَّج على منطلقاته الفكرية، أرى صلبه على ضفاف دجلة بسبب من أسباب الفكر، يشكِّلُ عملاً من أعمال القمع بالقوة المتسلِّطة. وليس بالفكر،المسلمون ككل هم فئةٌ من الناس تؤمن بالقرآن الكريم وبما جاء به القرآن، واتفقوا جميعاً على مبادئه، وتشريعاته ولكنهم لم يتفقوا على حرفيته فمنهم فئةٌ قالت بالتأويل(وهو الباطن) وأقامت الحجَّة والدليل على ذلك، ومنهم فئة قالت بالتنزيل كما نزل، وأقامت الدليل والحجَّة على ذلك، وبقي التمسُّك والجدل قائماً بين هؤلاء وهؤلاء وعلماء المسلمين لم يتحرَّجوا من ذلك، فقد كان هذا الخلاف منطلقاً تجلَّت فيه نزعة الفكر الإسلامي وإبداعاته المنتجة الخلاقة..والقول بالتأويل، أول من جنح إليه الشيعة الإمامية، وتطرَّفت به بعض فرقها، وذلك لإثبات النصِّ على خلافة الإمام الأول، وهو بحقيقته ليس بعداً عن القرآن، كما أراد أن يتأول الأستاذ العكش وإنما هو بعدُ معه، ويستندون في ذلك إلى الآيات الكريمة (وكذلك يجتبيك ربك، ويعلِّمك من تأويل الأحاديث) و(سآتيك بتأويل ما لم تستطع عليه صبراً) و(ما يعلم تأويله إلا الله) وغير ذلك من الآيات.

وبعامل القمع والعنف، تحول الحكم في المسلمين عن قواعد الشورى إلى الحكم الوراثي، وهذا ليس فيه شيء من القرب إلى القرآن، وبهذا تعامل نفسه عامل القوة والعنف أجبر علي بن أبي طالب على بيعة أبي بكر.

ونحن لا نريد أن نتحدث عن سلطة الفرد عند الأمويين والعباسيين وبني عثمان وما إذا كانت هذه السلطة سارت على نهج أبي بكر وعمر..! ولم تقتصر هذه العوامل القسرية على المسلمين، وعلى الدين الإسلامي فقد فرضت سلطة قسطنطين رأياً معيناً في المسيحية...

ونستخلص من هذا، أن نظرة أدونيس إلى الباطنية: إنها حركة مبدعة، هي نظرة علمانية دقيقة، وليست طائفية، وهي في مدلولاتها ومشتملاتها تنفذ إلى ما وراء الحرف والكلمة من مقاصد وأغراض روحية وعقلية، كما أنه لا ينفرد بذلك فهو يتلاقى مع الأستاذ عبد الرحمن بدوي في تصديره للكتاب(شخصيات قلقة في الإسلام) ومع الأستاذ محمد كامل حسين في مقدمة(ديوان داعي الدعاة)ومع الدكتور مصطفى الشكعة في كتاب (إسلام بلا مذاهب) فكيف يجوز لهؤلاء ما لا يجوز لأدونيس، وكيف أنَّ هؤلاء لم تكن نزعتهم استعمارية.. ويؤسفنا أن نجد أن الأستاذ العكش يكثر ترديد كلمة(فرقته، وطائفته) يقصد بذلك صاحب الرسالة ويزيدنا أسفاً أن نجده يؤذيه أن يقال شيء في الفرقة هذه والطائفة هذه، فيه شيء من الإنصاف، وكنا نضنُّ به أن يتعرض لمعتقد زعم خطأً أنه تلمودي المصدر والمنشأ، وأنه انبثق عن محفل ابن سبأ، ولم يقل إنه قرآني المبدأ والمنهج..

وغريبٌ كل الغرابة هذا الزعم الناشئ عن جهلٍ طميس في العقائد الباطنية، وكنا نتمنى ألاَّ يكون المستشرقون أكثر منه إنصافاً، ولا أعمق منه معرفة بهؤلاء الناس الذين يعتمدون القرآن والحديث وكلام أهل العصمة، وكأنما يؤذيه أن يجد عوامل التقريب تنشط في هذا العصر بين طوائف المسلمين، فيزعم أن الشيعة والسنَّة يتبرؤون من هذه الطوائف، وهو بذلك ينبه إلى عصبيةٍ جديدة لا يخدم بها دينه، ولا بلاده ولا أمته، هذا إذا كان عربياً، ونذكِّره أنه بذلك يتواطأ مع الاستعمار والصهيونية، أكثر من نزعة تفسير التاريخ على الطريقة الأدونيسية كما يزعم، وينكر الصوفية التي تتصف بها الإمامية، لا لشيء إلا لأنه يجهلها، ولأنه لا يعرف صوفيَّة الفكر والعلم والمعرفة التي يتبناها الشاعر المكزون والتي رفض ما سواها بقوله:

ليس زهد الفتى بتحريم حل ... من نكاح ومطعم وشراب
وارتباط للربط، أو باعتزال ... في جبال، ولا بسرقع ثياب
بل بقصد فيما أحل، وزهد ... في حرام، ورغبة في ثواب

ولهذا لم يرقه أن يقال عنه شاعر، فهو ينظر إليه شاعراً تافهاً مسخ شعر ابن الفارض.

ولا أجيب عن هذا الرأي التافه، فلو قرأ شعر المكزون لعدل عن رأيه وأدرك مدى الشطط الذي وقع به والتفاهة التي هوى بها..

نحن لا نريد أن نتصدى الآن للمقارنة بين المكزون ، وبين ابن الفارض الصوفيين، ولا بين شعريهما، فإن هذا يحتاج إلى بحث خاص،ولو كان منصفاً ومخلصا للفكر لا كتفى بأن يناقش الرسالة موضوعياً دون أن يتعرض لمعتقد، أو طائفة أو أشخاص، ولكنا رحَّبنا به كفكر لا كمتعصِّب، وكناقد ، لا كسبَّاب وشتَّام، وكنا نتمنى أن يكون أكثر التزاما بمبدأ المناقشة والنقد، وأكثر حياداً في هذه الأحوال التي تقتضي النصفة والحياد.

١٩٧٣/٧/٢٢

الأستاذ حامد حسن، والمكزون السنجاري

إضاءة

هذا المقال يشكل قراءة واعية لمجلدين فقط من كتاب ألفه صديقنا الشاعر الكبير الأستاذ حامد حسن عن المكزون السنجاري وقد أبديت فيه ملاحظات يشفع لي بها عند صديقي المؤلف حسن الظن وسلامة القصد ولما كان لهذا المقال علاقة مباشرة بتاريخ المكزون أحببنا أن نضيفه إلى هذا البحث بيني وبين أخي وصديقي الأستاذ حامد حسن علاقة من الصداقة الحميمة ترجع بنا إلى الفجر الأول من شبابي ، كان من أوثق روابطها ، وأعرق وشائجها قرابة الروح والفكر فقد آثرني بوفائه وتقديره وأولاني الكثير من تشجيعه ، وكان بحكم ما وهبه الله من عبقرية نادرة ،فقد سبقني ، وجلى في ميادين النثر والشعر والكتابة ، فما زال يقربني ويبالغ في تقريبي ، ويشجعني ويبالغ في تشجيعي متعاونا بذلك مع قريبي الدكتور وجيه محي الدين يوم كانا يعملان معاً على إصدار مجلّة النهضة في طرطوس ، إلى أن قيض الله لي معرفة الحرف ، وفهم الكلمة ، وتذوقت ما فيها من حلاوة وجمال ومتعة، فشغفت بهما أشد الشغف ، وجنحت إليهما مؤثراً إياهما على كل ما في الدنيا من متع ومغريات ...

وبرغم ذلك لا يمنعني أن أقول: إن هذه العلاقة الأدبية الراسخة ، وهذا الولاء العميق الذي يوجهني نحوه ، لا يمكن أن يحملني على الإسراف في الثناء عليه ، ولا على الغض منه ، أو التقصير في حقه ، حينما يدعوني واجبي الأدبي إلى مناقشة رأي من آرائه ، أو كتاب من كتبه وإعجابي به وبقلمه ، لا يصرفني عن التصريح بما تتحرك به خواطري وتنبض به مشاعري والإنسان ما كان ولن يكون في هذه الدنيا لولا صفات الإنسانية التي تفرد بها ، وأذعن بموجبها إلى حكم العقل وسلطان الإرادة العقلية ، وسار فيها على نهج الفكر المضيء المشرق فالإنسان بالنسبة إلى هذه الحياة، عاقل ، ومريد ، ومفكر ففي عقله مكنون إرادته ، وفي تفكيره خصائص عقله.. والعقل، هذا الميزان الذي لا يظلم قسطاسه أحداً والإرادة تلك التي تختار وتصطفي وما تستسيغه في الحياة ،

فتقدم من أجله على ارتكاب مخاطر الحياة وصعوباتها والفكر، هذا الشعاع الداخلي الذي يتألق بين الحرف والحرف ويرتسم معنى مقصوداً متخيراً يشير على ذات معينة تتشكل منها حقيقة الإنسان وصفته وكيانه وأخلاقه العلمية والعملية...

وبالعقل المتحالف مع الفكر يدرك الإنسان تميز تصرفات نفسه وتصرفات غيره سواء أكانت أدبية أم غير أدبية ، وعلى هذا المستوى ، ومن هذا المنطلق يدرك الإنسان بتمحيصه الخاص أهمية ما يقرأ أو يكتبه ، أو يعرض عليه ، ويتبين خطأه من صوابه ..

وعلى معرفة الخطأ والصواب يتوقف منطق الحياة الأدبية ، وسلامة الذوق الأدبي وجمال التغيرات الذهنية ، عند الذين يؤمنون بهذا المسلك الشريف .. وأمامي الآن ينتصب بقامته المهيبة، وشخصيته الوقورة، وذكائه العقلي، صديقي الأحب الأستاذ حامد حسن، ويطلع علي بعقله وإدراكه وتفكيره، وكأني أسمعه يتحدث إلي بلسانه الموهوب، وأنا أقرأ دراسته (المكزون السنجاري بين الإمارة والشعر ، والتصوف والفلسفة) كأني أسمعه وأسمع كلماته المتدفقة على لسانه بفصاحته المعهودة وبيانه الأصيل وإطلاعه الواسع المتقصي، فهو بنفسه (أنسكلوبيديا) مستقلة، وعالم زاخرٌ بالمعاني.

قرأت كلمته على عتبة الكتاب، وكنت قرأت هذا الكتاب يوم صدوره قراءة عابرة، ولكن مجلساً ضمني معه مؤخراً في المريكيش، وبعضاً من الحوار حول الكتاب حمله إلى مطالبتي قراءته مرةً ثانية بروية وأناة لأكون على بصيرة من مشتملاته، ومدركاً لبحوثه بشكل دقيق وقد أحسن إلي بذلك ، ففعلت جزاه الله خيراً...

هاهو بهذه الكلمة يخاطبني ، ويخاطب كل قارئ من قرائه فيقول:(إذا تحدثت إليك بآرائي ولك كل الحق وكل الحرية أن ترفضها أو تأخذ بها، أما إذا تحدث إليك التاريخ فما عساك تفعل ..؟ والتاريخ وثيقة حركة الإنسان والبرهان الناطق بما كان) بهذه العبارة الوجيزة، فتح لك ولي باب الحرية على مصراعيه، فليس هناك ما يفرض عليك القبول، ولا ما يحظر عليك الرفض، هذا بالنسبة إلى رأيه في الكتاب أما إذا تحدث إليك التاريخ، فلا يسعك إلا التسليم للتاريخ ، فهو البرهان الناطق بما كان.. وقد قسم

النـــاس في مثل هذه الأحوال إلى ثلاثة، جاهـــل، وعـــالم وعاقـــل، عمـــلا بقـــول أرسطو (الجاهل يؤكد و العالم يشك والعاقل يتروَّى).

وهذه الدعوة منه إلى استعمال العقل المترويَّ، قبل الجزم والتأكيد من الجاهـــل، وقبـــل التردد والشك من العالم ليخرج الحكم المرتأى، سليماً ومفيداً و محقاً..وبنـــاءً على هذه الدعوة سأبتعد عن الجهل وأكون عاقلا ما استطعت، ومترويا في كل ما يقع عليه شكي أو يحوم عليه ترددي، سأتجاوب مع كل برهان وبينة.

وها إني ابدأ أولاً بمقدمة الكتاب، عملاً بما التزم به هو، وبما ألزم به قارئَه، قال حفظه الله (إنني في هذا الكتاب لا أتعصب لرأي أو نظرية، أو مذهب، ولكني أســـتعرض الآراء والمذاهب والنظريات[1] وفي هذا القول يفصح عن تخلّيه عن كل شيء إلا عن حريـــة الفكر فهو يرسم لنفسه معالجة الآراء والنظريات والمذاهب من خـــلال الاســـتعراض، بروح رياضية بحتة لا سلطان عليه بها،إلا سلطان القنـــاعة الوجدانية التي يؤديها دليـــل العقل وبرهان التاريخ وبينـــاته متجاوزاً بذلك أولئك الذين لا يرضيهم هذا الدليل، ولا هذا البرهان.

وقال في معرض سبب قيامه بهذه الدراسة المعمقة جواباً لمن يسأله عن ذلك :(إن هـــذا الشاعر"يعني المكزون"يختلف عن غيره من الشعراء، فهو شاعر ومتصوف ومتفلسف ولا أبالغ إذا قلت فيلسوفاً،تعمَّق في كل علوم عصره الحافل بثمرات العقـــول والأفكـــار، والعاجَّ بمختلف الثقافات عالج في شعره المنطق والفلسفة والطبيعة، والفلك والرياضيات، والتصوف، والفقه، والشعر، ومارس الزهد والتقشف وراض السياسة والإمارة، قـــاد الجيوش وغزا الأعداء، وهُزم وانتصر وشارك في الاختلافات والجدل المذهبي ومســـائل الإمامة والخلافة وكل النزاعات المذهبية التي عرفها المسلمون في عصره وما قبل عصره،

١) كان الشهرستاني صاحب الملل والنحل قد سبق المؤلف إلى هذا التحرر العقلي فقال: وشرطي على نفسي أن أورد مذهب كل فرقة على ما وجدته في كتبهم من غير تعصب لهم ولا كسر عليهم... إلخ

كما نـــاقش أهم المسائل والنظريات لكبار الفلاسفة والمتصوفين والمتكلمين والمحـــدثين بمنطق يجمع بين البلاغة وقوة الحجة والسند العقلي والنقلي).

وليسمح لي أخي وصديقي أن أقف هنـــا موقف العالم الشاك في كثيرٍ من تعريفاته التي انثال بها قلمه حول شاعرنـــا المكزون، هذه التعريفات التي لا دليل على أكثرها مـــن التاريخ، ولا برهان وهو الذي بدأ كلمته متمسكاً بالتاريخ، إلا إذا كان يعتـــبر أمـــين غالب الطويل مؤرخاً ثبتاً والذي يمكن إثباته من هذه التعريفات هو ما قام عليه الـــدليل من شعره وخير آثار شعره.

ولا تثريب على من يشك بممارسة الزهد والتقشف وترويض السياسة، وتقليده الإمارة وقيادة الجيوش وغزوه للأعداء، وهزائمه وانتصاراته فكل هذه الصفات ليس عليها دليل من شعره الذي هو منطلق الدراسة، ولا من التاريخ وأما الصفات العلمية الأخرى فإن اتصافه بها كان على نحو معيَّن، وإنه لم يعالج المنطق وكلنـــا يعرف معنى كلمة معالجـــة ولكنه كان يعرفه فعلاً وأخضع قواعده على قاعدة مذهبه في قصيدته المعروفة:

هب منطقي سمعك يا وهب وعُـج بـه يبدُ لك العجبُ

كما أنه لم يعالج بقيَّة العلوم المذكورة كباحث بها ومجدِّد في معارفها وعلومها، ولكنه أشار إلى روحانيتها التي تتلاقى مع روحانيته، ولم يعرف أنَّه مارس التصوف بل علـــى العكس عارضه وانتقد تزمته، وجفاف زهده خروجاً على المحلل في الشريعة، وهو بهذا يتلاقى مع ابن القيم الجوزي ومع فيلسوف المعرة ومع الكثيرين من معارضي التصوف..

إذا كنـــا نـــاقش الأخ الكريم بهذا، فلأنه ترك لنـــا حرية الرأي، وقيَّدنـــا بالتـــاريخ النـــاطق بما كان.. وإذا كان حفظه الله على قـــاعة أصيلة من ذلك فكان عليـــه إزاء ذلك، أن يشير إلى كل صفة من الصفات التي ذكرها بدليل من التاريخ برهانـــا علـــى صحَّة ما يرويه ويصبح مسؤولاً عنه في التاريخ، كما ينبغي أن تتنـــاول الدراسة كـــل صفة من هذه الصفات مؤيدة بالدليل والبرهان.

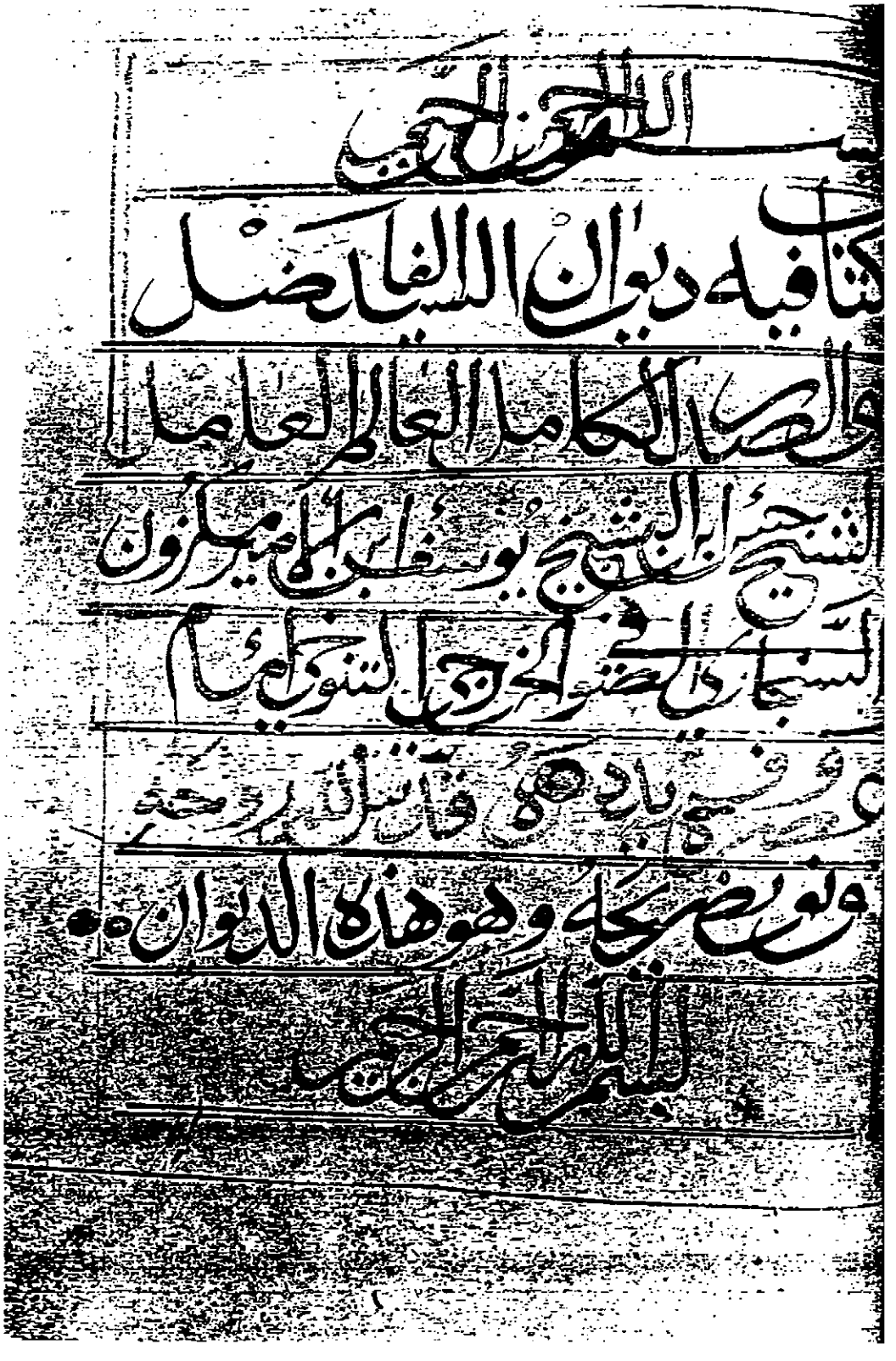

وليس يهمنـــا ما أشار إليه في عصر المكزون من ظواهر وإشكالات، ورسوبات فكرية وعقائدية، وسياسية وإن كانت المنطلق الأساسي في تاريخ حياته وآثـــاره بقـــدر مـــا يهمنـــا تأكيد ذاته بما هو موصوف به في هذه الدراسة.

وفي أجوبته عن الأسئلة التي قال: إنه يعلم مسبقاً أنها كثيرة، سيطرحها القرَّاء عقـــب صدور هذا الكتاب، ومنها(التقية) حمَّل المادة وسيطرتها ومؤسساتها الشريرة وخوفاً من سعيرها المتلظّي، عمد إلى تلطيف الجو بشيء من الروحانيات التي يحتاجها كل امرئ إلى هدهدة أحلامه، وآماله، ولا أختلف معه في كثير مما قاله بهذا الصـــدد، إلا أن المعـــنى المقصود بكلمة(تقية) وفي القول المأثور عن الإمام الصادق(ع) هو أن يحجب العاقل ما لا يتحمله الجاهل.. هذه هي التقية وقد نوَّه بها المكزون كثيراً في شعره، وعلـــى هـــذا الأساس إذا كانت الصراحة تفضي إلى مشكلة يرتبك بها عقل الجاهل، فالإمساك عنها أوجب، وليس معنى ذلك انغلاق، أو تسميم للحوار وإنما إدراك للنتائج، ومـــا تســـفر عنها، وإلى هذا أشار المكزون بقوله:

قالوا: أشر رمزاً إلى سرّ الهوى إن لم تكن بصريحه متلفظاً

وعند أبي حامد الغزالي:(إن من الآراء ما لا يطّلع عليه إلا أهل النباهـــة المخلصـــون، والكاتمون للسر)(راجع الصفحة ١٧٤ من هذه الدراسة) والمكزون يقول في مكـــان آخر:

وكن لما شرّعته في حبها متبعاً مطّرحاً عنك الكسل

ترق إلى الباطن من ظاهر ما شرعته فعندها اصمت واعتزل

يقول الدكتور أسعد أحمد علي :الله والإنسان هما طرفا المشكلة الفلســـفية، ويقـــول: والمعرفة هي الثمرة الطبيعية والحوار بين طرفي الوجود الله، والإنسان.

والأستاذ حامد يقول:الإنسان اكتشف طريقه إلى الله، وهذا يعني أن المشكلة الفلســـفية التي أشار إليها الدكتور أسعد قد زالت عند الأستاذ حامد.

ونحن نقول: إنه بالرغم من تقدم العصر والفكر لم يكتشف الإنسان طريقه إلى الله، وقد قال المكزون :

فإنَّ سبيل الرشد للناس واحدٌ وما الغي إلا في متابعة السبل

إن الحاجة إلى الأدلّاء والمرشدين لا تزال ماسَّةً، فالله كالحقيقة صورة غير منظورة، يبحث عنها الإنسان في وجدانه وهذا الذي يجعل بعضهم يطفو، وآخر يغوص. وهذا الذي جعل العقل تارة فريسة الأوهام والأساطير والخرافات، وطوراً أسير الإيمان بالغيب المشهود بآثاره، ودلائله وهذا يعني: أن المشكلة الفلسفية بين طرفي الوجود لا تزال قائمة.

بحوث الكتاب:

وننتقل من المقدمة إلى بحوث الكتاب، وفي مقدمتها الألقاب والكنى.

لقد جهد الأستاذ حامد في تقصي معرفة إمارة المكزون، وسبق أن أشار إليها في المقدمة، وتساءل: هل هي إمارة زمنية كما يقول الرواة..؟ أم أنها إمارة أدبية خلعها عليه مقدِّروا علمه وفضله، وأقدم تاريخ يعتمد عليه في تلك الألقاب لابن القوطي المولود سنة ٦٤٢هجرية والمتوفى عام ٧٢٣هجرية، يأتي بعده الجديلي في التجريد، والتجريد ككتاب خاص، ومعجم الألقاب ككتاب عام، هما الوثيقتان اللتان اعتمدهما الدارس في مثل هذا الموضوع، أما فهرس المخطوطات في المكتبة الظاهرية ومختصر تاريخ العرب وقلائد الدرر وكل ما جاء في العصر الأخير، لا يؤخذ به كمستند لإثبات هذه الإمارة،لأنها كلها تلتقي مع صاحب تاريخ العلويين ومن جاء بعده، لاسيما وأن الألقاب بالنسبة لهذا الشاعر قد اختلفت في نسخ ديوانه فمنهم من يلقبه بالرئيس، ومنهم من يلقبه (بالملاّ) واعتقد أن كلمة (أمير) جاءت مؤخراً بديلاً لكلمتي(الرئيس) و(الملا) .

لقد اطلعت على نسخة مخطوطة من ديوان المكزون يعود تاريخها لعام /١٠٨٧/ هجرية بخط الشيخ سلمان رضوان من درمينة جاء فيها تعريفه كما يلي: **(كتاب فيه ديوان مولانا الشيخ الإمام العارف المحقق المدقق الكامل الفاضل قدوة العارفين وإمام المحقين خلاصة نوع الآدميين فخر الدنيا والدين فيلسوف دهره وفريد عصره صاحب الكشوف النورانية**

والمخبر بالعلوم الربانية،الشيخ الرئيس، والعالم النفيس، أبي عبد الله،وقيل أبي محمد الحسن بن مكزون السنجاري، المتصوف النميري، قدّس الله روحه ونوّر ضريحه) .

إن هذه الترجمة صالحة لاعتبارها منطلقاً في تأكيد صفة المكزون الروحية والعلمية، لأن الإشارات والعبارات كلها تنصب على مزاياه العلمية، والفكرية ومعارفه الروحية الكاملة،وليس فيها ما يشير إلى مركزه الزمني إلا كلمة " فخر الدنيا " إذا صح اتخاذها دليلاً على إمارته أما أن يكون هذا اللقب وراثياً للشجرة المكزونية، فقد بقي هذا القول في حدود الظنية، وحتى عند صاحب الدراسة بدليل قوله: و(يمكن) وهذا ما يحملنا على عدم الأخذ بالإمارة، واعتبارها في العصر الأخير بديلاً لكلمتي (رئيس) و(ملا) اللتين مر وصفه بهما.

ولا يد لنا من الوقوف عند قوله عن (الجمَّل) وهو الإشارة بالحروف ذات الرقم العددي المعَين إنه طريقة يهودية قديمة، دون أن يشير إلى سنده في هذا القول تحديداً لتاريخ استعمال هذه الرموز والسبب الداعي إليها، ولماذا جعلت وقفاً على فئة معينة تجيد حلّها، ولماذا ترك سرُّها محجوباً عن غير أهله إذا حاولنا القفز من فوق الغنوصيات المستورة..؟ أليس معناه أن هناك تفاوتاً بين العقول البشرية في إدراكها، وأليس فيها معنى من معاني التقية في حجب ما لا يتحمله الجاهل.

وفي ما يتعلق بآثار المكزون، وعرضها وتلخيصها وبيان موضوعيتها، كان على مستوى عال من الدقّة والفهم والبيان، ولكن ربما كان ينبغي أن نستخرج من هذه الآثار صورة منهجية لها واضحة، تحسن قيادة القارئ إلى غايتها، وبما أنه وعد بتفصيل ذلك في الأجزاء المقبلة نترك مناقشة ذاك إلى حينه.

ولقد راق لي تعليقه على التقرير الأول من رسالة المكزون(تزكية النفس) والتزام صاحب الرسالة بالنصِّ الشرعي، وتقيده بالنصوص، ولكن لا بد من التنبيه على معارف خلفية، ترتسم وراء هذه النصوص .

والمكزون لا يتخبط في معرفته فهو يقول:

وكلُّ ما رويته شاهده آي كتاب أو حديث أو أثر

وهل هذا القول، وإن كان ورد خاصًّا يصلح للمرور إلى بقيـــة أبحاثـــه وإشـــاراته العمومية، وربما يخرج عن عمومية هذا الشعار قصيدته:

هبْ منطقي سمعكَ يا وهبُ وعُجْ به يبدُ لكَ العُجْبُ

فهي ليست من القصائد ذات الدلالة المنهجية في علم المنطق وإنما هي تفسير وتصحيح لأغراضه التي يتخبَّط بها المنطقيون وهي تصلح منطلقاً لاستكشاف أفكار المكزون التي قام بعرضها من خلال جولاته الشعرية، مبينـــا أن المنطق هو الذي يعرفه ولذلك يدعو صاحبه للإصغاء والاستماع إلى منطقة الصحيح ليدرك العجب مما يتخبط به الآخرون، وكذلك يفعل مع الرجال الصوفيين، فهو أيضاً لا يرى في تصوُّفهم ما يماثل تصـــوُّفه، ويدعوهم إلى هذا التصوُّف الذي يثير إعجاب أولئك القاصرين عن معرفته، ويدهشهم ما فيه من المتع الروحية التي توجد في غيره، إليك قوله:

حيَّ على تصوُّف بمثلـــه فليطل العجب لأرباب القصَرْ
حيَّ على مورد عين عذبت ما دونها ريٌّ ولا عنه صَدَرْ
فيها بتقليدي غدوتُ عارفاً بمظهر المضمر من آي السوَرْ

إن المكزون في هذه الأبيات يدعو هواة الصوفية ومريديها أن يقبلـــوا إلى مثـــل هـــذا التصوف الذي يؤذن له، وإلى ورود عين عذبة المورد لا يظمأ الشارب منها ولا يصيبه الحر، وكأنه بهذا يعرض بقول البسطامي ليحيى بن معاذ:(غيري شرب بحور السماوات والأرض، وما روي بعد ولسانه خارج ويقول: هل من مزيد) وهو يشير إلى أن تقليده الذي تابع فيه شيوخه جعله يعرف المعنى المضمر في آي الكتاب، وهي صوفيَّة العارفين بحقائق التأويل، وبواطن الرموز والإشارات، لا المضللين الحائرين بين الاتحاد والحلـــول والخابطين في مفهوم الزهد والتقشف، فهو يؤمن بالمعرفة قبل قهر الجسم، ويؤمن باليقين قبل قمع النفس.

لقد بحث متصوف صاحب الدراسة فأشبعه بحثاً ورجع به إلى مصادره ومنطلقاتـــه الأولى ولكن لا أدري كيف سماه(مدرسة) أو(نزعة) عالمية، وماذا يربط بين(المدرســـة) و(النزعة) فالمدرسة ذات منهج معيَّن والنزعة جنوح منفرد في خاصر الفرد، نحو ســـلوك

خاص ربما أصبح عمومياً، أما قوله: (إنه دنيا الروح التي تتلاشى فيها الحدود، وتذوب فيها الفوارق ويعمُّ الحب ويسود الإخاء والصفاء) فهو قولٌ جميل لا شائبة فيه لولا وجود الحدود والفوارق القائمة بين المتصوِّفة أنفسهم، ولو كان هذا الروح معتمداً عندهم لما اختلف المكزون معهم ولما تباينت وتعددت أهواؤهم فتعددوا، ولو كان هذا صحيحاً لما اعتبرهم من أرباب القصر، وهو أدرى بهم منا لأنه اطَّلع على جميع أحوالهم ومكاشفاتهم، ولابد لنا من سؤال صديقنا الجليل، عمَّا إذا كان يؤمن بنظرية (داروين) في أصل الأنواع عندما قال"أي صاحب الدراسة"(ونجد الشخصية الحيوانية متقدمة على(نظريتها) الشخصية الإنسانية لأن الأولى أصل في الكائن الحي) وما يعنى بكلمة(نظيرتها) فهل الشخصية الإنسانية من نظائر الشخصية الحيوانية..؟ أم أنها منافية لها، وإذا كان الإنسان حيوانا بالأصل فهذا يعني أن إنسانيته مكتسبة من خارج نفسه، وهذا ما يجعل التنظير نحو هذه(النظيرة) قلقاً ومضطرباً، وهنا يحق لنا أن نتساءل من أين اكتسب الإنسان الأول إنسانيته، وهذا الصراع وهذا العنف الذي تواجه به حيوانية الإنسان إنسانيته، هل دفع لغزو يأتيه من الخارج..؟ أم نزاعٌ فقط بين طرفين يشتركان على ممتكة الجسم الغريزي الشهواني.

ولا نجادل مطلقاً"وإن كان يمكن الجدل" في أن التصوف نشأ فوق أرض الضعف وتحت ظلال القهر والحرمان، وكردٍّ فعلٍ لهما كما يقول الأستاذ حامد، ومن تحديد تاريخ التصوف في القرن الثاني للهجرة ندرك ذلك، حيث بدأ عهد الترف والانخلاع، الذي تلقَّاه العباسيون عن الأمويين، وقد شجَّعه بعضهم لأن به إلهاءً عن مثالب هؤلاء وصرف مطامع الآخرين في الدولة حتى أصبحت الدولة مشغلة لأبنائها، صرفوا اهتماماتهم عن كل ما عداها، وكل من عنده شيء من الألمعية، لا أدري بماذا يفسر موقف أبي حامد من الجيوش الصليبية، وهي تحتل بيت المقدس، وهو منصرف إلى تأليف كتابه(إحياء علوم الدين) ومنقطع لأجل ذلك في مأذنة الجامع الأموي في دمشق.. نحن لا نستطيع أن نقول: إن القهر والحرمان والضعف منشأ الصوفية وحسب، وإنما نؤكد بأنها هي الأصل في منشأ المعبودات وفي تفكير المخلوق بالخالق القوي القاهر بجبروته وسلطانه

أمام ضعف الإنسان وهوانه في حياته، وكما أن الإيمان بالغيب، وبذات إلهية قادرة كان قبل الإسلام وغيره من الديانات التي سبقته، فكذلك الصوفيَّة، إن هي إلا امتداد لما هو في غيرها، من إيمان عميق حتى المحو في ذات معشوقة وراء القلب يشار إليها بصفاتها المرسومة في قلوب العارفين، ومن هنا نستطيع القول: إن الذين قالوا بحصره في الكتاب والسنَّة مخطئون، وحتى علماء المسلمين لم يتفقوا على الصوفية كشيء ينطلق من مبادىء إسلامية، وربما صاحب (تلبيس إبليس) ومن شاكله يقوم دليلاً على مقولتنا هذه، مما لا يسمح باعتبار التصوف منبثقاً من جذور إسلامية أو أنه بشكله العلمي حقيقة من حقائق الإسلام الأصيلة.. وإذا كان جاء في القرآن ما يدعو إلى الزهد الذي من شعارات الصوفية، فكذلك يعني الزهد بغير الحلال، وإذا كان فيه ما يدعو إلى القناعة"وذلك من شعاراتهم أيضاً" فلنحدَّ من أطماع الآخرين بما ليس لهم، والقرآن يدعو إلى العمل والكسب، والصوفية تدعو إلى الكسل والتواكل، وكما أن الإسلام كان امتداداً لغيره من الأديان بدليل قوله تعالى:(والذين يؤمنون بما أُنزل إليك وما أنزل قبلك وبالآخرة هم يوقنون)[1] كانت الصوفية امتداداً لغيرها من صوفيات شعوب قديمة واعتبار أن التصوف الإسلامي منشؤه الإسلام وحسب أمر مختلف فيه، بالإضافة إلى أن صاحب الدراسة لم يشر إلى التصوف الإسلامي بأسناد تاريخية من التاريخ الإسلامي أو العربي، ولكنه اكتفى بردِّ أقوال من يقول إن له ارتباطاً بالصوفيَّات الأخرى، وهناك للصوفية في التاريخ الإسلامي طريقتان كان يعمل بهما أبو محفوظ معروف بن فيروز الكرخي إحداها عن الإمام علي الرضا(ع) الذي أسلم على يديه بعد أن كان مجوسياً، والثانية عن أبي الحسن البصري ويربطها بعلي بن أبي طالب(ع) وكلاهما أي علي بن أبي طالب وعلي الرضا لم يؤثر عنهما شيءٌ من ذلك.

والصوفية في مسيرتها هذه يتنازعها فريقان،الأول يعتبرها غريبة عن الإسلام. والثاني يلتمس لها أصلاً في القرآن والسنَّة وسيرة كبار الصحابة.

---

[1]) (البقرة الآية٤)

ونلاحظ أن المصادر الشيعية تصل التصوُّف بها اعتزازاً، والمصادر السنيَّة تصله بالتشيع استهجانـــا، ويقال أنَّ أول من لقِّبَ بالصوفي في التاريخ الإسلامي أبو هاشم الكـــوفي المتوفى سنة/ ١٥٠/ هـــ ودام الأمر كذلك والاختلاف واقع حتى على سبب تسميتها وعلى نسبتها ومنشئها فحريٌّ بنـــا أن لا نتمسك بجذورها الإســـلامية وشاعرنـــــا المكزون يعارضها ولا يتمسك بها على الشكل المعروف بين رجـــال الصـــوفية، ومـــا يتخللها من أحوال يغلب عليها طابع الشذوذ، وبحث الدراسة (بين العلماء والمتصوفين) يكفينـــا من التوسع بهذا الموضوع.

إننـــا بعد كل ما قدَّمنـــاه، نجد الأستاذ المؤلف بنتيجة هذه النتيجة يقدم لنـــا تصوف المكزون وزهده ولكن المكزون يعارض كل ذلك بقوله :

ليس زهدُ الفتى بتحريم حلٍ من نكاحٍ ومطعمٍ وشرابِ

ولا بدَّ لنـــا من أن نتساءل من صديقنـــا وبحاثتنـــا: هل أدرك بكل ما قام بـــه مـــن دراسة، أنَّ للمكزون صوفيَّة يعرف بها تمتُّ إلى مدرسة من مدارسها أو نزعة عالمية من نزعاتها.. إن كل ما أورده صاحبنـــا من أبيات للمكزون لا يعتبر دليلاً على صـــوفية معينة له، وإنما هو رأي فيه الحكمة، وفيه التصدي وفيه التعريض ببعض أصحاب الطرق الصوفية، ونقد للكثير من سلوك رجالاتها، وكان ينبغي قبل بحث المقارنة بين صـــوفية المكزون وغيره أن نتأكد منها فالمكزون نـــاقد للصوفية وليس متصوفاً كما يبدو مـــن شعره، وفي الصفحة /١٥٢/ بحث (مراقبة الله في الصوفية) عن التوبات الثلاث، توبـــة العامَّة، توبة الخاصَّة وتوبة خاصَّة الخاصَّة، وكل توبة لها شروطها المعينة.

وقد جاء في تعريف التوبة العامَّة (هي التبرؤ من الأغيار.. فمن هم الأغيار الذين يشترط التبرؤ منهم.. ؟ وكيف يكون هذا التبرؤ.. ؟ لا بد من الوقوف عند تقسيم التصوف في الإسلام إلى نظري وعملي، فهل في التصوُّف أشياء نظرية ..؟ وأخرى عمليَّة كما هو الحال في العمليات الرياضية ما دام التصوف هو أشواق وانخطاف وانجذاب روحي.

نلاحظ أن القسم الذي تسميه الدراسة (نظري) يسميه (غوته) ديني، وغوته يعتبر الحلاج والبسطامي وابن الفارض أصحاب تصوُّف فارسي وهندي يتعارض مع الإسلام لأنه ينتهي في الحقيقة إلى مذهب وحدة الوجود الذي يعارضه ابن سينا في كتاب الإشارات ويتعصب له (الهروي) و(ابن عربي) وابن سبعين وابن العفيف وابن الفارض والنجم الإسرائيلي. وإذا كان المستشرق (جولدتسيهر) يرد التفسير الرمزي الصوفي للقرآن ، فما ذلك إلا تأثر بما قام به (فيلون) [1] و(أورجين) بالنسبة للكتاب المقدَّس وقصص العهد القديم، وذلك قياساً منه لا حقيقة، وعلى بعد ما بين معسكري الظاهر والباطن، والنص والتأويل، والشريعة والحقيقة، وغيرهم من أصحاب المذاهب والآراء التي تقول الدراسة إنها تتعمد أن لا تتلاقى فكرياً مع غيرها لتمسك كل فئة من هؤلاء بطرفٍ من طرفي السلب والإيجاب.

يقول صاحب الدراسة: لم يكن الأمير حسن بعيداً عن المعسكرين المتصارعين على المستوى الفكري والسياسي فهو مسلم شيعي إمامي اثنا عشري، يمتاز قبل كل شيء بما تمتاز به الشيعة الإمامية في تاريخها السياسي، ولكنه يقول بالتنزيل والتأويل. [2] هذا الاستثناء به (لكنَّه) يعني أن يختلف عن الشيعة بهذا المظهر، فهل يرى أستاذنا الحامد أن الشيعة تقول بالتنزيل دون التأويل، ومن الذي روى عن الرسول(ص) أنه قال لعلي(ع) (ستقاتل على تأويله كما قاتلت على تنزيله) ومن الذي أطلق هذه العبارة (إن لكل ظاهر باطنا، ولكل شريعة تأويلاً) وعلى هذا الأساس، فقول المكزون بالتنزيل والتأويل يبعده عن المعسكرين المتصارعين اللذين يقول أحدها بالتنزيل دون التأويل، والثاني يقول بهما معاً، لأن ظفره بمعرفة التنزيل، حقَّق له ظفراً بمعرفة التأويل وظفره بمعرفة التأويل جعله يسلك (طريقةً) تختلف عن طرائق المعسكرين (طريقة) تؤدي إلى

١ فيلون اليهودي يقول: (الحس) هو (حواء) و(الحية) هي اللذة، والله فوق كل الصفات .

٢) يقول المكزون: (وظفرت بالتنزيل والتأويل في التوراة والإنجيل والقرآن) .

(حقيقة) هذه الحقيقة التي ميَّزته عن غيره وامتازت عن غيرها بين الفرق والجموع، وقد عبَّر عن ذلك بقوله:

وأصبحتْ طريقتي حقيقةً سارت بها في فرقِ الجمعِ السيَرْ

أما الحقُّ للمشترك الذي أشار إليه المؤلف عند الفئات المتنازعة والثنائيات المتناقضة فهو مجهول، وأيُّ حقٍّ مشترك بين الغيب والشهادة، وبين الوصف والتجريد، وبين التنزيه والتشبيه، والتوحيد والتعديد، والتقريب والتبعيد، والجبر والتفويض، والتصوُّف والتفلسف، والتسنن والتشيع، والرغبة والزهد.. وإذا كان هذا هو الشطح " كما تأول لأبي يزيد " فكم أدَّى هذا الشطح إلى صلب الأفكار قبل صلب الأشخاص.

وليس هو لونا ثالثاً فاجأ به المكزون بقدر ما هو موقف معتدل، يستقطب مضمونات وأسرار هذه النقائض فطريقته التي أصبحت حقيقة، سارت بها في فرق الجمع السيَر وسبيله إليها هو الخرقة الصحيحة التي يجب أن يتلقاها أولئك عن مشايخها لا عن غيرهم، فكل خرقة غير خرقته بالية مخلقة، وكل طريقة غير طريقته ليس لها حقيقة، كيف لا وهي صادرة عن عين عذبة المورد ومستحبَّة الورود، وهو وكما لا يقول بالصوفية على الشكل الذي عرفها به وعلى ما هي عليه من سلبيات، كذلك لا يقول بالفلسفة، فهو الذي يعرف الفلسفة الصحيحة، لذلك يقول عن نفسه إنه هو الفيلسوف بعينه، أما غيره فتفلسف، لأن الفلسفة التي هي بنت العقل والبحث والنظر، غير قادرة على استيعاب فلسفته اليقينية التي بها عرف العقل، والمكزون لا يقرأ هذه النظرية فهو يتَّهم فلاسفة العقل بسفه دعواهم في ذلك حيث يستفاد أنهم عرفوا عقولهم بغير الله واتخذ الإيماء إليها"أي إلى فلسفته" وإلى حقيقة طريقته أمراً يقتضيه الموقف العاقل، وكأنه أدرك ببصيرته أنهم يطلبون إليه الحديث الصريح عن هذه الحقيقة التي يعرفها ولكنه أعدَّ لهم الجواب الذي لا يُدفع:

قالوا: تحدَّث بالصريحِ من الحديثِ بغيرِ رمزِ

أبو عبدو البغا
https://facebook.com/groups/abuab/

فأجبتهم هل عاقل يرمي الكنوز بغير حرز

الرمزية عند روّادها الأوائل(إدغار آلان بو) و(بودلير) و(رامبو) و(مالارميه) و(لوتريامون) و(دينرفال) كانت تقوم على عقيدة فلسفية صوفيَّة قوامها الإيمان بعالم مجهول وليس عالم المنظور الذي يحيط بنا إلا مظهراً لذلك العالم وصورة له، وإنَّ بين العالمين المجهول والمنظور مراسلات سريَّة لا يدركها إلا المريدون من الشعراء الذين اطلعوا بالرؤيا والحدث، وكشفوا أسرار ذلك العالم وحين أرادوا نقل رؤياهم إلى الآخرين عجزت اللغة العادية عن نقلها فعمدوا إلى إنشاء تحالفات جديدة بين مفردات اللغة تمتد جسوراً بين ذات الشاعر والذوات الأخرى، وإذا كان صاحبي وصديقي صاحب الدراسة، يؤمن بالصراحة لا بالرمز، فليلق بمفاتيح كنوزه ولا يحاسب من يقدم على نهبها، أو الاستهانة بها من غير العقلاء.

وجديرٌ بنا ونحن نقرأ بحث (أدب الصوفية)[1] أن نحيِّي صاحب الدراسة على ما استخلصه من هذا الأدب وما ينفرد به هذا الأديب من شجاعة، وربما كان له أثره في ثورة (لوثر) على الكنيسة المسيحية ورفضه الواسطة بينه وبين الله.

وهكذا كان أيضاً لأدب أبو حامد الغزالي الصوفي أثره وتلاقيه مع توما الإكويني عندما خشيا على الدين من الفلسفة العقيمة إلا أن صديقنا الباحث أكثر من الأدلَّة على أدب الصوفية من الشعر وأغفل النثر، في حين يقول: (إن لدنيا مصادر غنيَّة لعلم النفس في دنيا التصوف، النفس في رغباتها المادية والروحية، وطرق رياضتها، وتنظيم مسيرتها واستخلاص جوهرها من أوضار اللذة) ولكنَّه حفظه الله لم يورد أي شيء من هذه المصادر سوى التنويه بها.

وفي بحث (الخرقة) ص/ ١٩١/ سبق أن قلنا إن المكزون يذكر الخرقة، ويرمز بها إلى الطريقة التي يؤمن بها ويسير عليها، وفي بحث(الشمول والكلية) والانفتاح الصوفي صفحة/١٩٥/ برز الحقُّ المشترك الذي كان سبق أن أشار إليه عند ذكر فرق الطرائق

---

[1] صفحة/١٨٢/

والآراء والنقائض .. هنا أجل هنا يظهر الحق المشترك والتعبير الذي يؤدي إلى معنى واحد بين فريد الدين العطار وبين المكزون عندما قال العطار: (لا ينظر لغير الله والكعبة والدير عنده سواء) قال المكزون :

والديرُ لي دارٌ وأترابهُ في ملّة الإسلام لي تُرْبُ

هذا القول ترجمةٌ حرفيَّة لكلمات العطار وتحويلها من نثر إلى شعر سائغ ولا يسعنا إلا أن نضيف إلى ذلك قول ابن عربي:(وقد صار قلبي قابلاً كل صورة) وقبل أن نترك هذا الموضوع لا بدَّ من الإشارة إلى بيت ورد في قصيدة المكزون الشمولية التي جعل فيها نفسه أمَّةً يأتمُّ به فيها كلُّ محبٍّ راحَ فيها أو غدا .

هذا البيت هو :

فلا أرى في الكون شخصاً واحداً يهوى هوىً إلا ولي فيه اقتدا

والصحيح هو(إلا وبي فيه اقتدا) لأن موضوع القصيدة وسياق الأبيات وما عدَّد بالقصيدة من طوائف أهل الحب الإلهي قديمها وحديثها، أنه هو إمامها وكلها تقتدي به خلافاً لرأي الذين يتَّحدون مع غيرهم، فقد انطلق هنا من الإفراد إلى الشمول حتى لا يبقى أحد لم يرجع إليه في هذا الحبِّ لأن داره لم تزل دائرة، أي محيطة جامعة تجمع من ضلَّ السبيل واهتدى، وإلى مثل هذا أشار بقوله أيضاً(أئمة أرباب الصبابة يمسوا) وبقوله:

قال أمرى الشتات في دارك جمعاً محتضر

وأخيراً.. لمن هذه الكلمة..؟ ما هو الإنسان..؟ إنه قطرة ماء في بحر محيط، إن وجوده نقطة وبقاءه لحظة، والكرة التي يسكنها ذرة ولكنه يسعى لاكتناه الوجود.

ألم يتعارض هذا مع قول أحدهم:

وتزعم أنك جرمٌ صغيرٌ وفيك انطوى العالم الأكبر

ومن الصفحة/٢٠٥/ جاء بحث الفلسفة وتاريخها ومذاهبها واتجاهاتها واختلاف العلماء فيها وعلاقة المكزون بها وموقفه من رجالاتها، وهو بحثٌ مستفيض ومترابط ويكاد يشكِّل كتاباً مستقلاً منفصلاً عن هذه الدراسة وقد جمع به فأوعى، ولا بدَّ قبل

الانتقال إلى موضع آخر من المرور بموقف أبي سليمان السجستاني من الفلسفة، واعتباره إياها ثمرة العقل، ولذلك يدعو إلى تعلمها، وترجيحه الشريعة عليها لأنها من وحي السماء، وتناقضه مع نفسه في انتحال كليهما، أو الفصل بينهما في بعض الأحيان، فإذا نسي مثل هذا الموقف إنه موقف ساخر بعقول الناس في جمع مالا يمكن به الجمع، لأن ما توحي به السماء لا يسأل عنه(كيف) أما ما يوحي به العقل فهو عرضة لكل أدوات الاستفهام والاستفسار.

وجاء في بحث(الاتجاهات الفلسفية قديماً وحديثاً) الخلاصة التي انتهى إليها صاحب الدراسة فقال:(الفلسفة إذن محاولات يبذلها الإنسان عن طريق العقل، وطريق الارتياض والتصفية ليصل بها إلى معرفة الله أو إلى الإله حسب رأي المتصوفة) أما نحن فنقول: إن الفلسفة لم تبق محصورة ضمن هذا الإطار فإن لها جانباً سلبياً غير معرفة الله هي معرفة المادَّة ومعرفة ذات الإنسان ومعرفة عقله وتفكيره. وإذا كانت انصبَّت الفلسفة في بدايتها على معرفة الإله فلأنها تصورت أن ذاته مادية، وأن له صورة تملك القهر والغضب كما تملك الحلم والرضا ولما عجزت الفلسفة عن إدراك ما وراء المحسوس وهو الشيء الذي أعيا الغزالي، لم يجد المتفلسفون أسلم من ترك الفلسفة والعمل بشعار(عطِّل حواسك) ولما كان هذا البحث مزيجاً بين الصوفية والفلسفة وكان المؤلف حفظه الله يجد بالصوفية فلسفة، وبالفلسفة صوفية وكان الأمر على غير ذلك فإننا نتردد بقبول ذلك.

وفي بحث (الخلاف بين العلماء والفلاسفة) صفحة/٢٢٣ / لقد أجاد صاحب الدراسة تقصيِّه لمفهوم هذا الخلاف واستوعب استيعاباً تاماً ما يعنيه أبو سعيد السيرافي، ومتَّى بشر القنائي إلا أن هذا الحوار الذي مرَّ بينهما " أي أبو سعيد ومتَّ " فيه من التمصُّل والإجهاد أكثر مما فيه من الحجة والبرهان، وفيه من المسايرة بين الشريعة والفلسفة ما تعتمد عليه الشريعة والفلسفة ولا يمكن اعتباره ناظما بينهما أو أداة ارتباط جامعة. وفي الصفحة /٢٣٣/ (يعدنا صاحب الدراسة بتلمس الخصائص الفلسفية عند المكزون و وضع الصفة المميزة لآرائه في ما وراء الطبيعة وفي الطبيعة و الإنسان) ونحن

لا نشك بقدرة صديقنـــا على ذلك وها نحن نتابعه لتلمس هذه الخصائص واستظهار هذه السمات.

لقد بدأ بالبديهية التي تقول : الشيء لا يخرج من لاشيء، وأن المســـبب لا يمكـــن أن يكون أكبر من السبب ، وأن الكائن اللانهائي لا ينشأ من كائن لا نهائي محدود وأثبت أن الفكرة اللانهائية الكاملة ، لا يمكن أن تنبعث من الطبيعة البشرية النـــاقصة ، ولا بد لها من أصل يوازيها عظة وكمالاً لضرورة التكافؤ بين العلة والمعلول.

لقد ساق هذا البحث وتوسع به واستخلص منه نتيجة حتمية لإثبات الصـــانع، وهـــي الركيزة أو المنطلق للفلسفة التي يبحث عنها مقدم الدراسة للمكزون إذ أن المكزون يقرر في رسالته : إنَّ معرفة الله لا تصح إلا في ذاته، وذاته لا تعرف إلا برؤيتـــه ورؤيتـــه لا تكمن إلا بتجليِّه وتجليِّه لا يكمن إلا بكماله، والتجليِّ يقع بحسب قوة النـــاظر إليـــه، ومعنـــاه رفع حجاب الظلمة عن بصر المبصر.

والمكزون في هذا الربط بين المعرفة والذات والرؤية والتجلي يضع قواعد لفلسفة معينـــة يتبنـــاها لأنها جاءت بواسطة الداعي، ووحي العقل.

ولقد تقدم عند صاحب الدراسة، أن الفلسفة من وحي العقل ولأنـــه "أي المكـــزون" يعتمد في فلسفته هذه على وحي العقل الذي عصم منطقه عن الخطأ، وأنكر كل فلسفة ما عدا فلسفته واعتبر كل فيلسوف غيره متفلسفا وهذا يدلنـــا على مـــدى اعتـــداده بصحة نظريته وثقته بها.

وصديقنـــا الأستاذ حامد أضفى على هذه النظرية ألقاً من إشراقات عقله ، وفكـــره ورفدها بما يتطابق معها من أراء ودعمها بما يزيد رسوخاً من حجـــج وبـــراهين وراح يبحث عن التجلي والظهور بمنطق عال ، وبمعلومات رفيعة محكمة من التنزيل والتأويل فبحثه بمعانيه المختلفة وبأ دواره الست، و لم يغفل أراء مـــن تكلمـــوا بهـــا كالمعتزلـــة والأشاعرة وغيرهم حتى خلص إلى رأي المكزون به وهذا انعكاس صـــورة المتجلـــي كقوله:

تجلّى لي، فجلاني لعيني كما لي صورة المرآة تجلو
ومثّل لي الحقيقة في خيال كما في الشمس يحكي الشخص ظلّ
وفيه أنا وفيّ غداً كشجي أراه ومالـه مني محل

القسم الثاني:

قال المكزون:

والديـر لي دارٌ وأتـربةٌ في ملّـة الإسلام لي ترب

هذا القول ترجمةٌ حرفية لكلمات العطار وتحويلها من نثر إلى شعرٍ سائغٍ ولا يسعنـا إلا أن نضيف إلى ذلك قول ابن عربي:(وقد صار قلبي قابلاً كل صورة) وقبل أن نترك هذا الموضوع، لا بدَّ من الإشارة إلى بيت ورد في قصيدة المكزون الشمولية التي جعل فيها نفسه أمَّة يأتم به فيها كل محبٍّ راحٍ فيها أو غدا، هذا البيت هو:

فلا أرى في الكون شخصاً واحداً يهوى هوىً إلا ولي فيه اقـتدا

والصحيح هو(إلا وبي قيد اقتدا) لأن موضوع القصيدة وسياق الأبيـات ومـا عـدَّد بالقصيدة من طوائف أهل الحب الإلهي، قديمها وحديثها، أنه هو إمامها، وكلها تقتدي به، خلافاً لرأي الذين يتهددون مع غيرهم، فقد انطلق هنـا من الإفراد إلى الشـمول، حتى لم يبقَ أحد لا يرجع إليه في هذا الحبّ لأن داره لم تزل دائرة، أي محيطةً جامعـة، تجمع من ضلَّ السبيل واهتدى .

وإلى مثل هذا أشار بقوله أيضاً (أئمة أرباب الصبابة يمسوا)وبقوله:

قال أرى الأشتات فـي دارك جمعاً محتضر

وأخيراً... لمن هذه الكلمة.. ما هو الإنسان..؟ إنه قطرة ماء في بحر محيط، إن وجوده نقطة، وبقاءه لحظة، والكرة التي يسكنها ذرَّة، ولكنه يسعى لاكتنـاه الوجـود ..ألم يتعارض هذا مع قول أحدهم:

وتزعـم أنـك جرمٌ صغيرٌ وفيك انطوى العالم الأكبر

ومن الصفحة/د ٢٠/ جاء بحث الفلسفة وتاريخها ومذهبها واتجاهاتها واختلاف العلماء فيها، وعلاقة المكزون بها وموقفه من رجالاتها، وهو بحثٌ مستفيض ومترابط ويكـاد يشكّل كتاباً مستقلاً منفصلاً عن هذه الدراسة وقد جمع بها فأوعى، ولا بد قبل الانتقال إلى موضع آخر من المرور بموقف أبي سليمان السجستاني من الفلسفة، واعتباره إياهـا

ثمرة العقل، ولذلك يدعو إلى تعلُّمها، وترجيحه الشريعة عليها لأنها من وحي السماء، وتناقضه مع نفسه في انتحال كليهما أو الفصل بينهما في بعض الأحيان، فإذا نسي أنَّ مثل هذا الموقف هوَ موقفٌ ساخرٌ بعقول الناس في جمع مالا يمكن به الجمع ، لأن ما توحي به السماء لا يُسأل عنه(كيف) أمَّا ما يوحي به العقل فهو عرضة لكل أدوات الاستفهام والاستفسار.

وجاء في بحث (الاتجاهات الفلسفية قديماً وحديثاً) الخلاصة التي انتهى إليها صاحب الدراسة فقال: (الفلسفة إذن محاولات يبذلها الإنسان عن طريق العقل، وطريق الارتياض والتصفية ليصل بها إلى معرفة الله أو إلى الإله حسب رأي المتصوفة) أما نحن فنقول: إن الفلسفة لم تبق محصورة ضمن هذا الإطار فإن لها جانباً سلبياً غير معرفة الله، هي معرفة المادة، ومعرفة ذات الإنسان، ومعرفة عقله وتفكيره، وإذا كانت الفلسفة قد انصبَّت في بدايتها على معرفة الإله فلأنها تصورت أن ذاته ماديَّةً، وأنَّ له صورة تملك القهر والغضب كما تملك الحلم والرضا ولما عجزت الفلسفة عن إدراك ما وراء المحسوس وهو الشيء الذي أعيا الغزالي، لم يجد المتفلسفون أسلم من ترك الفلسفة، والعمل بشعار(عطِّل حواسك) ولما كان هذا البحث مزيجاً بين الصوفيَّة والفلسفة وكان المؤلف يجد بالصوفيَّة فلسفةً، وبالفلسفة صوفية وكان الأمر على غير ذلك فإننا نتردد بقبول ذلك.

وفي بحث(الخلاف بين العلماء والفلاسفة) صفحة /٢٢٣ / فقد أجاد صاحب الدراسة تقصيه لمفهوم هذا الخلاف، واستوعب استيعاباً تاماً ما يعنيه أبو سعيد السيرافي، ومتَّى بشر القنائي، إلا أن هذا الحوار الذي مرَّ بينهما " أي أبو سعيد ومتى" فيه من التمحُّل والإجهاد أكثر مما فيه من الحجَّة والبرهان، وفيه من المسايرة بين الشريعة والفلسفة ما تعتمد عليه الشريعة والفلسفة ولا يمكن اعتباره ناظماً بينهما أو أداة ارتباط جامعة.

وفي الصفحة /٢٣٣/ (يعدنا صاحب الدراسة بتلمُّس الخصائص الفلسفية عند المكزون ووضع الصفة المميِّزة لآرائه في ما وراء الطبيعة وفي الطبيعة والإنسان) ونحن لا

نشكُّ بقدرة صديقنـــا على ذلك وها نحن نتابعه لتلمُّس هذه الخصائص واستظهار هذه السمات.

لقد بدأ بالبديهية التي تقول: الشيء لا يخرج من لاشيء، وأنَّ المســبِّب لا يمكــن أن يكون أكبر من السبب، وأنَّ الكائن اللانهائي لا ينشأ من كائن لا نهائي محدود، وأثبت أن الفكرة اللانهائية الكاملة لا يمكن أن تنبعث من الطبيعة البشرية النـــاقصة ولا بد لها من أصلٍ يوازيها عظمةً وكمالاً لضرورة التكافؤ بين العلّة والمعلول.. لقد ســـاق هـــذا البحث وتوسَّع به واستخلص منه نتيجة حتمية لإثبات الصانع وهي الركيزة أو المنطلق للفلسفة التي يبحث عنها مقدم الدراسة للمكزون إذ أن المكزون يقرر في رســـالته: إنَّ معرفة الله لا تصح إلا في ذاته وذاته لا تعرف إلا برؤيته، ورؤيته لا تكمن إلا بتجليـــه، وتجلّيه لا يمكن إلا بكماله والتجلي يقع بحسب قوة النـــاظر إليه، ومعنـــاه رفع حجاب الظلمة عن بصر المبصر .. والمكزون في هذا الربط بين المعرفة والذات والرؤية والتجلّي يضع قواعد لفلسفة معيَّنة يتبنـــاها لأنها جاءت بواسطة الداعي، ووحي العقل.

ولقد تقدم عند صاحب الدراسة أن الفلسفة من وحي العقل، ولأنـــه"أي المكـــزون" يعتمد في فلسفته هذه على وحي العقل الذي عصم منطقه عن الخطأ وأنكر كل فلسفة ما عدا فلسفته ، واعتبر كل فيلسوف غيره متفلسفا وهذا يدلنـــا على مدى اعتـــداده بصحة نظريته وثقته بها.

وصديقنـــا الأستاذ حامد أضفى على هذه النظرية ألقاً من إشراقات عقله، وفكـــره ورفدها بما يتطابق معها من أراء ودعمها بما يزيد رسوخاً من حجج وبـــراهين، وراح يبحث عن التجلّي والظهور بمنطقٍ عال، وبمعلومات رفيعة محكمة من التنزيل والتأويـــل فبحثه بمعانيه المختلفة وبأدواره الستة، ولم يغفل أراء من تكلموا بها، كالمعتزلة والأشاعرة وغيرهم حتى خلص إلى رأي المكزون به وهذا انعكاس صورة المتجلي كقوله:

تجلّى لي فجلاني لعيني كما لي صورة المرآة تجلو
ومثّل لي الحقيقة في خيالٍ كما في الشمس يحكي الشخص ظل

وفيه أنا وفي غدا كشبحي أراه ومالـه مني محـــل

وبما أن التجلي ثبت بوحي العقل، فالتجلي والظهور والمخاطبة تقتضي صورةً متجليَّـــةً ظاهرةً نـــاطقة مخاطبة ولذلك قال:

ولاحت بمعناها لعيني صورةً وما اقترنت عند الظهور بصورة

وما انتقلت عن كون تجريد ذاتها وإن شوهدت في حلية مثل حليتي

وفي الصفحة/٢٥٢/ بحث الصفات بمعنـــاها السلبي والإيجابي والتنزيلـــي والتـــأويلي واختلاف أصحاب المذاهب الكلامية بها كالأشاعرة من أهل الكلام، وكالغزالي وعمر النسفي من أهل النظريات والرأي وكالإمامية من أهل التأويل وخلص من كل ذلك إلى أقوال المكزون الذي ردَّ به على هؤلاء جميعاً مثل قوله:

موصوفةٌ بين الورى وحسنُها تحتَ النعوت والصفات ما دخل

وفي الاتجاهات والفرق في شعر المكزون صفحة/ ٢٥٨/ ورد من شعر المكزون ما ينوِّه به من أصحاب العبادات القديمة كالصابئة والمجوس وغيرهـــم، والحديثـــة كاليهوديـــة والمسيحية والإسلام، كما نوَّه بالفرق ضمن الملَّة الواحدة كالشيعة، والسنَّة، والحنفـــاء، ومن أهل النظريات، وبالحكماء العارفين حتى خلص إلى القول: إنَّ الغرَّ الجاهل يظنُّـــه مجسداً في نعتها وهو لم يعلم بأنه أمسى بما قاله بها وبما وصفها به مجرداً لها من صـــفاتها، وفي هذه القصيدة التي عدَّد بها هذه الفرق وهذه الاتجاهات كرَّر الدارس هذا البيت كما يلي:

فلا أرى في الكون شخصاً واحداً يهوى هوىً إلا ولي فيه اقتدا

مع أن المكزون في كل دلالات أبيات القصيدة التي منها هذا البيت يشير على أنه هـــو الأمَّةُ المقتدى به، وليس هو المقتدي بغيره فكيف غرب ذلك عن بال شاعرنـــا ســـامحه الله.

وفي الصفحة/٢٧٠/ بحث النفس والروح، جاء في تذييل هذا البحث ما يلي:

(يطلق لفظ النفس والروح على مرادٍ واحد) في حين أنه يستطاع القول غير ذلك، فالروح" مادَّة الحياة " مشتركة بين الإنسان والحيوان ولذلك القرآن أمهل بحثها وقال عنها(من أمر ربي) لأنها شائعة في كل كائنٍ حي، أما النفس فقد امتدحها الإنسان وقال عنها(المطمئنة) وأمرها بالدخول في العباد والجنَّة وهذا يدعونا إلى مخالفة التذييل، وإذا كان جاء عند المكزون (روح الروح) فهذا يعني أنه الفيض والإشراق وسرُّ الحياة المعدِّ لكل روح في الكائنات الحية حيوانية أو نباتية، ونرى أن المكزون أغفل الروح في أبياته واتجه نحو النفس يناقش في أمرها واستطاعتها، بالرغم من أن النفس (أتقى ما في الإنسان) فإن المكزون لا يعطيها ما أعطاها الآخرون من قوة الإدراك، قال المكزون:

لو كانت النفس بالآلات مدركة ... لم تلق في النوم لا نعمى ولا بؤسى

ويعتبر المكزون النفس في العقل، و أنها تصفو بصفائه ..

النفس في العقل إذ تصفو لرؤيته ... له مثالٌ تراهُ فاعقل المثلا

كالعين تشهد في المرآة صورتها ... وما استحالا ولا حالا ولا انتقلا

فمن كل ذلك نخرج بقناعة أن الروح غير النفس، لأنه لم يعالج أمرها كما عالج أمر النفس[1] أما القرآن الذي سكت عن الجواب بمسألة الروح، فقد أعطى النفس أرقى الكمالات، فقد جاء في القرآن (ويحذركم الله نفسه) وقال (تعلم ما في نفسي ولا أعلم ما في نفسك) فإذا كانت جعلت النفس مع الله ومع الأنبياء فقد أعطيت ما لم يعط للروح.

وفي التناسخ صفحة/ ٢٨٥/ يقول معتمداً على التاريخ، والتاريخ أول ما اعتمده في مقدمته برهانا على ما سيسوق من أبحاث قال: (القول بالتناسخ قديمٌ جداً، قالت به الأديان القديمة المختفة) ونجده اقتصر على تأييد ذلك باهنود القدامى فقط، وبآراء

١) جاء في كتاب حاوي الأسرار(كتاب مخطوط): فلما خلق الله آدم و أجرى فيه النفس وهي الحياة وطرح عليه النوم فنام ألف عام قبل أن ينفخ فيه روحه ولو كان نفخ فيه الروح لم ينم لأن الروح لا تنام ولو كانت تنام تكن الرؤيا ولا الحلم

رجالاتهم.. ونحن نرى أن التناسخ ليس له هذا القدم الذي عناه صاحب الدراسة وأنه ظهر في العصور المتأخرة بعد أن بدأ المفكرون يبحثون العدل الإلهي في البشر ولذلك فإن أنصاره حتى الآن قلّة ولا يشكّلون مجموعة ذات أهمية، والديانات القديمة في مصر وبابل ونينوى لا تشير إلى الإيمان بالتناسخ، ولو آمنت بالتناسخ ما رأينا مثلاً أهرامات مصر شاهداً حياً على محاولة خلود الجسد الواحد في تابوت من الحجر، وفكرة الخلود لا توحي بالتناسخ لولا الإيمان بالعدل الإلهي، فالروح الواحدة يمكن لها الخلود عند الماديين .. إلا أن البحث أفرغ به صاحبه جهداً كبيراً وقد دلّ على سعة اطلاع ومعلومات رائعة، إذا كان المكزون يؤمن بالتناسخ فلأنه يخالف الفئة التي لا تؤمن إلا بنسخة واحدة عند الإنسان ولأنه يؤمن بعدل الله الكريم ولا يظلم ربك أحداً ويضرب على ذلك مثلاً ميلاد الشمس كل يوم دليلا على تكرار ميلاد ما تحت الشمس، فيقول:

لمشرق شمس الحب بعد غروبها بعيني في عيني صحّ التناسخ

وفي الصفحة/٣٠٦/ من بحث الجبر والاختيار والكسب نقف عند رأي الفيلسوف(سبينوزا) وهو يحاول به التقريب بين الجبر والتفويض، كما حاول أبو سليمان السجستاني التقريب بين الفلسفة والشريعة ..و(سبينوزا) عندما قال: ليس في تقييد إرادة الإنسان ما يهبط بأخلاقه، بل إن ذلك يسمو بها إلى مستوى رفيع لأنه يعلّم الإنسان أن لا يحقر أحداً، وأن لا يسخر من أحد، وأن لا يغضب أو يحقد على أحد.

إنّ كلمة (يعلّم) تدلُّنا على أن قابلية العلم موجودةٌ في الإنسان وهي مختارة من قبله ليس مجبوراً عليها ففيها خروج على الجبرية وجنوح نحو المفوضة، والجبر "إذا كان كما يقال" أنّ الله خلق الإنسان غير مختلف فهو إذن مجبرٌ على القيام بأعماله على اختلافها ..إن هذا التعريف لا يأتلف مطلقاً مع رأي سبينوزا الفيلسوف، وإذا كان القرآن يقول: (من يهد الله فهو المهتد) فهذا يعني من يختار سبيل الهداية عن قناعة وآمن بأن الهداية من الضلال ييسر الله له ذلك أي يعينه عليه، وإذا كان ظاهر الآية يوحي بالجبر، ولما

كان المكزون ينكرُ هذا المذهب ويرفضه لأنه غير صحيح ولا يستقيم مع منطق العمل قال:

عبيدُ اللاّت فيما جاء عنهُم يسبُّونَ الإله بغير علم
وأمّا المجبرونَ فعن يقينٍ يسبُّونَ الإله بكلِ ظُلم

أما قول المكزون في موضعٍ آخر:

منْ هداهُ سُبُلَ الخيرِ اهتدى ناعمَ البالِ ومنْ شاءَ أضلْ

فليس في هذا إشارة إلى الجبر الذي يلوح من خلال كلماته وإنما هو تنويه بإرادة الله إذا شاء لأن له الحكم وهو صاحب المشيئة ولكنه لم يشأ تطبيقاً للعدل الذي يتصف به وغير صحيح أن يجبر عباده على أفعال يعاقبهم عليها ..

وفي الصفحة/٣١٥/ ورد بيت للمكزون الذي يظهر عليه معنى الاختيار:

هذا سبيلاً مرشده وفيه مخيّراً فيما يرى وما يذر[1]

والأصحُّ (هذا سبيل رشده وفيه) يعني هذا سبيل رشده وهذا سبيل غيِّه، وإذا كانت سبيلا تثنية سبيل فيجب أن تكون ذات تثنية ذا الاشارية ، وأظنُّ أن شاعرنا صاحب الدراسة يقرُّنا على ذلك كأصولٍ في التعبير وفصاحةٍ في قواعد البيان، وللمكزون أكثر من إشارة في شعره على الاختيار كقوله:

حُسنُ اتكالي على حسنِ اختيارك لي لم يُبقِ لي غيرَ ما تختارُ مختارُ

وهذا من باب ترك الاختيار لله الذي لا يختار لعباده إلا الخير.

وفي الصفحة/٣١٨/ يقول صاحب الدراسة: ولكن المكزون يؤمن بالقضاء في البيتين التاليين:

ولا تحذرِ الأمرَ الذي هوَ صائرٌ إليكَ فمنهُ عنكَ لنْ يغني الحذرُ
وكنْ عالماً أنّ لا فرارَ منَ الردى وأينَ يفرُّ المرءُ ممنْ لهُ الأمرُ

---

١) أرى أن الأصح(هدى سبيل رشده وغيه) وليست هذه ولا هذا وهي من الهداية(وهديناه النجدين).

إن هذا القضاء الذي يؤمن به المكزون هو حتميَّة الموت لأن عبارة(هو صائر) أي قادم إليك، يعني إذا تأكدت أن الموت قادمٌ إليك فقابله بشجاعة، وأنَّ عبارة (لا فرارَ من الردى) دليلٌ على ذلك وهي مستندة من قوله تعالى: (أينما تكونوا يدرككم الموت) وهذا القضاء الذي يؤمن به المكزون يختلف عن القضاء الذي يؤمن به الآخرون الذين يعتبرون أن كل تصرفاتهم بقضاءٍ وقدر من الله وقد تكرر عنده هذا المعنى في غير مكان فقال:

ولا تكُ هيّاباً لأمرٍ وإن بدا مهولاً إذا لمْ تلقَ عنهُ مُدافعا

ولما كان صاحب الدراسة وعدنا في آخر هذا البحث بتوضيح هذا الاختلاف في القضية الواحدة عند المكزون في الجزء القادم فإننا سننتظر التوضيح هناك.

وفي الصفحة/ ٣١٩/ يبدأ وحدة الوجود وهذا بحثٌ له صلةٌ بما مرَّ من الأبحاث المتعلِّقة بالصوفيَّة، ولكن لا بأس فقد جاء بهذا البحث ليقارن بين النظريات المختلفة بهذا القول عند الحلاج والبسطامي والجنيد وابن الفارض وابن عربي، وموقف المكزون المتعارض مع هذه النظريات وردُّه عليها بحججه المنطقية وبراهينه المقنعة، إلا أنني وقفت عند التذييل الذي وضعه بالصفحة/٣٢٧/ المتعلّق بتعريف أبي عبد الله الحسين المعروف بالحلاج، وكنت أتمنى لو ذكر المصدر الذي أخذ عنه هذا التعريف، وأظنُّ أنه أخذه عن كتاب (شرح ديوان الحلاج) لمصطفى الشيبي، وفي الصفحة/٣٣١/ بحث المقارنة بين المكزون والبسطامي قال صاحب الدراسة: البسطامي هو صاحب القيلة المشهورة (ما في الجبة إلا الله) فماذا يقول المكزون عن هذه الجرأة والتقحُّم، وكنت أتمنى على صديقي صاحب الدراسة أن يعلم أن الردَّ الذي جاء به المكزون بقوله:

بُعداً لقومٍ أسرفوا في جَهلهمْ وتعاملوا بالزور والبهتانِ
لأبي يزيد صحّحوا الدعوى فما في جبتي شيءٌ سوى الرحمنِ
ولأحمدٍ لمْ يثبتوا في قوله والفعلُ عصمتهُ من الشيطانِ

أجل إن المكزون لم يقصد بذلك القول الردُّ على أبي يزيد البسطامي، ولكن على الجماعة الذين يثبتون على البسطامي هذا القول ولم يثبتوا لرسول الله ﷺ عصمته من الشيطان في قوله وفعله، لاسيما في دعوى(تلك الغرانيق العلى) وتعريض المكزون بأبي يزيد طيفور" على ما يرى أستاذنا صاحب الدراسة" ليس هو من باب التعريض، بقدر ما هو من باب ضرب المثل لإبطال حجَّة القوم وسفه دعواهم ومقالتهم.

وفي الصفحة/٣٣٣/ بحث المكزون والجنيد: أثبتت الدراسة أن المكزون لم يختلف مع الجنيد في الرأي، فكلاهما يعيش عقيدة التوحيد المتعالية عن الحلول في الأشياء، أو الاتحاد بها حلول انصهار أو اتحاد ممازجة.. والمكزون ينوِّه برائيته الكبرى لأصحاب الخرقة الذين هم أصحابها الحقيقيون، لا أولئك الذين يتخبَّطون تارةً بوحدة الوجود وطوراً بالاتحاد في الأشياء، وطوراً في الحلول فيها أو سلب إفراده في ذواتهم، واتجاهاتهم السلوكية، وهو لا يتورع عن التعريض بابي حفص عمر بن الفارض بتائيته المشهورة، وفي غيرها من قصائده كقوله:

حاججْ لمن قال: أنا أنت بالسبِّ وبالضرب وبالصكِّ
فإن أبى ذا منك قل: ملتَ عن توحيدك المحضِ إلى الشركِ

وكقوله:

ومكابرٌ إحساسه في أنَّه وسواه عن أضداده متوحِّدُ
فيريكَ باطلَ ما ادَّعاه بجحده لمقالَ مَنْ للقول منهُ يجحدُ

هذا هو التعريض الصريح والمناقشة المنطقية القائمة على الحجَّة والبرهان العقلي لا ما ورد بحق أبي يزيد طيفور البسطامي، وما رأيت كأبي عبد الله محي الدين بن عربي إشكالاً وتعقيداً حتى اختلف به الناس، فهو على جلالة قدره في عالم الصوفيَّة لا يعدم من رماه بالزندقة والشذوذ والتخبط، ويكفيه ما في فصوص الحكم من محاولة لغسل أدمغة القراء لهذا فمن المستحيل أن يتلاقى معه المكزون، ومن الممكن أن يكونَ كما رأى الأستاذ صاحب الدراسة أن يكون عناه بقوله كما عنى ابن الفارض:

ويجمعُ ما بين النقيضين جهله وذاك محالٌ في العقول الصحيحة

وإذا كان كما يقول صاحب كتاب (الأصيغر)[1] عن العقل الأول إنه (فائضةٌ عن ذاته سائر الذوات من مبدع الكل) يكون ما قاله ابن عربي في الحقيقة الكليَّة (ليس فيها كلٌّ و لا بعضٌ) مقبولاً إلى حدٍّ ما، لأن ذات المبدع فوق هذا الكل الذي رفضه ابن عربي، والإبداع معروف على أنه إيجاد الشيء من لاشيء.. هذا وقد وعدنا أستاذنا صاحب الدراسة، بأنه سيجري في الأجزاء المقبلة المقارنة بين المكزون وابن عربي فإلى هناك..

وخلاصة القول: إن المكزون فيما نوهنا به آنفاً يتبين لنا أنه قد اطلع على فلسفة هذه الفئة من المتصوفة، وفنَّدها بأسلوبه الرفيع وحجَّته التي لا تُدفع ومنطقه الرائع.

وفي الصفحة/٣٦٨/ في بحث المقارنة بين نظرية الفيض عند الفارابي، وابسن سينا والمكزون، فالشيء الذي رآه صاحب الدراسة نراه نحن، وهو الاضطراب في مصير النفس البشرية بعد مفارقتها الجسد فهو طوراً يقول: تحيا طليقةً من المادَّة، وتتكون جماعات فتحيا في نظامٍ أبدي مؤلفة كياناً مستقلاً، وطوراً يقول إن النفس إذا فارقت الجسد ولما تتهذب بالفضائل و لم تأت الأعمال الصالحة، فإنها لا تستطيع مفارقة المادة، ولذلك تعود إلى الجسد تحلُّ فيه، جسدٌ يكون غالباً جسدُ حيوانٍ، وهو يرى أن هذه النفس يستمر انحطاطها حتى تغدو هباءً.

إن هذا القول رفض للتناسخ من جهة، وقبولٌ به من جهة أخرى، يؤمن بعودة الروح إلى الجسد الأدنى، ولا يؤمن بترقيِّها إلى الجسد الأسمى، وهو مبدأٌ له أنصاره، والحقيقة التي لا ريب فيها هو رأي المكزون الذي يعطي النفس حقَّها من السموِّ والارتفاع بحسب استحقاقها، كما أنه لا يرفض أن تكون بحسب استحقاقها قابلةً للهبوط والانحطاط لأن مبدأ الثواب والعقاب يقتضي هكذا.

---

١) الأصيغر: كتاب مخطوط تأليف أبي عبد الله محمد بن شعبه الحراني .

ولأن المكزون يؤمن بمشيئة الإنسان المختارة يعتبر أن الذات حجبت مشيئتها عنه حتى لا تكون الذات طرفاً في اختياره ما يشاء، الأمر الذي يجعل العقل والعدل غير نافذ بمعناه التجريدي ولهذا فهو يقول:

قضى جُودها فيضَ الوجود فأظهرت مشيئتها قدماً حجابَ المشيئة

وهنا وفي الصفحة/٣٨٢/ آخر صفحة في الجزء الأول من هذه الدراسة، أتوقف لأقول: إن كل ما قرأته ومررت به في هذه الدراسة حتى الآن، هو بحثٌ دقيقٌ وعميقٌ، ومقارنةٌ واستخلاصٌ تظهر بها معرفة صاحب الدراسة ومعلوماته المكثفة الشاملة وإطلاعه الواسع وآراؤه النابعة من أعماق الفكر، والصراحة التي تتبنى كشف الحقيقة المموهة عند الآخرين، وإنَّ ما جاء من ملاحظاتي البسيطة إن هو إلا للاستزادة من الوضوح.

الجزء الثاني من الدراسة:

ومع الجزء الثاني من الدراسة أقف عند الكلمة التي كتبها على عتبة هـذا الجـزء فوجدته يخاطب بها رسول الله (ص) وينتهي من هذا الخطاب: إن لديه أسوة حسـنة، فرسول الله ﷺ كذّبه قومه ورجموه، ولماذا ..؟ لأنه جاء قومه بالهداية وفرش دروبهـم بالنور وحمل إليهم السماء. وهكذا فإن صديقنـا الكبير صاحب الدراسة يعاني شيئاً من هذا ولذلك يردد:(ربي اغفر لقومي فإنهم لا يعلمون)وعلى العتبة الثانية ينـادي الحـق ويكتب تحت هذا النداء أربعة أبيات للمكزون:

أمراني فيك ممسوساً ... من الشيطان بالنكد
وبالتشنيع من جاري ... وبالعصيان من ولدي
وأبـرح ما أكابده ... من الإخوان بالحسد
ولست بذاك مكترثاً ... فكيف وأنت معتمدي

ومن إيراد هذه الأبيات أرى أن موقفاً ما وقفه البعض منه ومن المكـزون، ولكنّـه يواجه هذا الموقف ممتثلاً بقول المكزون:(ولست بذاك مكترثاً).. إن هذه التصـديرات التي وشّح بها صدر الجزء الثاني من الدراسة، لا تخفي شيئاً مما في صدره، وُوجّه به مـن البعض، وهي تدل على انفعال العبقري أمام غباء الجاهل وحسبه أنه يـؤمن بـالفكر والعبقرية، ويتحدى برفضه الغباء والجهل، وعمى بوابة هذا الجـزء وفي المـدخل إليـه يحدّثنـا عن الظواهر الطبيعية والاجتماعية، وعملي الزمان والمكان، والحركية المستمرة في نسبية المكان، وخلق الظواهر الطبيعية والاجتماعية بفعل قانون التـراكم، ويعتـبر بالنسبة إلى كل ذلك الشعر ظاهرة طبيعية اجتماعية يصحُّ عليها ما يصحُّ على الظـواهر الأخرى، لذلك فهو لا يؤمن بالاستفادة من دراسة الشعر إلا بربطه في الزمان والمكان.
ومن هنـا ينطلق في إعطاء دراسة الشعر دراسة واعية، منطلقاً صحيحاً يرتكز علـى قواعد ثابتة، وقد أفاض في هذا الموضوع حتى حسبته يعدُّ دراسةً مسـتقلّةً في الأدب،

وهو بحثٌ جيِّد أحسن به التسلسل والترابط وفق ما يقتضيه الزمان والمكان، وخصائص كل عصر وجيل واستعمالاته اللفظيه وأغراضه الشعريه والأثر المادي والمعنوي، وتأثير البيئة والظروف المحيطة و...إلخ مما يجعلنا ننظر إلى متابعة هذه على أنها متابعة لا بدَّ منها للتطور في الشؤون العربية وتحرٍّ لاستقصاءٍ واسعٍ للسلوك والشؤون العربيين، تتجلى فيه الأحوال العربية بمختلف مظاهرها وتحولاتها وشؤون حياتها وجاهلية قبائلها مما له علاقة بشعر المكزون.

وبما أننا نتحدَّث الآن عن الشعر العربي فلابدَّ لي من وقفةٍ على الصفحة/٤٤/ من الجزء الثاني حيث جاء تعريفه للشعر العربي أنه يتشكل من نوعين: غنائي وقصصي. فقال: الشعر الغنائي متأتٍ من طبيعة البادية والصحراء لأن البدوي المنفرد غالباً في الصحراء لابد له من المناجاة. وليسمح لي أخي وصديقي أن أقول إن الشعر الغنائي مأخوذ من التراتيل الغنائية، التي كانت تقامُ في المعابد الدينية، والغناء في المعابد هو حنين الأرواح إلى عالمها الأول، عالم النعيم الذي هجرته واستبدلت به عالم الشقاء والتعاسة، والمكزون في كل ما يتغنى به من القصائد الوجدانية يرمز إلى ذلك.

وفي الصفحة/٤٧/ في أغراض وخصائص الشعر الجاهلي وهو ما أراه خارجاً عن موضوع الدراسة " قال صاحب الدراسة" قال الثعالبي يصف العرب(**وجوههم للصباحة وألسنتهم للفصاحة، وأيديهم للسماحة، وعقولهم للرجاحة**) أستأذن صديقي الباحث وأقول له: إن الثعالبي لم يقل هذا في العرب وإنما قال هذا في الحمدانيين أمراء حلب، ولا أقف عند بقية الأبحاث كأغراض الشعر الجاهلي، ومميزات الشعر الجاهلي واللفظ الجاهلي ولكنني أقف عند آخر الصفحة/٥٩/ لأقول: نحن من أولئك البعض الذي رأى في هذا البحث خروجاً عن الغرض، ولكن لا بأس في هذا التبسيط فقد أعطى مفهوماً حسنا ومعلومات استقصائية يستفيد منها المطالع في الحياة الفكرية والأدبية و الاجتماعية في التاريخ العربي، وهذا البحث في الصفحة/٦٠/ أثر الشعر الجاهلي في شعر المكزون كدت أعدُّه من باب لزوم ما لا يلزم، فالأدب العربي بأكمله يستمدُّ أبوته من الشعر

الجاهلي، والعصر الجاهلي لم يسمَّ جاهلياً لأنه لا أدب فيه، وإنما سمي جاهليـــاً لجهلـــه توحيد الله، وقد خاطب المكزون أبنـــاء ذلك العصر بما يفيد هذا المعنى بقوله:

كُنتُمْ على الشِرْكِ تحمُونَ النزيلَ وتـــــولون الجزيل وترعون المواثيقا

وبعد أن يورد صاحب الدراسة الألفاظ والعبارات المستهلّة من الشعر الجاهلي أجـــده يقول في الصفحة/٦٤/ عن المكزون: وتقليده هذا التقليد وتقمص الشخصية البدويـــة وتمثل الأماكن، والأشياء ومحاكاة النفسية الجاهلية بعواطفها وأشواقها واستجلاب صور الصحراء، واستحضارها ذهنيًّا يجعلنـــا نقول إن قدرة المكزون على التمثل والانسلاخ من ذاتها وتقمُّصها شخصية العصور السابقة تجعل المحاكاة أغلب من المعايشة في شـــعره وتفوّتُ عليه صدق الانفعال وعمق العاطفة وحرارة الإحساس) هذا ما قاله صـــاحب الدراسة وأتمنى عليه أن يعيد النظر فيما قال، فالمكزون هذا الذي يســـميه انســـلاخاً أو تقمصاً أو محاكاة، إنما هو عودةٌ عفويةٌ وتصوُّر داخلي لما يعانيه من فراق أحبتـــه، ولا حاجة لاستجلاب صور الصحراء واستحضارها ذهنياً " إذا صحَّت نسبته إلى ســـنجار الموصل" وتذكار أحبته في نعمان الأراك، والعلم النجدي، وغور الغضا ليس فيه شـــيء من المحاكاة ولا التقليد وإنما ينبع من أعماقه ومن صميم إحساسه، وحرارة أشواقه لأنها مواطن أحبابه.

وعلى الصفحة/٩٤/ من بحث العصر العباسي، وقد عاصر المكزون أكثر من واحد من خلفائه نقف لنقول: ليت صديقنـــا وأخانـــا الأستاذ حامد تأثَّر بابن خلدون في تغليط المؤرخين والشدِّ عليهم في عدم التمحيص، فقد روى عن الأصفهاني فقال: وقد ذكـــر الأصفهاني أنه كان للرشيد ألفا جارية(نقلاً عن أنيس المقدسي، في كتاب أمراء الشـــعر العباسي) وللمتوكل أربعة آلاف جارية(نقلاً عن المسعودي في مروج الذهب) وأخونـــا وصديقنـــا الأستاذ حامد يعرف كيف جعل ابن خلدون من صاحب مروج الـــذهب إنســـانـــا يجهل فن التاريخ.

إن هذه الأرقام لم يذكرها المؤرخون، لأنها فعلاً أرقام صحيحة ولكنهم يذكرونها بهذه الضخامة، ليدللوا على الكبت الجنسي والغلمة الشهوانية العارمة عند العرب، وأنَّ العرب همهم الأكبر التحلل من هذا الكبت، والشبع والارتواء من الجنس.. وما هذا كله سواء ما اهتم به العصر الأموي أم ما اهتم به العصر العباسي، والمبالغة فيه إلا لتشويه الحكم العربي الذي ملأ الدنيا وشغل الناس. إن ألفي جارية أو أربعة آلاف جارية غير معقول ولا مقبول ولا يستطاع التأليف بين هذه المعسكرات من الجواري، وكان على صديقي صاحب الدراسة أن يتنبَّه إلى ذلك حتى لا يقع فيما وقع فيه غيره من المؤرخين. وأخيراً، فإن الذي حدا به إلى هذا ليقول: إن حياة البذخ والترف كانت منطلقاً إلى تراخيهم في كثير من الأمور الشرعية، فحريَّة الثقافة والفكر عند العباسيين كانت مطلقة وحريَّة السياسة مقيَّدة ولنصل إلى التشيع العميق و أثره والدفاع عنه في شعر المكزون ، ولما شاء سلوك هذا الطريق المتعرج .

وفي الصفحة/١١٦/ يقول صاحب الدراسة:(السياسة هي العامل الأساسي في توزيع قوى المسلمين وجعل بأسهم بينهم) ثم يقول:(وجاء المنطق والكلام ليدعما السياسة) ونحن لا ننكر أن السياسة لعبت دوراً هاماً في ذلك، ولكن كل ما نحن فيه من اختلافات عقائدية ليس منشؤه السياسة وإنما منشؤه التأويل، وليس عند المسلمين وحسب، وإنما في الديانات الأخرى وما خبر قسطنطين والجدل البيزنطي بخافٍ عن أهل المعرفة، ومن هنا نستطيع القول: إن الخلاف السياسي ليس هو مصدر نشوء الخلاف العقائدي وسبب الاقتتال على الأرض بحجَّة ما في السماء. كما لابدَّ لنا من الوقوف عند عبارتين من التعريفات التي وضعها ووصف بها العصر العباسي وهما (إسلامي الزهد) و(هندي التصوف) فبالنسبة إلى العبارة الأولى نقول: إن الإسلام ضد الزهد ولا أدلَّ على ذلك من قول القرآن الكريم:(و إن ليس للإنسان إلا ما سعى) و(قل اعملوا فسيرى الله عملكم) وكثيرٌ من الآيات يضيق بنا المجال في إيرادها، وقد سبق أن أشرنا إلى ذلك في غير مكان، وبالنسبة للعبارة الثانية نقول: إن صاحب الدراسة نفى في الجزء الأول أن يكون للتصوف الإسلامي جذوراً غير إسلامية، وكان البحث

الوارد ما بين الصفحات/ ١٢٥/ و/١٥١ / جاء متمماً لما كان أهمله الدكتور أسعد أحمد علي فإنّ الدكتور بحث المنهج العرفاني لشعر المكزون و لم يتعرض للمنهج الأدبي، وربما التزامه بموضوعه فرض عليه ذلك.

ويعود أستاذنا حامد إلى معالجة المضمون في شعر المكزون، ولكن بما يتبطّنه هذا الشعر من مقاصد وأغراض صوفيَّة على ما يراه هو، ولما كان هذا البحث أفاض به وأجاد في الدراسة التي ضمَّنها الجزء الأول فلا حاجة بنا إلى مواكبتها هنا، وأظنُّه يتلاقى هنا مع الدكتور أسعد في كثير من مواقفه وآرائه.

وفي آخر الصفحة/١٧٣/ وبعد أن قرَّر الأستاذ حامد أن المكزون صوفي وفقيه في آن واحد، صوفي يختلف مع الصوفية الذين يرفضون ظاهر الشرع، وفقيه لا يلتقي مع الفقهاء الذين يقفون عند نصِّ الحرف الظاهر ولا يتجاوزونه إلى الباطن. ونحن وإن كان لنا ما نقوله هنا فإننا نمسك عنه الآن، إلا أن ظاهرة الشبه إلى حد بعيد بين حجة الإسلام أبي حامد وبين المكزون ظلت غير ظاهرة، فأبو حامد لا يؤمن بالعقل في صوفيَّته، ولا في فلسفته(راجع المنقذ من الضلال) والمكزون يؤمن بالعقل في صوفيته وفلسفته وهو ينتقد الآخرين لعدم استعماله العقل وكأنه يقصد الغزالي بالذات قال:

استعملوا الرأي فيما لا مجال له فيه فباؤوا ببعد عن تعقّله
وحاولوا الدين بالدنيا فأذهلهم أدنى تفاصله عن فصل مجمله

وقال المكزون:

إن لم يزدني العلمُ في حبكم علماً بجهلي فيه واجهلي
وإن عقلتُ النفسَ عن صبوتي فيكم فواحزني على عقلي

وقال في معنى ذلك وكأنه يقول رغم إيمانه بالعقل لا يستجيب له إذا كان ضد محبته لهم:

إن لم أخالف زواجر العقل عن صبوتي فيكم فواجهلي

وقال أيضاً تعريضاً في جهل من لا يرتضون ما ترتضي العقول:

أشكو إلى الله جهلَ قومٍ قد سخطتُ ما ارتضى القولَ

وجاء في شعره أيضاً:

وليس على شيء من العقل واجدٌ بكم وله باللوم عن قصدكم عقل

ومن القصيدة نفسها:

ولا واجداً بالعقل باطن حسنُكم وكيف يرى بالعقل من سرُّه العقل

وفي قصيدة أخرى وكأنه يقصد الغزالي:

فأعجب به من عاشقٍ مغفلٍ يجهلُ من ذات الخسار ما عقلْ

وإذا رجعنا إلى رسالة المكزون(تزكية النفس) نجد أن منطلقه بها كان (بواسطة الداعي ووحي العقل) فأين ظاهرة الشبه بينهما ..؟

هذا وإنّ فلسفة المكزون الملحوظة هي في نقد أراء الفلاسفة وليست بنظرية معينة في اتجاهات فلسفية ينطلق منها.. وفي الصفحة/١٩٠/ جاء بحث الصفة، الصورة، التجلي، وكان ينبغي أن يكون التجلي، الصورة، الصفة، لأن التجلي هو المظهر الأول للصورة، والصورة هي المظهر الأول للصفات، وهذه العناصر الثلاثة للبحث عليها مدار كتاب الدكتور أسعد علي. معرفة الله والمكزون السنجاري) إلا أن الدكتور أسعد ينطلق من آية التجلي لموسى، والأستاذ حامد ينطلق من آية نفي القتل والصلب عن المسيح، ونحن نرى: أن المنطلق الأول هو الأرجح ولاسيما في بحث الذات الأزلية، وملاحظة بسيطة في الصفحة/٢١٠/ في خطأ في بيت للمكزون، إذ جاء البيت (وعرفت تأويل الحروف جميعها) والصحيح والأصوب هو (ولفظها) بدل (وجميعها) لأن من الحروف يتركب اللفظ، واللفظ هو الذي يدل على المعاني.. هذا ولا أدري كيف جمع بين المكزون والحلاّج في تقرير المعرفة على بعد ما بينهما كما أننا لا نكتم أن لنا ملاحظة على التخريج الذي وضعه لبيت المكزون:

وبنقطة الحرفين من فعل اسمه بالحسن فزت بكونه النوراني

فالنقطة الواحدة على الحرفين(ف) الفعل و(ف) الحرف لا تؤدي هذا، لأن الحرف واحد بالكلمتين ، وإن اختلف مكانهما، ولا يؤدي انتقال الحرف بين كلمة وكلمة إلى تغيير صفته، وعند المكزون النقطة واحدة والحرفان اثنان وإذا كان الحرفان اثنين، فلا يعني أنهما واحد، ولهذا نجد أن الرمز الغنوصي في هذا البيت لم يحل، وربما يصلح هذا

التخريج عند قوم، ولكن ليس هو كما يريد المكزون ولا يصلح لأن يكـــون تفســـيراً مقنعاً[1] ولا بدَّ من القول إن مصطلحات العلوم في شعر المكزون كان ينبغي أن يفرد لها فصل مستقل، لأن معالجته جاءت مدرسية أكثر منها موسوعية، وفيما يتعلق بـــالخمرة وتدرُّج الوصول إلى تحريمها غير ما جـــاء بالصـــفحتين/٢٢١ و ٢٢٢ / لأنَّ موقـــف الإسلام من الخمرة يختلف باختلاف نـــاس زمانه لها ولهذا نجد الإسلام يتعرض لها بهذا الشكل خلافاً للتوراة والإنجيل فهنـــاك عند اليهود والنصارى كانت شراباً مقدَّساً يُدارُ في الهياكل، أما عند الجاهليين قبل الإسلام فكان يدار الشراب عند عقد المراهنـــات والشروع بالألعاب كالميسر والقداح وغيرها ولهذا تدرج القرآن في تحريمها.

وفي الصفحة/ ٢٢٩ / نجدُ صاحب الدراسة وقع بما وقع به زميله الدكتور أسعد علي، فقد وقف عند قول المكزون:

قل لمن لام في المدام عـــــــــلام اللُّوم فيها والراح روح الحياة

وعن الله جاء في الذكر أجر السكر فيها للبرّ ترك الصلاة

فالدكتور أسعد اعتبر له مثل هذا القول شطحاً وتعمَّد إغفاله، أما أستاذنـــا حامد، قال: إنه معنىً غريب يحكم الحرفيون على قائله بالإدانة.. الدكتور أسعد اكتفى بإخراج هذه الشطحات من دراسته، والأستاذ حامد أشار إلى ما يقال فيها، وقد قال الأستاذ حامد: إن المتصوِّفين يرمزون بالسكر إلى الاستغراق والغيبوبة في ذات المتجلي حال التجلـــي، وكان يجب أن يكتفي بهذا القول متجاوزاً الرأي الأول بحكم إدانة الحرفيين للشاعر لأنه ينظم فوق مستوى هؤلاء لأن الرأي الأخير هو الصحيح، وما دام المكزون صوفيًّا فهل

---

١) الغريب كيف غاب عن ذاكرة كل من شارح الديوان وكاتب هذه الدراسة أن نقطة الحـــرفين هـــي نقطة النون بكلمة كن الأمرية وأشاروا إليها بتفسيرات غنوصية رغم ما يتصفان به من ذكاء مميز والمعيـــة نـــادرة. قال الشاعر المنتحب في هذا المعنى

(صهباء كانت ونون الكاف ما برزت والشيء مندمجٌ في علم باريه)

يؤخذ عليه مثل هذا الشطح لاسيما أن مثل هذا القول لا يعتبر شطحاً، فالآية(لا تقربوا الصلاة ..) جاءت بحقِّ المؤمنين بالصلاة لا بحق الكافرين بها.

ومما لا شكَّ فيه أن الرأي الذي جاء به صاحب الدراسة من حال الغيبوبة والاستغراق هو المقصود عند المكزون وأصحاب الغيبوبة والاستغراق ليسوا بحاجة إلى الصلاة ومثل هذا الشطح المكروه ورد على لسان الحلاَّج بقوله:

كفرتُ بدينِ اللهِ والكفرُ واجبٌ عليَّ وعندَ المسلمينَ قبيحُ

وفي تذييل على الصفحة/ ٢٢٣ / وبالفقرة /٦/ منه جاء ما يلي: (الإماميون المنسوبون إلى محمَّد بن نصير يبرؤون كما يبرأ الدروز من كل ما جاء في هذا الكتاب براءةً مطلقة).

الكتاب المنوَّه به يسميه حمزة بن علي صاحب الدروز(كتاب الحقائق) هذا الكتاب غير موجود أصلاً عند هؤلاء، وهل تحصل البراءة إلا من كتاب يضم أقوالاً موجبة[1] للتبرؤ .. الإماميون النصيريون يبرؤون من مثل هذه الأقوال أينما وجدت، ونتمنَّى على أخينا الأستاذ حامد لو بحث عن هذا الكتاب مع الأخوة الدروز للوصول إلى نتيجة صحيحة بشأنه لمعرفة صاحبه نفياً لكل لبس، ودفعاً لكل شبهة وردت في أقوال حمزة بن علي.

وفيما يتعلق بانصراف المكزون عن شعر المديح ليست هي الإمارة المزعومة " كما يزعم أستاذنا حامد" لاسيما وأنَّ زميله الدكتور أسعد قد اتَّهمه بالتناقض في نفي الإمارة وإثباتها.. هذه الإمارة التي اهتم بها الشيخ يونس حسن رمضان وأغفلها شارح الديوان الشيخ سليمان أحمد كما أغفلها شعر المكزون بالذات.

هذا ولابد لي من السؤال عن العلاقة السببية بين قول المكزون :

---

١) إن الكتاب الذي يرد عليه حمزة بن علي في رسالته الدامغة ليس هو من كتب النصيرية أصلاً و إنما هو لأبي يعقوب السجستاني أحد الدعاة الإسماعيليين، ذكر ذلك عبد الرحمن البدوي في ذيل الصفحة /١٩٣/ من الجزء الثالث من كتاب مذاهب الإسلاميين و اسم الكتاب(الحقائق وكشف المحجوب) .

ولا تحذرِ الموتَ الذي هوَ مخرجٌ لنفسكَ منْ ضيقٍ إلى سعةِ الفضا

وبين قول أبي الطيب المتنبي:

فهذهِ الأرواحُ منْ جَوّهِ وهذهِ الأجسامُ منْ تُربهِ

ولماذا لم يتعرض صديقنا صاحب الدراسة إلى هذا التوارد وما هي غاية المكزون.. ؟ وماذا يريد بقوله(سعة الفضا).. ؟ وعندي وعلى ما أرى، أن المكزون في كل كتبه نظماً في المحاجَّة الشعرية يراد بها إظهار الأخطاء التي وقع بها أصحاب الآراء والنظريات العقلية والنصية وأنَّ كل اجتهاداتهم ومعارفهم سواء أكانت فلسفية أم صوفية أو فقهية إذا حوكمت محاكمة عقلية صحيحة يظهر بطلانها، وإنَّ الرأي الصحيح هو ما يراه هو بأدلة برهانية لا ما يراه الآخرون المحجوبون الذين أخطئوا مورد عينه العذبة.

وهنا، عند آخر هذا الجزء وهو آخر ما وصل إلينا من هذه الدراسة، لا بدَّ لنا من الإشارة إلى أن هذه الدراسة حملت كل الطلائع المعرفية التي لا بد منها لكل مريد ولكل باحث، ولا غنى لكل قارئ عن الأخذ بها والتزود منها، وقبل أن نلقي القلم جانباً ورغبة في توضيح أشياء ينبغي توضيحها بدا لنا أن نطرح الأسئلة التالية، راجياً أن لا يضيق بها صديقي صاحب الدراسة:

١- لماذا لم تقم الدراسة، وقد تقررت في أربعة أجزاء وانحصرت في أربعة مواضيع هي إمارة ، الشعر، التصوف، الفلسفة، بمعالجة كل موضوع في جزء مستقل لتجيء الدراسة بشكل منهجي مرتب.

٢- لماذا اكتفت بالإشارة إلى شارح الديوان و لم تستعن بشيء من أقواله ولا من شروحا ته، في حين أن الدكتور أسعد لم يغفل ذلك في بعض تعقيباته.

٣- عندما ورد ربط الشعر بالزمان والمكان في الجزء الثاني، هل استطاعت الدراسة أن تربط بين شعر المكزون في زمانه ومكانه بإشارات واضحة ..؟

٤- لماذا لم يسبق الدراسة ترتيب الديوان وتوزيع قصائده على المواضيع الأربعة التي اتخذت منطلقاً في هذه الدراسة، ولا عذر بصعوبة ذلك.

٥- لماذا لم تشر الدراسة إلى القصيدة التي قيل.. لم يوجد له بالمديح غيرها(حتّام أقرب من حماك وأبعُدا) لأن المؤرخ الدبس، يبدو أنه استوحى منها زواج المكزون من أخت الملك الأصلح صاحب حلب ومن هو هذا الملك ..؟ ومن أين أخذ الدبس هذه المعلومات ..؟

٦- بماذا توحي قصيدتا(طليق الدموع) و(متى شمت برقاً) وهل فيهما إشارة إلى موضوع زمني قتالي ..؟ أم أنها من عمومياته الشاملة.. ؟

٧- ماذا يستفاد من قوله:

وإنْ لمْ أكنْ نجلَ المعالي لصلبها فإني لها منْ غيرِ ما كذبٍ سبطُ

إذا كان كما يقول مؤرخوه أميراً وابن أمير، ولماذا لم يعرض بشعره إلا بالذين يفتخرون بالعظام النخرة، ألا يعني هذا أنه ابن ذاته وليس سليل أولئك الذين يدُلون على الدنيا بالجاه والمال.

٨- ماذا يريد المكزون بقوله: (أدين ليلى بالوفاء) وهل يجوز أن يصم محبوبته بالغدر والخيانة ويصف نفسه بالوفاء وكلنا يعلم من هي محبوبته كشاعر صوفي.

٩- هل جاءت قصيدته(يا من كلفت بحبه) تعريضاً لشخص معين من أصدقائه ، هل حاولت للدراسة ملاحظة شيء من هذا، ومن هو هذا الصديق الذي أساء إلى صداقته .. ؟

١٠- لماذا لم تشر الدراسة إلى المصادر التي تشير إلى تصدي المكزون لزعيم الأكراد (خمارتكين) وكيف أغفل التاريخ العام هذا التصدي .. ؟

١١- هل استطاعت الدراسة أن تكشف شيئاً عن علاقة المكزون بأحد من أشخاص هذا الجبل كالشيخ الجديلي والشيخ الخياط الذي قيل: إن هذا الأخير استنجد به لحمايته في هذا الجبل من هجمات المغيرين، وما هي الملامح الدالة على ذلك عند المكزون ونحن متفقون أن (الهجرة) في رسالته روحية، وليست غير ذلك.

١٢- وأخيراً من هو الشاعر بشر بن عوانة.. وهل هو من شعراء الجاهلية ..؟ أم أنه شخصية خيالية، تصورها وابتدعها خيال الهمداني صاحب المقامات ..؟ وهنـــاك نواحٍ كثيرة ظاهرة في شعر المكزون منعني من الإشارة إليها الإســهاب والتطويــل، وعسى أن لا تكون مغفلة في الأجزاء المقبلة.

ومن أعماقنــا نحيي أخانــا وصديقنــا الكبير صاحب الدراسة، ونقدِّر أدبه ونبارك جهده و جهاده، ونسأل الله أن يجنبه نكد الشيطان، وحسد الإخــوان، وتشــنيع الجيران، كما جنبه العصيان من الولد، وإنــا لأجزائه القادمة لمنتظرون.

١٩٨٠/٧ / ٢٧

المحصلة النتائجية

١- إن تاريخ ولادة المكزون غير صحيح، وكذلك تاريخ وفاته وذلك اعتماداً على رواية الشيخ الشافعي الذي أشار إلى لقائه به في شهور (٧٠٠) هـ

٢- إن حديث الغزو لم يثبت لا في كتبنا الخاصة ولا في التاريخ العام.

٣- يثبت من رسالة المكزون أنه ذكر بها ابن مكي سنة (٦٢٧) هـ وثبت من التاريخ العام أن سنجار قد خرَّبها المغول مع ما جاورها سنة (٦٢٨هـ) .
فيكون مجيء المكزون مع طائفة كبرى من حاشيته وأقربائه من الأمور المعقولة جداً ومنهم تكونت العشائر السنجارية بهذه البلاد لأنهم اضطروا إلى مغادرة سنجار بعد خرابها.

٤- غير مستغرب أن يكون مجيئه إلى حمِّين لأنها المنطقة الوحيدة الآمنة لوقوعها بين تيشور وبقعو، ويبدو أن هاتين القريتين كانتا من القرى التي تتمتع بمزايا عالية في الرجال، وفي الحياة الاجتماعية، والاقتصادية.

٥- لا يستبعد أيضاً أن يكون له أقرباء في حمِّين في ذلك الزمن وإذا صحَّ أن لكلمة (نميلة) أصل عشائري، فإن هناك في حمِّين جبل كبير في أعلاه زيارة لمقام ولي اسمه "الشيخ غريب" وحوله أيضاً غابة من شجر السنديان، هذا الجبل حتى الآن اسمه جب "النميلة" وكان بملكية أحد أبناء عائلتنا، وحتى الآن ما حوله من أملاك أحد أقربائنا.

٦- إن كلمة أمير هي ملازمة فعلاً للمكزون ولكنها بغير الصفة الزمنية المتعارفة وإنما هي إمارة بيان وثقافة وعلم كقولنا في هذه الأيام " أمير الشعراء " و "أمير البيان" وغيرها من الصفات المتميزة[1].

---

١) إن تمسك المؤرخين بكلمة أمير على أنها صفة زمنية هو الذي شوش على دارسيه، فهم أمام كلمة مرافقة لاسم المكزون ولكنهم أمام تاريخ لا يعرف شيئاً عن هذه الإمارة، وقالوا: ربما كانت إمارة قبلية

٧- إن المقام الذي تتوفر القنـــاعة به على أنه هو فعلاً مقام المكزون السنجاري، هو هذا الموجود في حمِّين لأنه لم يوجد سواه مكتوب عليه اسم المكزون بهذه الصراحة، وغيره وهي أقدم كتابة تعود إلى ما يقارب المائتي عام بالإضافة إلى غابة الشجر التي حوله والتي سبق الإشارة إلى قدمها في هذه الدراسة (القدم الذي يرافق وجود هذا الضريح).

و أيضاً لم نقف على المستند المؤيد ، أما الإمارة الشعرية والأدبية فلم يتعرض لها أحد من المؤرخين ولذلك لجأنـــا إلى هذا الاستنباط الذي يصعب رفضه ما دامت آثاره ونصوصه بين أيدينـــا تؤيد مزاعمنـــا وعندي قوله:

وأغنى الورى من آثر الخلف بالذي يخلفه عفواً ويصحبه الودا

أكبر دليل على نفي الإمارة الزمنية من شأنها الحياة المادية البحتة، وحاشا للمكزون أن يخالف قوله فعله خصوصاً مع التزامه بالطريقة النميرية . يقارب المئتي عام بالإضافة على غابة الشجر التي حوله والتي سبقت الإشارة إلى قدمها في هذه الدراسة (القدم الذي يرافق وجود هذا الضريح) .

محطّات فكريّة في شعر المكزون

كلمة: بين لزوميّات المعرّي وبين هذه المحطات الفكرية للمكزون وشائج وصلات من التفكير الإنساني والعقلي والاجتماعي، ونظرات صافية في أعماق الحياة والعلوم العقلية ولذلك اخترتها في هذه الدراسة لأنها تشكل أدباً مستقلاً، ولو كانت نشأت في جو صوفيٍّ عرف به المكزون. وفي جَوٍ من علم الكلام والفقه والفلسفة بالإضافة إلى أنها تجيء رَدًّا على من قال: المكزون شاعرٌ تافهٌ مسخ شعر ابن الفارض. لأن قدرة العطاء الموجودة في هذا الشعر ليست فوقها قدرة ابن الفارض وسواه من شعراء ذلك العصر ويقول الدكتور أسعد أحمد علي هناك من يقول إن المكزون السنجاري يستحق أن يقال له شاعر الفلاسفة وفيلسوف الشعراء أكثر من أبي العلاء، أما أنا فأقول: إنه كبير مفكري الطريقة النميرية.

لقلبي عن مطاوعة اللواحي على ولهي إذا نصحوا نشوز
وأهوى في محبتكم تلافي وما تلفي على كلفي عزيز
أيا من ضيعوا عهدي وعندي لحفظ عهودهم حرز حريز
رمزتُ صبابتي بكمُ ودمعي تحل به لعذالي الرموز

مبغض:

بي مبغضٌ لي على محبّته يُنكرني دائماً وأعرفهُ
قاس.. لشكواي لا يلين ولا يثنيه عن جَوره معتفهُ
وعيدهُ بالوفاء يجزه ووعده باللقاء يخلفه
فرعون من ظلمه استعار وبالحسنِ له قدْ أقرّ يوسفُه

كلب الحي:

الكلب ما دام صحيحاً عن الحي الذي به ينبح

وهو إذا حل به داؤه رعياً لهم عن دارهم ينزح
فلا مرا في أن سيماءه من مفسد في قومه أصلح
ومن أبى غلاً فساد الورى فهو لغير القتل لا يصلح

زهد الفقراء:

يا راغباً بغناهُ عن فقرائنا بالزهد فيكَ الفقرُ قدْ أغنانا
لو ذقتَ طعمَ طعامنا وشرابنا ما عشتَ عُمرَكَ جائعاً ظمآنا
ولو استقمتَ على سواء سبيلنا لم تمشِ في تيه الفلا حيرانا
ولدرتَ بالدارِ التي دُرنا بها ولشمتَ فيها الحورَ والولدانا

الفيلسوف:

الفيلسوف بعينه أنا والذي يسعُ اليقينَ بظنّه متفلسفُ
قد أثبت التصديق نفي تصوُّري معنىً سواهُ بالتصوُّرِ يوصَفُ
لم يعرف العقل البسيط جماله لو لم إليه بوصفه يتعرَّفُ
ليس الذي لحبّه كمتيَّم عانٍ، لأخبارِ الهوى يتشوَّفُ

المنفرد بلحاظه:

ومهفهفٌ بالفرقِ منفردٌ بلحاظه بسطو على الجمعِ
يجلو الكلامَ بضوء غُرَّته ويعيدُ لونَ الصُّبحِ بالفرعِ
ما شمت برقاً منْ مقبّله إلا وناب عن الحيا دمعي
فلثغره وشفاه مبسمه أهوى العقيق وبارق الجزعِ

الطائع العاصي:

أيسرُّني أني أسمّى طائعاً وأنا الشهيد عليَّ بالعصيانِ
أو منعماً وأنا بمالي باخل أو صادقاً والإفكُ وصفُ لساني
لا والذي سترَ القبيحَ عليَّ منْ فعلي ومن إحسانه أولاني
لم أرض منّي ما سخطت من العدى أو كنت ذاك فلست بالإنسان

أمومة الشريعة:

أمّي الشريعةُ والمقيمُ لها أبي ... وبنو بنيها كلُّهم إخواني
أأعزُّ والدتي وأكرمُ والدي ... وإلى عداي أفرُّ من خلاّني
وأفرُّ من إنسي إلى وحشِ الفلا ... إن كنتُ ذاكَ فلستُ بالإنسانِ

المريد في البرايا:

قُلْ لمن قالَ إنَّ بارئ البرايا ... ليسَ في خلقه مريدٌ سواهُ
مَن ترى إن أرادَ بالعبد سوءاً ... راحَ في العبد كارهاً ما قضاهُ
اتقوا اللهَ ذاكَ أمرٌ محالٌ ... أنْ يرى ساخطاً مرضاهُ مرضاه
وإذا لم يكنْ فقد ثبت الفعل ... لعبدٍ ومان فيما ادّعاه

الظبي اللاعب:

علقَ الفؤاد بحبّ ظبيٍ لاعبٍ ... عَلقتْ بقلبي منهُ نارُ غرامه
فتّانُ يؤنسني بقسوة قلبه ... منه ويطمعني بلين قوامه
أدنو فيبعدني بغير جنابة ... مني ويكلمُني بسوء كلامه
وأعقد الإيمان في صبري على ... سلوانه فيحلُّها بسلامه

الحسن المبدع:

وأجيرةٌ جاءت بحسنٍ مبدعٍ ... نسخ الغرام بكل عشقٍ أوّلِ
لم تلقَ صبّاً واهناً إلاّ صبا ... بجمالها حبّ الجميل المجمَّلِ
وإذا تراءتْ للعذول تعيده ... كلفاً بها مُغرى بعدل العذلِ
وتبذل العشاق غالٍ في الهوى ... وبها يقامُ العذرُ للمتبذّلِ

ثلاث:

يعنُّ لطالب الدنيا ثلاثٌ ... هي الشعبُ الثلاثُ بغير مينِ
كآبةُ خائبٍ وعناءُ سعيٍ ... وحسرةُ خاسرٍ ما في اليدينِ

دار حماها:

أيُ طبٍّ لداء دار حماها ... ومرده يُورِدُ الحمامَ الطبيبا
ولذا ذاتها فتسكين آلام ... ولولا الآلام لم تلق طيبا
والذي تقتنيه منها ولم تسلبه ... فيها منه ترى مسلوبا

شر العباد:

عندَ وليّ الخير شرُّ العباد ... منْ أنكرَ الوعدَ بيوم الميعادَ
ومنْ بدا مِن اللهو ألهاه ما أغـ ... ـواه عن جد لجيد الرشاد
فرَّ عن العون بفرعونه ... فصارَ في النار قرينا لعاد
عاوده الغدر بأهل الوفا ... بعد الصفا من كدر في المهاد
لم يغنِ عنه بالغنى ماله ... ولا إلى الجاه لجاه أفاد

يا وليَّ الخير:

ويا وليَ الخيرِ لا تبخلْ على الناسِ بخيرك
فالرَّدى خوَّلك المال الذي كان لغيرك
وهو في استرجاع ما أولاكَ سيَّارٌ كسيرك

كلٌّ يراك:

كلٌّ يراكَ كعينهُ ... إذ أنتَ مرآةُ الوجود
وسواكَ ما يبدو لهُ ... فيغيبُ في حال الشهود
إذ لا يجاوزُ حدُّه ... وسواكَ يدخلُ في الحدود

تمتّع في شبابك:

تمتَّع في شبابك بالأماني ... فما اللذّات إلاَّ في الشباب
وخذ أمرَ الهوى ودع اللواحي ... وبحْ باسمِ الحبيب ولا تحابَ
فما حُسنُ الصبا إلا التهاوي ... ولا حُسنُ الهوى إلاَّ التصابي

استعمال العقل:

استعملوا الرأيَ فيما لا مجالَ لهُ ... فيه فباؤوا ببعد عن تعقّله
وحاولوا الدين والدنيا فأذهلهم ... أدنى تفاصيله عن فصل مجمله

الجنس والنوع والفصل:

لوجدي جنسُ نوعه فصلُ عُدْتي ... ومنهُ خصوصي ليس فيه عمومُ
لذا في الهوى العذريّ لم ألق عاذراً ... وكلُّ لئيمٍ لي عليه يلومُ

عودة الزّمان:

عودوا يَعُدْ بكمُ الزمانُ الماضي ... مستقبلاً منكمْ بحال مراضِ
يشفي غليلَ جوىً بيتُ على شفا ... جُرفِ الردى في مدّة الإعراضِ

لولا الهوى:

لولا الهوى ما هوى في النار من أحد ... عن الصراط ولا عن حدّه حادا
ولا أُري الحقَّ مشهوداً فعاينه ... علماً وأنكره ظلماً وإلحادا

العقل واحد:

العقل في جوهرٍ واحدٌ ... وعنهُ يبدو النفعُ والضُرُ
مثلَ شعاعِ الشمسِ في بدرها ... بردٌ ومنه في الثرى الحرُّ

شارب الراح:

شربتُ الراحَ من راحةِ ... معسول اللمى أغيدْ
فعربدتُ ولا عَيبٌ على ... السكران إنْ عربد

الذي أوجدني أعدمني:

إنَّ الذي أوجدني حُسنُه ... أعدمني الوجد به نفسي
بصورة التلبيس لما بدا ... أنزال عني صورة اللَبسِ

اللهو عن الحق:

لهوا عن الحقِّ فألهاهمُ ... بزخرف القول من الرجسِ

رضوا رضى المغترّ عن آخذ الدينار من كفّيه بالفلس

خمرة:

لي خمرةٌ مراس بها الكراس ... في مزجها للناس إيناسُ
بكأسها كأس الندامى ولولا ... الراحَ ما ارتاحوا وكاسوا

مرآة الخلوة:

وإني لأستجلي بمرآة خلوتي من الإنس ... كونَ القدس في كوني الحسّي
لذا صار غيبُ النفس عندي شهادةً ... بتجريدها من لبس دائرةِ اللبسِ

الآيات عند الخالق:

إذا كانت الآياتُ عند خالقٍ ... وليس بها يأتي سواهُ من الخلقِ
فوحّد برؤياها ولاءَ ظهورها ... كتوحيدك الأشخاصُ في النوع والنطقِ

بقيّة الهوى:

لم يبقَ لي من الهوى بقية أخشى بها الموت ولا أرجو البقا
ولا يداً باطشةً فأتقي ... من أسهم الخطب بها ما يتقى

إعمال الرأي

زعموا أن كلَّ من أعمل الرأي ... وأخطأ به ينالُ الثوابا
وعلى ذا فكل مجتهدٍ أخطأ ... بعين الخطأ أصاب الصوابا

كلُّ حرف من الكتاب

كل حرف من الكتاب كتابٌ ... محكمٌ ما لحكمه الدهر نُسخُ
وبنشري لهار الكشف ... عن غيهب الغواية سلخ
ولأرواح كل من راح مرتاحاً ... إليه من واهب الروح نفخ

عين الحياة

شربتُ من عين الحياة شربةً ... أمنى بها من خوف موت الأبدِ
فما ظمئتُ بعدها ولا عدت ... عالقةً بغير ساقيها يدي

لذا الظبي الذي منها ارتوى بريقه يشفي جوى القلب الصدي

كن مع الحق:

كن مع الحق كيف كان عيانا وبه عُذْ من باطل التقليد
واتبع شاهداً عليك له جاء مرسولٌ تفز بفضل الشهيد
واطّرح في الهوى المراء لمن ضلّ ولا تصحبنّ غير الرشيد

علم التصوّف:

علم التصوّف ليس يُدرك بالإشارة والعبارة
إلا بقلب مخلص بالروح ملقيها إمارة
فجلا اليقين الظن عنه بحقه وجلا غباره

كيف يخفى:

كيف يخفى ما فيك عرفك باد وشذاك المعروف بين العباد
وذاك المقصود في كل حي وذاك المورود في كل نادِ
ولديك الزلفى، ومنك المبادي وإليك المعادُ يوم المعاد

كانوا على الشرك:

كانوا على الشرك يولون الجزيل ويحمون النزيل ويرعون المواثيقا
حتى إذا ما نفى التوحيد شركهمُ بأحمد واستبانوا الحقّ تحقيقا
ولّوا غداة تولّوا عن مكارمهمُ ومزّقوا عدله بالجور تمزيقا

وصف الفضل:

ليس وصفُ الفضل فضلاً للذي لم يبد منه
وكذا بالعلم لا يوصف من لم يُرَوَ عنهُ
وغويُّ الناس من يروي الذي لم يستبنه

ما آمن بالله:

تالله ما آمن بالله من لم تأمن الأخيار شرّه

ولا وفىَ بعهد الله من وافق غدراً على غدره
وليس للخالق سبحانه أن يجعل العدوان من أمره

من سرّه الإحسان:

من سرّه الإحسان منه وساءه قول الإساءة كان عبداً مؤمنا
ومن ارتأى ليرى الهدى من ربه بكتابه ألفاه فيه مبيّنا
ومن استسنَّ الرفض للأهواء واتبع الإمام الحقَّ جانبه الخنى

ذات مولاي:

تعالت ذات مولاي عن الحيز والوصف
وعمّا حالَ في الشكل وما يلحظ بالطرف
وعن قول حلولي حوى المقصودَ في الظرف

ظهور الحقّ:

ظهور الحقّ في العالم بالقدرة والعلم
وبالعدل وبالإحسان والرأفة والحلم
ولم يدرك علا عن ذاك بالحيز والجسم

المطل بالوعد:

المُطْلُ بالوعد أذى يبطل حقَّ الصدقة
ومنفقٌ إسرافهُ يزيل فضل النفقة
ومدّعي العلم بغير عمل ما أحمقه!!

المنكر المعروف:

منكرهم معروف أهل النهى لأن معروفهم المنكر
ويسرهم يسرٌ وعسرٌ بلا يسر ثنا دينهم الأعسرُ
كانوا على الإقبال قد أقبلوا لما تولّوا وجهه أدبروا

التغـــــرُّب:

تغرَّبتُ عن أهلي إليكم فكنتمُ أودَّ وأحنى من أودّ عشيرتي
وكان لقلبي لوعةٌ بهواكمُ وبِنتُم فصارت لوعةً فوقَ لوعتي
ولم أفقد الأوطان حتى مرحلتم وجدت لنفسي غربةً مع غربتي

الوجود والعدم:

وجـودٌ بغير شـراب عدمْ وخمرٌ بغير نديم ندمْ
وما كاس بالكأس غير امرئ على الغمّ عاونها بالغمْ
فروحُ النفوس براح الكؤوس وشملُ الندامى إذا ما التأمْ

عيون وأعوان:

أراقبهُ وهو الرقيبُ بخاطري ويحكَ له مني عيون وأعوان
وبين الرجا والخوف والأنس والحيا بقلبي جنانٍ من هواهُ ونيران

أخلصتُ للوجد:

أخلصت للوجد حتى أصبحتُ للوجد وجدا
فزادني القرب منه عن أعين الناس بعدا

إيـــمـــان:

آمنتُ بالعجز والمعجز إيمانَ ثبتٍ غيرُ مستوفز
فصرت في دائرة الكل في جمع مقامي نقطة المركز

تحدَّث بالصحيح:

قالوا تحدَّث بالصحيح من الحديث بغير رمز
فأجبتهم هل عاقلٌ يرمي الكنوز بغير حرز

جهـــل الغبيّ:

وما ساءني جهل الغبيّ بمرتبتي ومشهد أرباب البصائر مشهدي
ولا ضرَّني شربُ الحميم لمنكري ومن سلسبيل الخلد في الخلد موردي

نسبة كلُّ عبد:

إلى الرحمن نسبة كلِّ عبدٍ ظهور صفاته الحسنى عليه
ويعرف ماله بالغيب منه برؤية ما لمولاه لديه

إرادته وإرادتنا:

ولو كانت إرادته تعالى إرادتنا لتمَّ لنا المرادُ
وما اختلفت دواعينا وكان الصلاح لها وما ظهر الفساد

فَهمُ شعري:

فَهم شعري الذي أُقرِّب معناهُ على غير شاعرٍ بي بعيد
يُخلق الدهرُ وما تجدُّ من الآجال فيه الأزمان وهو جديد

مغالب الغالب بالمال:

بحثُ المحقِّ مع العنيد بقوله كمغالب لمغالب في ماله
ذو مال يرضى أن يسالم حربه والحرب لا يرضى بدون قتاله

من أحبُّه:

بسكري صحوي في هوى من أحبُّه حبيب أراني عنه بعدي قربه
يمثِّلهُ لي في المنام خياله وفي قسمتي قد عزَّ في المثل ضربه

رقَّة الوجه:

عجبي لرقَّة وجه من كلفي به تبدي أسرَّته لنا أسراره
ولمهجتي تركى لبرد رضابه وتقرُّ عيني إن تشاهد ناره

تسنُّن البدعة

تسننوا البدعة في رفضهم لسنَّة المختار في آله
إذ خالفوا سائر أحكامه مهم وعهم جلَّ أقواله

كان لي خلٌّ:

قد كان لي خلٌّ خلا بمسرَّتي فأقامت الأيامُ في ترحاله
وأشدُّ ما ألقاه بعد فراقه من لوعتي شبحُ الكرى بخياله

الوجود الجزئيُّ:

لوجودك الجزئيّ كلّيّات أجناس الجواهر أصبحت أعراضا
والكلُّ للكليُّ أنت ولم يكن لولم تكن عنه الوجود مفاضا

الكليُّ والجزئيُّ:

إني أرى كليُّك الجزئيّ لمّا عمّ مخصوصاً عن الأعراض
فلذا انفصلتُ عن العمومِ بمشهدِ الكليُّ في بعضٍ من الأبعاض

صمت اللبيب يزينه:

صمتُ اللبيب يزينه وبه يصانُ الجاهل
والنطقُ إن أخطأ الصوابَ به يشانُ العاقل

باطن الاسم:

الاسم للوصف غدا باطنا وهو لمعنى كونه ظاهر
كالشمس بدي عينها نورها وهو لنا عن كنهها ساتر

ابتهال ودعاء:

ألا يا أمير النحل دعوةُ عارف بحقّكَ للجهّال غير مداهنِ
أعنّي على عونِ الصديقِ واكفني العدوَّ واكس الخزي وجه ملاعني

القريب البعيد:

إن الذي تيمني قربه بعدٌ وفي البعد لهُ قرب
كالشمس في مغربها شرقها كما لها في شرقها غرب

ليل ذوي الأبصار:

متى صفا للحقّ قلبٌ بدا له سناه كما يبدو سنا الشمس في البدرِ
ويصبحُ في الليلِ المديدِ منيراً لليلِ ذوي الأبصارِ في البرِّ والبحرِ

توحيد:

لا غير من لا غيرهُ لي إله إذ ما لموجودٍ وجود سواه

جزئيه كلي كليه والعدم المحض جهول عداه

العلـــة ومعلولها:

بعداً لقوم جهلهم جهل ذي العلة في العلم بمعلولها
ولا يصح العلم من عالم بجملة إلا بتفصيلها

العزيز الذليل:

كل من عز بالولاية بالعزل تراه بين الأنام ذليلا
وجماد النضار أفضل ممن باكتنازيرى له التفضيلا
وغني بالله لا يرد الفقر إليه مدى الزمان سبيلا

التفريق والإجماع:

قالوا على التفريق منا لنا إجماعنا إنا على الحق
وليس في الكونين شبهٌ لنا يحكم للكاذب بالصدق
إذا لنا من ربنا رحمة أن لا نرى الشر من الخلق

بني العقـــل:

بني العقل هبوا لأمر عجاب ولكن للعقل عنه نشور
أناسٌ رأوا أنهم قادةٌ وقالوا الجماعة حرٌ حرٌ
وكل يرى قوله واجباً وقول جماعته لا يجوز

حروف هوىً:

حروف هوىً ثلاثٌ من ثلاث لعمر أبي هي الشعب الثلاث
هوانٌ ثم ويلٌ ثم يأس لأطماع المحب بها اجتثاث
تغيث الواجدين لها بدمع كمهل كلما منها استغاثوا

ساعة التوديـــع:

لا أوحش الرحمن من أدمعي جوى الجوى ساعة توديعي
معطر الركب بأنفاسه إن غاب عن عيني فمسموعي

وعجّل الفوز لمشتاقه منه بوصلٍ غير مقطوعِ

فاته القصد:

جهلَ القياسُ وفاته القصدُ من قالَ يشبهُ خدك الوردُ
إذ وردُ خدك في الولوع به يزهو.. ولون الورد يربَدُّ
وشذاه وردٌ في غضارته لكنَّ وردك عرفه ندُّ

صورة في المنام:

يا من نراهُ في المنام صورة في يقظتي معي أراه معنى
فغيبه لي مشهد و مشهدي في غيبه معنى لمن تمعنى

ظننت:

ظننت حسبت خلت زعمت أن قد وجدت و ما رأيت ولا علمنا
ولولا دخل أفعال التعدي عليك مع انخفاضك ما انتصبنا

شهود الغرام:

إن لم يقم على غرامي فيكم بمشهدي بين الورى شهودي
فلست بالصبّ ولا الواجد لم أفن في وجدي بكم وجودي

قالوا النبيُّ:

قالوا النبيُّ الذي هدانا قال: اقتدوا بالذين بعدي
قلت فلم أمّر ابن مزيد عليهما وهو نجل عبد

لم يحرّم:

لم يُحرّم ما كان حلاً على غير ظلوم بذا أتانا الكتاب
مثلما يمنع الطبيب لذيذا" من مريض له الكريه شراب

التسليم والمنع:

سنّة الله في الذين هدى التسليم والمنع سنّة الشيطان
فكذا قول: لا نسلم أضحى في ذويه مقابل البرهان

الحياة نوم

إذا كانت حياة المرء نوماً وليس له سوى الموت انتباه
فعيش المرء في الدنيا خيال يخيله لناظره كراه

شرع الله:

إذا كان شرع الله في الدين واحداً وعن مسلك التفريق فيها نهى الرسل
فإن سبيل الرشد للناس واحد ولا غيّ إلاّ في متابعة السبل

بين القرب والبعد

جوركم في القرب أشفى إلى قلبي في البعد من العدل
وفي الرضى عندي حرمانكم أحلى من السخط مع الوصل

الإدراك والآلات

لو كانت النفس بالآلات مدركة لم تلق بالنوم لا نعمى ولا بوسى
ولا رأت مقتضى الرؤيا بيقظتها من بعد ما كان في الإمكان محسوساً

صحة الإمامة:

قالوا الإمامة لا تصح لمسلم من غير ما نص ولا إجماع
فأجبتهم أنى استجاز قبولهم أتقاكم من بعد سرح الراعي

بعلم اليقين:

بعلم اليقين وعين اليقين شهدت وحققت حق اليقين
وحسن يقيني بأهل اليقين فمن نزعات ظنوني يقيني

أغبى الورى:

أغبى الورى من لم يجد نفسه تخصه إلاّ برأي العوام
وأبعد الخلق عن الحق من يحاول الحق بعلم الكلام
بل باقتفا الباطن من ظاهر أنزله الله هدىً للأنام

في الردّ على المجبـــرة

إن لم تكن تطلع الشمس على أفضل من حيدر بعد الرسول
ولم يفز بالسبق والعلم والجهاد كان الفضل فيه الفضول
لأنه الداخل في غير ما قضى عليه الله فيه الدخول

الوجه الجديد:

كلما استعذبت طرفي من هوىً طرف الطرف له وجداً جديداً
فكأن العين مني اعتمدت أن قلبي لا يرى إلاّ عميدا

وجه الحبيب:

صقال سوالف وُجه الحبيب أراني بها هدب عيني عذارا
وساحر أجفانه أشهد النواظر في ماء خدّيه نارا

بحر الصبابة:

تسنّنت في عشقي له وهو شيعةٌ لغيري فيما يبتغيه مريد
وأصبحت في بحر الصبابة خالداً لأن غرامي في هواه يزيد

الأنس والجنُّ:

متى للحق حقّقنا عن الخلق به بنتا
فأنت الإنس والجنُّ وكنت الابن والبنتا

رحيل:

رحلتُ وقلبي عندكم غير ناظرٍ إليّ وطرفي في نحوكم متلفّتُ
وما ساء قلبي وهو حيٌّ بقربكم ترحّلُ جسمي عنكم وهو ميّتُ

فنون الإحسان:

قلبي بأخلاقه وخلقته حائر فنون الإحسان والحسن
عجبت منه يشدو فيظهر للأسماع حسن الإعراب واللحن

الخصوص والعموم

أرى مشهدي بي منك لي عنك خصني ... على أنّه بين الأنام عموم
ولي منك غيبٌ في تصحّح رؤيتي ... وكلُ حديثي في هواك قديم

الدليل:

قلت للغائبين عن مشهدي فيك ... وهم ينكرون معروف قيلي
أعليه تبغون عندي دليلاً ... ووجودي منه عليه دليلي

الصّفاء والشفافية:

صفا جسدي حتى بدا منه قلبه ... وشفّ إلى أن بان ما فيه من سرّ
فغيّب سرُّ القلب قلبي وقالبي ... كما غاب لون الماء والكاس في الخمر

النفس والعقل:

النفس في العقل إذ تصفو لرؤيته ... له مثالٌ تراه فاعقل المثلا
كالعين تشهد في المرآة صورتها ... وما استحالا ولا حالا ولا انتقلا

صفاء الذات:

صفاء الذات منها إذا تجلّت ... أراني في تجليها صفاتي
وما احتجبت بغيري في عياني ... لذاك شهدت فيها وصف ذاتي
وما غابت وحقك عن عياني ... ولا شاهدت فيها غير ذاتي

الاختفاء والسفور:

إنّ التي باختفائها ظهرت ... وكان عنا السفور يُخفيها
ممنوعة بالصفاء رؤيتها ... للعين إلاّ بوصف مرائيها

الهيام والملاحة:

إن التي هام الأنام بحبّها ... ولها الملاحة والبها وجدي بها
بسفورها تخفى وفي أستارها ... تبدو فمشرق شمسها في غربها

الإنكار والعرفان:

ما زلت أنكر بعد عرفان الهوى ... عند الوشاة على الهوى عرفاني

وأبين عن ولهي به ولهاً لهم حتى كتمتُ الحبَّ عن كتماني

الذكر والنسيان:

ذكر الفتى آية نسيانه وشوقه عنوان هجرانه
وليس بالكاتم سرَّ الهوى من عرف الناس بكتمانه

ملهم الغرام:

يا ملهمي نفسي الغرام بحبهم حتى هداه للهدى إلهامُها
ما قام حبكم بذاتي إنما ذاتي بحبكم استقام قيامها

العلم والحبُّ:

إن لم ينرني العلم في حبكم علماً بجهلي فيه، واجهلي
وإن عقلت النفس عن صوتي فيكم فوا حزني على عقلي

الحيرة:

واحيرتي عنك إذا لم ترني حيرتي فيك بنور الدليل
وواضلالي عن سبيل الهدى متى عداني منك هادي السبيل

التجلّي:

تجلّت فانجلى نجمي وبدري وشمسي حين صار لها مغيب
فأبعدها به عني ومنها أراني أنه منها قريب

الاغترار بالأماني:

لولا اغتراري بالأماني لم أر اغترابا ولا آثرت أهلاً على أهلي
ولا اخترت داراً غير داري بخاطري ولا اعتضت عن جنات نعمان بالإثل

غاية الحسن:

فضلت بوجدي فيكم كلَّ واجد بحبكم يا غاية الحسن والحسنى
لأن الورى هاموا بصورة حسنكم عياناً وبالأخبار همت بكم معنى

الارتفاع والخفض:

لما رفضت بغوثهم وبعوقهم ولنسرهم قالوا بأني رافضي

ولذا ارتفاعي عن حضيضهم به ظنّ الغواة بأن ذلك خافضي

رؤيـــة العقل:

ولما رأيتُ العقل يقضي لربه بأن ردا التجريد أفضلُ مرتدا
غدوت لأثواب التجرّد لابساً ومن فاز بالعرفان مثلي تجرّدا

على غير داري:

ولو أن قومي شاهدوا فيك مشهدي على غير داري في المحبّة ما داروا
ومن مضر في مظهري بدا لهم خفايا لهم عنهم وللسرّ أسرار

السكون والحركة:

لم يزل ساكن إليك سكونا حركته عن نهجك الأهواء
لا ولا فـاز بالولاء محبٌّ فـاته من عـدا ولاك البراء

واجب الوجود:

لواجب في كلّي لكلكم مكان صبري عنه مراح متّسعاً
وما تصوّر عـلمي عالمٌ بكم إلا اثنى تبع التصديق لي تبعا

درُّ الثغـــــر:

بدر بدر ثغره مبتسماً أضا الأضا
وجوده بجوده الواسع قد ضاق الفضا
مستقبل الوجه له وحاله وما مضى
قضى عليّ حبّه من الأسى بما قضى
وما تعرّضتُ ولا أعرضت حين أعرضا
ولي رضى عنه بما عني له فيه رضا

أدين لليلى:

أدينُ لليلى بالوفا غير جاهل بأن الجفا والغدر في الحب دينها
وإن أخلفتني الوعد أنجز وعدها ولست وإن خانت عهودي أخونها

علم أهل القلوب

علم أهل القلوب عين القوالب ... تراه عيون أهل القلوب
وسواهم مقيّد بصلاح ... لمريب في قول كل أريب

هوى المعاني:

يبلي هَوَى الصور الحسان بلاها ... وهوى المعاني خالد ببقاها
وسوى العقيدة لا أرى معشوقة ... نقص الحياة بها يزيد هواها

المجبـــرون:

عبيد اللات فيما جاء عنهم ... يسبّون الإله بغير علم
وأما المجبرون فعن يقين ... يسبّون الإله بكل ظلم

المحبُّ الكتوم:

يحدّث عن سواك سواي زوراً ... وأكتم منك ما حدّثت صدقاً
لأني لم أجد مثلي كتوما ... لسرك إن رأى الكتمان حقا

أنصار الدعـوة:

كتابي مشهودٌ لكل مقرّب ... لذا غاب عن إدراكه كل فاجر
وأصبحت الأنصار أنصار دعوتي ... ومن هاجر المختار أمسى مهاجري

زيـنة الفقر:

زينة الفقر في العفاف وحق العلم تعليم طالب مستحق
وسبيل النجاة صعب ولا يبلغ إلا بحمل صعب مشقّ

البغضاء والحب:

قد بدت البغضاء منهم لنا ... كما لهم منا بدا الحبّ
وما لنا إلا موالاتنا ... لآل طه عندهم ذنب

الوصيّـة:

هاجروا إذ هاجروا أحمد ... المختار إذ هجروه عند الوصية

فأمرانا انقلابهم وبدا إخراج أضغانهم على الذرية

صحة الإنذار:

محمد قد صح إنذاره برذة الأصحاب من بعده
ومذ أقر الحق في بيته تعين الباطل في ضده

مفارقة الكتاب:

من لم يفارق الكتاب ولا الكتاب يفارقه
ما المرء غير وليه وأخو الشقاق يشاقه

الجاهل:

إن ترد الجاهل فهو الذي يثني على الراغب عن دينه
وليس في شيء من الحق من لا يعرف الحق بتبيينه

العصمة من الضلال:

إذا عصم التمسك من ضلال بأهل البيت أخيار النبي
فما والاهم إلا رشيد وما عاداهم غير الغوي

الميزان المنصوب:

به الميزان منصوب ومنه الحوض مورود
وفيه السدر مخضود وطلح الظل منضود

إيجاد المفقود:

ولو لم تبد لي منك لما أبديت مخفي
فما أوجدني فيك وما أفقدني في

نهاية الجهل:

نهاية الجهل اجتهاد الفتى في كسب ما يتفقه غيره
وشر حال المرء في نفسه أن يتعدى نفسه خيره

نعيم الروح:

وأذ روحي يستتم نعيمها بالطيف لم ترجع إلى جسماني

إني لتصبيني الصَّبا بهبوبها من أرض نعمان إلى نعمان

الضِّـــــياء:

كوني في كون حبيبي الذي قد غربت في شرقه نفسي
مثل ضياء البدر في ليله باد ولا يشهد بالشمس
والفصل في وصلهما ظاهر للعقل محجوب عن الحسّ

الموجود المحدود:

أمراني عنك محدوداً وكوني فيك موجود
وفي عرشك لي فرش وفوق الفرش توسيد
ومشهودي من غَيبكَ يوم بك مشهود
به الميزان من فوق الصـــــراط إليك ممدود
وفيه الحشر والنشر وحوض الريّ مورود
ومن فوق لواء الحمد بين الناس معقود
لذا أيامي البيض ليالي وصلك السود

ما الكافـــــر:

أمراني البعض في بعضي وكلّ الكلّ في بعضي
ومن فوقي أرى تحتي وفي تحتي سما أرضي
وفي طولي بدا عمقي بين الناس لي عرضي
وقبض البسط في بسطي وبسط البسط في قبضي
ولي في العرش جلسات على الخلق بها أقضي
فمسنون التقى مني ومفروض الهدى فرضي
وما الكافر إلا جاهـــل السنّة في مرفضي

تمّ بحمده تعالى

تناظريات

ورأيــت أن أختم هذه المحطات الفكرية عند المكزون بهذه الحواريات اللطيفة التي تتكشــف عن مقالات بعض أصحاب العقائد من الطوائف الإسلامية وتتكشف عن مدى الدفــوع التي يملكها كل صاحب مقالة من هذه المقالات وتتكشف عما يفنده معارضو هــذه المقــالات مــن ذلك مانراه في القصيدة التالية التي تنوّه بأسماء بعض الطوائف كالرافضة والشيعة وما يقوله كل منهم في الآخر وهذه هي القصيدة:

ورافضي شأنه شيعة تسنُّ ... سوءَ القول في تسعه
ولم يرعه حسن ما قاله ... ثناً عليهم خاطب الجمعه
قلت له ويك أما أسلموا ... قال بلى من شدة الفزعة
قلت أما صلوا ولا صدقوا ... قال ابتغاء الجاه والسمعة
قلت لماذا هاجروا قال لي ... كي يستردوا الناس بالخدعة
لذاك لما أن ولوا بدلوا ... ما استنه المختار بالبدعة
وحرفوا أكثر قرآنه ... ولو بقوا ما تركو رقعة
وحللوا بالأجر عيناً وهم ... به قد حرموا المتعة
وورثا بينهما ماله وعنه ... صدَوَا العم و البضعة
ولم نجد جاراً رُثي وارثاً ... وابتز منه الإرث بالشفعة
وهجروه عندما رام أن ... يوصي وكفراً طلبوا منعة
فحجني الشيعي إذ لم أجد ... لحق ما قد قاله منعه

ومــن يــتأمل الحوار المهاجم والحوار المدافع في هذه القصيدة يجد أن كلا الحوارين يفتقر عند الآخرين في مساره إلى الاستراحة في مظلة الصواب والمكزون عفيه السلام غير مسؤول عن هذا لأنه ينقل ما عرف مالدى كل فريق من المتحاورين من مدى ما

يتمسك به في حجته وفي مقالته وكذلك فلننتقل إلى القصيدة اللامية وهي التي تحمل حواراً بين طرفي المسلمين السنة والشيعة

قامت لتقعدني بالقيل والقال ... سنية رفضت حقي ببطال
واستعرضت في جدالي كلما نقلت ... من شبهة فانجلت مني لدى الحال
لأنني كلما جرّت لضربي سيّافاً ... ثناه صريعاً طعن عسالي
قالت أبو بكر بعد النبي هو المختار ... قلت اصطفاء الله للآل
وكيف يدعى أخا فضل وليس له ... فضل ولم يك للقرآن بالتالي
ولم يكن من ذوي قربي النبي ... وللحديث قد كان عنه غير نقال
وفي الجهاد فلم ينفك منهزماً ... أو قاعدا يترجى نصر أنذال
قالت فأول من حيًّا لنبي بإسلام ... فقلت عليٌ غاية الغالي
قالت فكان صبياً قلت ويحك قد ... كان المسيح نبياً مثل أطفال
قالت فإنفاقه للمال قلت لها ... لوصح ما ابتاع منه العيس بالمال
قالت فهجرته في حال هجرته ... فقلت للمجتبى في آخر الحال
قالت فإيناسه في الغار قلت لها ... هل يجلب الإنس خوار باوجال
ولو تفكرت في أن السكينة لم ... تنزل عليه لما خالفت أقوالي
قالت ألم يسمه المختار صاحبه ... فقلت قد صحب الهادي لضلال
والله في النهى والأخبار بينه ... لمن تدبر فيه القول بالبال
وبالصحابي قد سيم المذاد عن الحوض ... الروي إلى ورد من الآل
وعند تنبيهه أن الإله له مع النبي ... أتي في الداني العالي
قالت أما زوج المختار بابنته ... فقلت بنت حُيي صنوها خالي
قالت ألم بك يهواها فقلت لها ... عن الهوى جل في قول وأفعال
قالت لها الذكر في القرآن قلت بما ... يقيم في ذمها أعذار أمثالي

لأن مولاي قد أبدي خيانتها ... وقال فيها مقال العائب القالي
وبالطلاق لكشف الستر هددها ... فما الجزاء على قتلٍ وأضلال
وعند ذكر التي تضحي لها بدلاً ... أزال عنها التقى في الفعل والقال
ونفسه حربها وعداغدا وغدا ... جبريل أنصاره مع جيل ميكال
وبعد ذاك أثارت أي ثائرة ... على بنيها بأرجال وأخيال
وجاوزت في التعدى جاهليتها ... بقتل شيب وأشياخ وأطفال
قالت أبوها ببدر قلت كان على ... أنصار أحمد إلباً ظهر جهال
لأنه استمسك المختار حين دعا على ... الطغاة بقول العائب القالي
إذ قال حسبك قد ألححت يزجره ... عن الصلاة ويلحاه بإدلال
قالت ففي يوم أحدٍ قلت كان به ... مقدم الفر والثاني له التالي
وعجبه في حنين حين أظهره ... أعاده مدبراً من بعد إقبال
قالت ففي خيبر لما ثقلدها فقلت ... قد فرَّ لما كرَّ في الحال
قالت ألم يك للتبليغ أرسله ... فقلت قد رده من بعد إرسال
وقال عن ربه ألا يجوز لمن ... لم يضح مني تبليغ لأقوالي
ولو غدا تابع المبعوث كان له ... التبليغ عنه بنصٍ للصدى جال
فيا لها فيه من بيضاء موضحة ... بأنه لهواه ليس بالسال
قالت أليس رسول الله قدمه ... فقلت ذا وابن زيد فوقه الوالي
قالت أليس على الأصحاب فضله ... فقلت لم قال كل القوم أمثالي
وقال منها أقيلوني يدلهم ... على الذين أبوه فعل محتال
قالت فحسبي اختيار المسلمين له ... فقلت ما ثبت الإسلام للآل
فلم على كرههم إياه أدخلهم ... بالقسر فيما أبوه شر إدخال
قالت فلم نهضوا من بعدما قعدوا ... عنه إذيه بتسليم وإجلال
فقلت أعطوه مضمون الإله لمن ... أراده من نعيم زائلٍ بال
وقد أزال جلي الحال تولية السبط ... الزكي ابن هند الغاشم العالي

ولم يجز ذاك طعناً في إمامته ... ولا انتفى ذم من أضحى به الوالي
قالت ألم يقض بالقسطاس قلت ... بمنع الإرث أم بانتضاء السيف في الآل
قالت ولي المنع قلت الله أنزله ... فكيف بدله من بعد إنزال
قالت فقاتل مناع الزكاة فقلت ... الله ماسنهُ في مانع المال
وكيف ذا ولأعداء النبي قضى ... التأليف بالمال والإحسان بالقال
قالت أراك مليا في الجواب وما ... غادرت غيرك محجوجاً بتسآل
فقلت أرخص ما عندي سمعت ولو ... وجدت سمع لبيب فهت بالغالي
قالت كفيت فحسبي ما ذكرت ولا ... لحيدر وبراً من آل خوبال
اذ زايلتني ظنون كنت أحسبها ... مواراداً فإذا هي بارق الآل

إن المكـــزون في هذه القصيدة يتنفس عن رئة فيها كل مشاعر التشيع التي تتجلى في الـــتاريخ الشيعي ولكن الجميل في عرض الأقوال والحجج التي يأتي بها الطرفان. أن الحجج والبراهين قائمة على النص وأن الطرفين السنة والشيعة التزما جانب الأدب في ســـلوكهما وفي رعاية سياق الأمور كما ينبغي لها تشريعاً وحجة ومنطقاً وإن قوله إن (أراك ملـــياً في الجواب وما غادرت غيرك محجوجاً بتسآل) يفيد التسليم من الطرف المهاجم إلى الطرف المدافع بقوة الحجة وسداد المنطق .....

وهكذا يبدوا أنَّ الانتصار للفكر الشيعي يَتَجَلىّ بشكلٍ واضحٍ وغير مُبَطَّن ولو أردّنا أن نَستَقصـــي كُـــلّ مـــا هو وارِد بَهذا الشأن عند المكزون وما هو وارِد في غير هذا الموضوع من التقريرات العلميَّة ومُعالجَة فَنيَّتها واستخدامِ أغراضها للغاية التي يَنتَصِر لَهـــا المكزون لأتينا بالمُجَلَّدات الضَخمَة ولكَنِ لضيقِ المقام وعَدَم اللّجوء إلى التَطويل اكتَفيـــنا بما أوردناه لَعَلَّ أنَ يَجِدَ بِهِ دارِس المكزونَ بعضَ ما يُمكن أنَ يستَفيده من هذه اللَّمَحـــات القَصيرة ، بالإضافَة إلى أنَّنا سَنَضُمُّ إلى هذِهِ الدراسَةَ مجموعَة منَ المَحَطَّاتِ الفكريَّةِ عندَ المكزون مُستَقِلَّة في آخرها .

وأجد أنَّ من المُفيد أن أذكُر رأياً مُتَطَرِفاً خَرَجَ به صاحبه عَن حدود الرصانَة المألوفَة بالأديبِ نَشَرهُ الأديب اللبناني منير العكش في مجلَّة الحوادث اللبنانيَّة في العَددَ /٨٧٠/ الصادر بتاريخ ١٩٧٣/٧/١٣ وهو بهُ ينكر الصوفيَّة الإماميَّة لا لشيء إلا لأنَّهُ يَجهلها، ولأنّه لا يعرِف صوفيَّة الفكر والعلم والمعرِفَة التي يتَبناها الشاعرِ المكزون في رَفضِ ما سواها بقولِه :

ليسَ زهْدُ الفتى بتَحريم حلِ ... من نُكاحٍ وَمَطعَمٍ وَشرابِ
وارتِباطٍ للرَبطِ أو باعتزالِ ... في جِبالٍ ولا بِرَفعِ ثيابِ
بَلْ بقَصدٍ فيما أُحِلَ وزُهدٍ ... في حرامٍ ورغبةٍ في ثوابِ

ولهذا لَم يَرُقهُ أن يُقال عنه شاعر ، فهو فَي نظَرِهِ شاعرٌ تافه ، مَسخَ شعر ابن الفارض.

ولا نُجيبُ على هذا الرأي التافه فَلَو قَرأ شعر المكزون مُتَمتعاً ، لَعَدَّلَ رأيه وأدرك مدى الشَطَط الذي وَقَعَ بِهِ .. نحن لا نُريد أن نتَصدَّى الآن للمُقارَنَة بين المكزون وبين ابن الفارض الصوفيَّين ، ولا بين شعريهما فإنَّ هذا يحتاج إلى دِراسَة خاصَّة . وكلاهما لَهُ شأنه عند أهل الفكر .

ونُشير هنا إلى أَننا ردَدنا عليه بمقال مُسهَب تجدونه لاحقاً لهذا الكتاب وذلك بتاريخ ١٩٧٣/٧/٢٢ . وَمِمَّا يعنينا أن نُشير إليه في هذا الموضوع هو أنَّ الَّذي يَقرأ ديوان المكزون قراءة مُتَأَمِّلَة يُلاحظ أَنهُ لَم يَكُن قَبلَ خِلافِه معَ شهاب الدين الشافعي مُتَطَرِّفاً في تشيعه بدليل قوله بقَصيدَتِه (شاغِل القَلب) ... قالَ عليه السَلام

واغدُ مُؤتَمّاً بِصديقِ بَني ... تيمٍ وابغِ الحجرِ من حجرعُدَيّ
وَبِعُثمان إلى وَجهي اتَّجه ... يَتَسَنى لكَ من وَجهي السُنَى
وعَليٌّ بابُ جَنَّاتِ العُلا ... فادنُ منهُ تَجنِ داني جَنَّتَيّ
فَعَلى جَمعِهِمُ في جامعي ... كُلَّما صَلَّيتَ لي صَل وَحَي
وَمَتى فَرَّقتَهم فارَقتَهُم ... بِالتَعامي مائِلاً عَن ملَّتي

وكَقَولِهِ بقَصيدَتِهِ (بِأبي عَدِيّ)

بِعَقيدَةٍ بَكريَّةٍ عُمَرِيَّةٍ مالي إذا غيري انثنى عَنها انثنا
وَبِسُنَّةٍ لِلَّهِ عُثمانيَّةٍ فازَ امرؤ أمسى بِها مُتَسَنِّنا

هذا القول يختلف مَع قولِه :

قامَت لِتُقعِدَني بِالقيلِ والقالِ سُنِّيَّةٌ رَفَضَت حَقّي بِبَطّالِ
واستعرَضَت في جِدالي كُلَّ ما نَقَلَت مِن شُبهَةٍ فانجَلَت مِنيّ لَدى الحالِ

وأعتقِد أنَّ الجَدَل الّذي يُشير إليه وَقَعَ بينه وبَينَ الشيخ شهاب الدين الشافعي وهو يَرمُز بِهِ كَمُتَكَلِّم وَمُحاوِر عَن جَماعَة السُنَّة ، وهو (أي المكزون) كَمُتَكَلِّم وَمُحاوِر عَن جَماعَة الشيعَة ، ويُلاحَظ أنَّ مُثنَيَّاته ومقطوعاته كلّها تقوم على هذا الجدَلَ الصَريح ولكنَّ شاعريَّتهُ وإبداعه وعُمق مَعرِفَتِه وَسعَة اطّلاعِه ، لَم يَشفَع بِهِ واعتَبرَت باطنيَّته مِن أكبَر دَواعي الحَطِّ مِن شأنِه وَمِن إضعافِ شَخصيَّتِه وَمِنَ الغَريبِ أن يتَلاقى الماضي مَعَ الحاضِرِ على هذا الرأي الّذي يُنكِرُهُ أهل الرأي مِنَ المنصفين .
فالّذي قالَهُ الشيخ شهاب الدين الشافعي ، قالَهُ الدكتور مصطفى الشكعَة والّذي قالَهُ الدكتور الشكعَة ، قالَهُ الأستاذ مُنير العكش .
ولكِنَ هذا العكش كانَ أجرَأَ الكلُ على الرأي التافه ، حينَ سَمّى المكزون شاعِراً تافِهاً . أمّا الدكتور الشكعَة فكانَ أكثرهُم إنصافاً فإنَّهُ وَإن اتَّفقَ مَعَ الآخرين على إنكار الباطنيَّة عَليه ، فقَد اعتَرفَ بِما عنده مِن شعرٍ ناعِمٍ لَطيفٍ وإبداعٍ أدَبيّ . وهذه مِن صفاتِ الأديبِ الّذي يَدرُس المادَّة لِذاتها بِصَرفِ النَظَر عَن موضوعها ، وهذه خطَّة (قُدامَة بن جَعفَر) في تَعريفِ الشعر . أمّا الغُلُو ، فَرَحِمَ الله شوقي الذي قال :

قيلَ غالٍ في القَولِ قُلتُ هَبوهُ قَد يكون الغلوُ رَأياً أصيلا

وَقَديماً بَنى الغُلوُّ رِجالاً وَقَديماً بَنى الغُلوُّ عُقولا

وَإنيّ لأَجِدُ في الأَبيات التّاليّة نكهَة خاصّة ، فيها رائحَة شَكوى الاغتراب واللّوعَة الّتي وَجَدَها بَعدَ هذا الاغتراب قالَ :

تَغَرَّبتُ عَن أَهلي إليكُم فَكُنتُم أَوَدُّ وَأَحنى من أَوَدِّ عَشيرَتي
وَكانت بِقلبي لَوعَةٌ بِهَواكُم وَبِنتُم فَصارَت لَوعَة فَوقَ لوعَتي
وَلَم أَفقِدِ الأَوطانَ حتى رَحَلتُم وَجَدتُ لِنَفسي غُربَة مَعَ غُربَتي

مِـنَ المُلاحـظ أنَّ كَلِمَـة (الأَوطان) لَم تَرِد في شَعرِهِ بغَيرِ هذا البيت على ما أَتَذَكَّر وأُلاحِظ في هذه الأَبيات حِساً عَميقاً يَشُدُّهُ إلى الجَماعَة الّذينَ فارَقوه وهُم من غَيرِ أَهلِه كما يقول . ولَكنَّهُم في تعامُلِهِم مَعَهُ كانوا أَوَدُّ وأَحنى من أَوَدِّ أبناءِ عَشيرَتِه وَأَهلِه .
وَأَنهُ لم يَشعرُ بِفُرقَة الأَوطان حتىّ فارَقوهُ ، وكَم في هذا القَول من مَشاعرَ صادقة نحوَ مَن يَأْلفُهم الإنسان . وَمَن كَالمَكزون رَضيَّ الله عَنهُ يَصدُق الأُلفَة مَعَ الأَلاف .
ولا أرى كأصـحاب العقـائد صـلابة وتمسكاً في عقائدهم فكل ذي عقيدة عنده فيها مايقدمه وكل واحد يرى انه يتمسك بالحبل المتين ويسير على الصراط المستقيم وهذا الشاعر جمال الدين الخليجي نموذج منهم قال

ومعاذ الله أن ألوي عن الحبل المتين
واساوي بين مفضال ومفضول ضنين
بين من قال اقيلو ني ومن قال سلوني

والأمام الشافعي يخاطب من يعيّره بالرفض بقوله :

إن كان رفضا حبُّ آل محمّدٍ فليشهد الثقلان اني (رافضي)

المراجع

١- رسالة شهاب الدين الشافعي .
٢- مشارق أنوار اليقين .
٣- المكزون السنجاري للأستاذ حامد حسن .
٤- معرفة الله والمكزون السنجاري للدكتور أسعد علي .
٥- حمين في ثلاثة قرون لأحمد علي حسن .
٦- ديوان المكزون (مخطوط)
٧- تزكية النفس للمكزون (مخطوط)
٨- العلويون من هم وأين هم، منير الشريف .
٩- موسوعة الشيخ حسين حرفوش (غلاة الشيعة)
١٠- كتاب إسلامنـــا، للدكتور مصطفى الرافعي.
١١- كتاب المختصر في تاريخ البشر؛ لعماد الدين إسماعيل أبي الفداء.
١٢- تاريخ طرابلس ؛ للدكتور عمر عبد السلام تدمري.
١٣- تاريخ سورية ولبنـــان وفلسطين؛ لفيليب حتي.
١٤- إسلام بلا مذاهب؛ للدكتور مصطفى الشكعة.
١٥- تاريخ سوريا الديني والدنيوي؛ الدبس.

صدر للمؤلف

١- أضواء كاشفة	مقالات أدبية وتعليقات
٢- المسلمون العلويون في مواجهة التحدي	رد على عبد الحسين العسكري
٣- المسلمون العلويون في لبنان	بحث تاريخي بالاشتراك مع الأستاذ حامد حسن
٤- التصوف.. جدلية وانتماء	دراسة في التصوف
٥- أضواء على الحقيقة الصعبة	رد على أبي موسى الحريري
٦- رعشات قلم	مقالات وبحوث في الأدب
٧- قزحيات	مجموعة شعرية
٨- نهر الشعاع	ديوان شعر
٩- ضحى وظلال	ديوان شعر/ إصدار اتحاد الكتاب العرب
١٠- قصائد مضيئة	شعر
١١- على طريق الحرية	شعر/ إصدار اتحاد الكتاب العرب
١٢- الدكتور وجيه محي الدين	يقظة جيل
١٣- على قيود الأحبة /جزأين/	قصائد رثاء
١٤- أوحت لي السمراء	شعر
١٥- المكزون السنجاري في حمّين	دراسة

الفهرس

الموضوع	الصفحة
هذه الدراسة.....	١٣
معلومات لم تسبق	١٤
البحث عن المكزون في حمّين.....	٢١
نسبة المكزون للدبس.....	٢٢
متابعة.....	٣٠
الهجرة	٣٣
ولادته،وفته ، قبره	٣٧
مقارنة وتحقيق.....	٣٩
نصوص المكزون واقتراح.....	٤٣
المبحث الأول –سيرة المكزون.....	٥٠
المبحث الثاني – نسب المكزون.....	٥١
المبحث الثالث – حياة المكزون.....	٥٤
أصوله ، أبوه ، أجداده ، أمه ، أخوته ،أعمامه ، عمّته.....	٥٦
فروعه : زوجه ، أولاده ، ذريته.....	٥٧
المبحث الرابع : أمير منقذ أم أمير لاجئ ؟.....	٦١
نصوص حوارية.....	٧٣
تعليق على النصوص.....	٧٧
دراسة الجدل حول النصوص	٨٠
الأستاذ حامد حسن والمكزون.....	٨٦
القسم الثاني.....	١٠٤
الجزء الثاني.....	١١٥
المحصلة النتائجية.....	١٢٧
محطات فكرية في شعر المكزون.....	١٢٩
تناظريات	١٥١
المراجع.....	

كلمة في هذا الكتاب
للأديب الكبير: الدكتور أسعد علي

بحال 2003/4/5 ، 1424/2/3 هـ مكزون حمّين
للشاعر الدكتور الشريف أحمد علي حسن

سلطان الوفاء.. صاحب السعادة والسماحة..
الدكتور أحمد علي حسن المحترم
السلام عليك وعلى مكزون حمّين السنجاري..
وعلى الأرض التي منها سنجار وحمّين..!
كشفك مقام " المكزون السنجاري في حمّين لك زيادة حسنى وامتياز لم يكشف لسابقيك من المهتمين بصاحب جيش القريض ، كما في خاتمة قصيدته الشمسية ..!
وما أدراك ما الشمس ... ؟ ...!..
السنجاري ، صاحب هذا الجيش.. هو كذلك صاحب القصيدة القمرية .. التي مدخلها..

أقبل صبحي وسفر وحان ليلي ودبر
وأطلعت شمسُ الضحى عليَّ من وجه القمَر

دراستك التاريخية واهتمامك بالأهم: يغريان همَمَ الأجيال القادمة باستمرار التنقيب ؛ لأن كون الله الأرجب، من "حمّين" إلى "علّين" لاتخلو زاوية منه من الكنوز والرموز.

أبو عبد الله الظاهري
https://facebook.com/groups/abuzahri

أيها العزيز.. أشكرك شكراً لقمانياً ..فطموحُ روحك ليس له حدود.. وليس لِمدَد ينبوعه نفاذ .. لقد شوَّقت زاهداً إلى مرتفعات موائد تظلُّ شواهد لمن يقول "طرتُ عن كون القمر" ..!
أشدُّ على يدك خمساً وخمساً ياسلطان الوفاء..
وأسأل الله معك لأبناء الكون طيران المكزون ..!
وألتمس الدعاء لك منهم .. ومنهم ومنك لأفقر الفقراء

أسعد علي